المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا
الأدب والبلاغة

القضايا النقدية
في كتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر للنواجي

المتوفى سنة:(٨٥٩هـ).

"دراسة وتقويم"

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير
فرع اللغة العربية وآدابها
تخصص الأدب والبلاغة

إعداد الطالبة
خديجة محمد صالح سعيد
الرقم الجامعي (٤٣١٨٨٢٢٧)

إشـــراف
أ. د/ مصطفى حسين عناية

العام الجامعي ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرِّسالة

عنوان البحث : القضايا النقدية في كتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر للنواجي المتوفى سنة:(٨٥٩هـ) "دراسة وتقويم".

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة : اشتملت على أهمية البحث، وسبب اختياره،والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث .

يختص الفصل الأول - بقضايا نقد الشعر، وفيه عشرة مباحث: -

- المبحث الأول - قضية حد الشعر وتعريفه.
- المبحث الثاني- قضية اللفظ والمعنى.
- المبحث الثالث- قضية تهذيب الوزن.
- المبحث الرابع- قضية ثقافة الشاعر وأدواته.
- المبحث الخامس- قضية عمل الشعر وتهذيبه وتنقيحه.
- المبحث السادس - قضية المبادئ والمقاطع وبراعة الاستهلال.
- المبحث السابع- قضية تمكين القوافي وتهذيبها.
- المبحث االثامن - قضية نثر المنظوم.
- المبحث التاسع- قضية براعة المخلص.
- المبحث العاشر- قضية التشبيه القبيح.

ويختص الفصل الثاني - قضايا نقد النثر، وفيه مبحثان :

- المبحث الأول- قضية السجع.
- المبحث الثاني- قضية البلاغة والفصاحة.

أما الفصل الثالث - فيختص بمصادر المؤلف، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول- كتاب نقد الشعر.
- المبحث الثاني- العمدة في محاسن الشعر وآدابه.
- المبحث الثالث- كتاب تحرير التحبير.
- المبحث الرابع - كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب.

و الخاتمة : وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات ، ويتبعها الفهارس المتنوعة.

أهم النتائج والتوصيات:

١- خلص البحث إلى تسمية أدوات الشعرعند ابن طباطبا وغيره بثقافة الشاعروأدواته .

٢- القيام بدراسة أدبية نقدية تعتمد على المنهج التاريخي التحليلي تدرس عوامل الركود في النص الأدبي في عصر من العصور الإسلامية ، والبحث عن دور الأدباء و النقاد في ذلك العصر للنهوض بالنص الأدبي .

Abstract

Research Title: monetary issues in the book industry in the introduction of systems and prose for Al-Nwaje "study and evaluate"
A search on the introduction, three chapters, and a conclusion, as follows:
Introduction: included on the importance of research, why he has chosen, previous studies, research plan and the methodology of the researcher.

The First Chapter: issues of poetry criticism, and it contains ten sections:-
The first: the issue of poetry defined.
The second topic: the issue of pronunciation and meaning.
The third topic: the issue of revision weight.
The fourth topic: the issue of the poet culture and his tools
The fifth topic: the issue of the poetry work and refined and revised
The sixth topic: the issue of principles and passages and craftsmanship initialization
The seventh topic: the issue of rhymes empowerment and it's refinement.
The eighth topic: the issue of convert the poetry to prose.
The ninth topic: the issue of ingenuity to get rid.
The tenth topic: the issue of ugly metaphor.

The Second Chapter: Issues criticism prose, and contains two sections:
The first topic: the issue of assonance.
The second topic: the issue of Rhetoric and Oratory.

The Third Chapter: Sources of the author, and it contains four sections:
The first. book: poetry criticism.
The second: mayor in the pros hair and etiquette
The third topic: Book editing inking.
The fourth topic: Book wardrobe literature and the four highly.

The Conclusion: it's contain of the most important results and some of the recommendations, followed by various indexes.

The most important Results and Recommendations:
1- Distinguish poetry survival on the mouths of narrators along with the time to link some of its parts and the contents of some of the desires of the Arab state taste to the present era.
2- done study of literary critical historical approach relies on analytical factors considering the recession in the literary text in an era of Islamic eras, and the search for the role of writers and critics in that era for the advancement of the literary text.

الإهداء

إلى عالمي الذي أجد فيه نفسي منذ طفولتي وأجوب بين حناياه حتى لحظتي . . .

إلى من حضنتني بدعائها ليلا ونهارا . . . سرا وجهارا . . . إليك أمي

إلى أسرتي التي عاشت معي أياما من الجهد والمثابرة . . . .

إلى زوجي الغالي . . ورفيق دربي . . ومن كان لي نعم المعين . . أبي خالد

إلى زهرات بستاني . . بناتي الحبيبات غدير وغادة وغفران ورغد ومريم

إلى فلذة كبدي ابني خالد . .

إلى من كانت تُسْرِعُ في خُطاها حين تراني بين أوراقي لتنثرها بفرح وسعادة، إلى حفيدتي الحبيبة نجوان . .

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإيماناً مني بقوله تعالى: ﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (١)وانطلاقاً من قولهﷺ : ((من لم يَشْكُرِ الناس لم يَشْكُر الله–ﷻ-))(٢) .

ثم بعد حمد الله وشكره، وطاعة له سبحانه واتباعا لأمره، أزجي الشكر الخاص والعام لكل من له فضل بمعونة ومثابرة، أو أسدى لي خدمة أو مناصحة، أجزل الله للجميع الأجر والمثوبة.

وأقدم عظيم امتناني ، وشكري الذي يعيا به لساني ، ويقصر عنه بياني، وعجز عن تسطيره بناني، لذات القلب الكبير والحب الكثير، وصاحبة الفضل الذي ليس له نظير، **أمي الغالية** التي طوقتني بعنايتها، وأحاطت بي رعايتها، وهطل علي غيث دعائها مدرارًا، فكان التوفيق لي صاحبًا والتسديد مؤيدًا، فلا حرمني الله نعمة وجودها في حياتي ومتعني بفضل برها والإحسان إليها، وجعل ثواب صنائعها الفردوس الأعلى في الجنة.

كما أخصُّ بمزيد التقدير **زوجي الكريم** على جميل صبره ،وحسن معاهدته فجزاه الله عني خير الجزاء، ومتعه بموفور الصحة والعافية، و رزقه صلاح النية والذرية.

---

(١) سورة البقرة: من الآية [١٧٢].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه-٣٦ كتاب الأدب-٢ باب شكر المعروف-(٤٨١١/٢٥٥/٤) والترمذي في سننه-٨ كتاب البر والصلة-٣٥ باب ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك-(١٩٥٤/٣٣٩/٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأتوج شكري وتقديري لأستاذي المشرف سعادة الأستاذ الدكتور/ مصطفى حسين عناية لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، ولسعة صدره وإسداء نصحه ، كما أشكره على ماأولاه هذا العمل من دقة في المتابعة وحرص على التوجيه حفظه الله وأبقاه لإفادة العلوم ، وإظهار مابطن من الفهوم، وأعظم أجره ، ورفع قدره ويسر أمره ، وأصلح ذريته.

والشكر موصول صلة الأرواح المجندة بالحب في الله لمن كانت لي معينا وظهيرا .. والتي ما إن ارتسمت لي ملامح النهاية إلا ويرتسم معها في خاطري اسمها وهي الأخت الحبيبة ، الدكتورة/ مريم عبد الرحمن أبوعلي فبارك الله لها في علمها وعملها وأجزل لها الأجر والمثوبة.

كما أشكر ممتنة الأخت الغالية د. ريم خلف الجعيد على مبادرتها في تقديم العون والمشورة ، ولاأملك معها سوى استحضاري لقول الشاعر :

لوكنت أعرف فوق الشكر منزلة ***أعلى من الشكر عنـد الله في الثمن
أخلصتـها لك من قلبي مهذبة *** حذوا على حذو ماأوليت من حسن

والشكر مقدم **للأستاذين الفاضلين المناقشين الكريمين**، لما سيقدمانه لي من عمل جليل، بحسن التقويم والتقييم لهذا البحث، فجزاهما الله على نصحهما خير الجزاء، وقسم لهما من مدخور الأجر أوفر الإجزاء.

والشكر موصول **لأسرة معهدي** معهد الخير حيث التعاون والتآزر، والتعاضد والتآخي، أرجو الله أن يستعملهن في الطاعات ، ويرفعهن أعلى الدرجات.

و كذا الشكر مرفوع **لجامعتي العريقة** ؛ جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والقائمين على أمرها **والمسئولين في كلية اللغة العربية**، جعلهم الله من أبرار

المتقين ، وحملة العلم الموفقين ، وأجزل لنا ولهم الثواب ، وسدد أقوالنا وأفعالنا بالصواب.

وإني أرجو ممن ينظر من عالم في عملي أن يستر بحلمه زللي ، ويسدد بفضله خللي، ويصلح ما طغى به القلم، وزاغ عنه البصر، وقصر عنه الفهم، وغفل عنه الخاطر؛ فالإنسان محل النسيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

الباحثة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا و يرضى، أحمدك ربي حمدا نستلذ به ذكرا، وإن كنت لا أحصي عليك ثناء ولا شكرا، لك الحمد في الأولى وفي الأخرى، لك الحمد حمدا أنت وفقتنا له، وعلمتنا من حمدك النظم و النثر.

والصلاة والسلام على خير الورى، وأفضل من أرسلت فجاء بالمحجة العظمى، و كان أفصح الناس لسانا، وأبلغهم بيانا، وكتابه المعجزة الكبرى.

وبعد:

فإن الأدب بحر لا حد لساحله، عميقة أغواره، فريدة كنوزه، لا تُدرك فيه المآرب، ولا تبلغ معه المطالب؛ لاختلاف العصور التي فيه سار،والاتجاهات التي إليها انطلق.

والنظر إليه وإلى فنونه الجميلة، وعلومه المتنوعة يجعل نظرة الباحث إليه نظرة المتسائل عن قيمته ، ويدفعه إلى تتبعه من جميع جذوره، فهو الموطن الأصيل لكل نظم ونثر، وفي أي وقت وعصر.

والتراث الأدبي العربي فيه من القيم الفنية الأصيلة مالم يحظ بها كثير من المؤلفات بعده، وفيه من خصب الشعور، ودقة الحس، وجمال الفن، وصفاء التعبير، وأصالة الطبع، ما يجعله أصدق مصدر.

ومن ضمن ذلك التراث الأدبي والذي مالت نفسي له كتاب (**مقدمة في صناعة النظم والنثر**) لعلامة عصره شمس الدين محمد بن حسن النواجي ـ رحمه الله ـالمتوفى سنة: [٨٥٩هـ] .

وهوكتاب جدير بالدراسة والتحليل ، حيث مُلئ بنتاج الشعراء والأدباء ، إضافة إلى احتوائه على أبرز القضايا وأهمها في الشعر العربي. مما كان سببا في تميز الكتاب ، وجعله مرجعا مهما للشاعر المبتدئ؛ بل ومنهجا واضحا اتصف بالاختصار والتركيز .

وهذا المؤلَّف الذي يمثل قيمة أدبية كبيرة بما حواه من فوائد جمة، يُعدُّ من النتاج الأدبي الذي كان له دورٌ رئيس في تشكيل الثقافة العربية وإثرائها، وتأصيل جذوره بالتراث العربي القديم.

أضف إلى ذلك أن مؤلفه علاّمة مصر النَّواجي الذي ألمّ بأغلب العلوم وأهمها فتفقه وتأدب، وروى الأحاديث بأسانيدها وأدرك ضعيفها وصحيحها، وحفظ الأخبار ودققها، واستظهر الأشعار ومحصها، وحوى السير، وفاز في علوم العربية بالسهم الأوفر، وجوّد القرآن بالسبع والعشر، وعرف ظاهر تفسيره، وتقصى مذاهب الأدباء من عصر الجاهلية حتى عصره، وتعلم الخط الجيد، وتناول أغلب فنون عصره وأبرزها بأسلوب جذاب رائع فحلل وعلل وانتقد؛ لغزارة علمه وسلامة ذوقه وثقته بنفسه .

و بعد استخارة الله تعالى، ثم استشارة أهل العلم والاختصاص، اختيرت هذه الدراسة الأدبية من كتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر، وكان العنوان المختار: **القضايا النقدية في كتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر للنواجي "دراسة وتقويم"**.

و ستُعْرض من خلال هذه المقدمة أهمية الدراسة و أسباب اختيارها للموضوع ، وما يتعلق به من دراسات سابقة ، و عرض لخطة الدراسة ، وتفصيل ذلك كالآتي :

ويمكن إبراز أهمية هذه الدراسة في :

١- تأسيس الشاعر المبتدئ تأسيسا متصلا بالأصول القديمة.

٢- احتواء كتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر على جملة من نصوص النقاد والأدباء من عصر سابقيه.

٣- تميز المؤلف باتزان طبعه، وسلامة ذوقه، وطول باعه، وسعة علمه في شتى الفنون ، مما يدعو الباحث للنهل من علمه ومؤلفاته.

٤- ذكر المؤلف بعض الوصايا التي تميز بها عن غيره، وإشادته بوصايا من قبله ، والتي جاءت في معرض التأييد، كما ستبين الدراسة .

٥- بالإضافة إلى أن كل بحث علمي يطرق به الباحث أبواب العلم والمعرفة من أصول العربية جدير بالاهتمام والدراسة.

إن اشتغال طالب العلم بالدراسة والبحث في كتب التراث القديم يعود عليه بفائدة بالغة في ثقافته اللغوية و مرجعيته الفكرية ؛ ولذا فإن **من الأسباب التي دعت لدراسة هذا الموضوع** :

١- تَطرُّق المؤلف لقضايا تميز بها عن غيره وسيبرزها البحث .

٢- تفرد الكتاب بقصائد ومقطوعات نثرية لم تجد لها الباحثة تحقيقا أو تخريجا على حد علمها .

٣- الإفادة من البحث في كتب التراث القديمة، والتي تعين على تأصيل قواعد أساسية في علم الأدب والنقد والبلاغة.

٤- في دراسة هذا الكتاب خدمة لطلاب العلم في تخصص علوم اللغة ، وبالذات

في النقد التوجيهي.

منهج الدراسة :.

حتى يُتمكن من تحقيق أهداف الدراسة و إبراز أهميتها أُستخدم منهجان في ذلك هما :

الأول : المنهج الوصفي التحليلي وهو استخلاص القضايا النقدية من كتاب المؤلف ووصفها وعرض آراء النقاد لها مع التحليل و النقد ، وظهر من خلال الاستقصاء أن الكتاب احتوى على اثنتي عشرة قضية متأرجحة بين الشعر والنثر ، واستقراء موقف النقاد، وإبراز رأي النواجي في ذلك مع التحليل و النقد إن أمكن .

الثاني : المنهج التاريخي الذي أُسْتخدم ضمنا لتتبع آراء النقاد في القضايا التي تناولها النواجي في كتابه .

ولتحقيق فكرة الدراسة اتبع البحث منهجا معينا في معالجة القضايا الأدبية وهو على النحو التالي :

١_تناول جميع القضايا النقدية التي أشار إليها المؤلف.

٢- استعراض كل قضية على حده بعد الاستقراء والجمع لأقوال النقاد الذين تناولوها على حسب الترتيب الزمني والتاريخي لهم، من القرن الثالث إلى القرن التاسع ، وهو عصر المؤلف .

٣- في كل قضية : إبراز مفهومها ومدلولها.

٤- استعراضها عند أغلب النقاد ، وإظهار تباين آرائهم في القضية وتناول المؤلف لها ورأيه فيها.

٥- مسايرة المتعارف عليه في الأبحاث العلمية من عزو للآيات وتخريج للأحاديث وتوثيق للنصوص وتعريف للغريب وترجمة لبعض الأعلام وذكر للفهارس المختلفة.

الدراسات السابقة :

استعرض من خلال البحث الإلكتروني في مكتبة الملك عبدالله الرقمية التابعة للمكتبة المركزية بجامعة أم القرى عما يلامس البحث ولم تظهر النتائج أي بحث بالعلامة النواجي، إلا أن الباحثة حصلت على كتاب نظرية الإبداع الشعري عندالنواجي للبنداري ،واقتصر البحث على دراسة المحقق الدكتور محمد عبدالكريم لكتاب مقدمة في صناعة النظم والنثر للنواجي ، والتي تقع في عدة صفحات للتعرف على شخصية المؤلف، والتي تناول فيها المحقق:

١- التعريف بالمؤلف: (نسبه – مولده – قراءاته – شيوخه) .

٢- الحديث عن مكانته العلمية، ومكانته الأدبية، مستشهدا بأقوال العلماء فيه.

٣- الإشادة بأسلوبه السهل السائغ لمن يسمعه ويقرؤه.

٤- ذكر مدلول الأدب عنده، فهو مظهر شامل للحياة، ومعرض لنتاج الفكر الإنساني، والشعور البشري.

٥- عرض مكانته الاجتماعية ورحلاته العلمية.

٦- سرد بعض من رصيده الثمين في مختلف العلوم والفنون.

٧- تحليل الكتاب في دراسة موجزة ذكر فيها: (عنوانه – موضوعه – ملخص محتواه).

خطة الدراسة :

تضمنت الخطة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تتبعها الفهارس وقائمة المحتويات.

الفصل الأول ـ قضايا نقد الشعر:

تناول النواجي مجموعة من القضايا الشعرية في كتابه، وأشار في أثناء كلامه إلى الأمور التي يجب على الشاعر التزامها قبل صياغة الشعر، والتي تناولها ابن طباطبا من قبله ـ وغيره ـ وسمّاها بأدوات الشعر، وخلص البحث إلى تسمية تلك الأمور بثقافة الشاعر وأدواته.

ويمكن تناولها في عشرة مباحث:

- **المبحث الأول ـ قضية حد الشعر وتعريفه.**
- **المبحث الثاني ـ قضية اللفظ والمعنى.**
- **المبحث الثالث- قضية تهذيب الوزن.**
- **المبحث الرابع- قضية ثقافة الشاعر وأدواته.**
- **المبحث الخامس- قضية عمل الشعر وتهذيبه وتنقيحه.**
- **المبحث السادس- قضية المبادئ والمقاطع وبراعة الاستهلال.**
- **المبحث السابع ـ قضية تمكين القوافي وتهذيبها.**
- **المبحث الثامن ـ قضية نثر المنظوم.**
- **المبحث التاسع ـ قضية براعة التخلص.**
- **المبحث العاشر- قضية التشبيه القبيح.**

الفصل الثاني ـ قضايا نقد النثر.

ويمكن تناولها في مبحثين:

- **المبحث الأول ـ قضية السجع.**
- **المبحث الثاني ـ قضية البلاغة والفصاحة .**

الفصل الثالث ـ مصادر المؤلف، وهي التي أخذ منها المؤلف بعض القضايا.

ومن تلك المصادر:

المبحث الأول ـ كتاب نقد الشعر. لقدامة بن جعفر(٣٣٧هـ).

المبحث الثاني ـ كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لابن رشيق (٣٦٣هـ).

المبحث الثالث ـ كتاب تحرير التحبير. لابن أبي الإصبع (٦٤٠هـ).

المبحث الرابع ـ كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب. لابن حجة الحموي (٨٣٧هـ).

و الخاتمة :

وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات.

و الفهارس وتشتمل على:

- **فهرس الآيات القرآنية.**
- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- **فهرس الأعلام.**
- **فهرس الدوريات.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **قائمة المحتويات**

التعريف بالنواجي

هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي أصلا، القاهري مولدا. ولد بالقاهرة سنة ٧٨٨ هـ.

حفظ القرآن الكريم وأتقنه رسماً وتجويداً، و استظهر عدة متون في مختلف الفنون، عبّأ حمولته بفنون العصر، فتفقه وتأدب، وحاز قصب السبق في علم العقائد، وروى الأحاديث بأسانيدها، وأدرك ضعيفها وصحيحها، وحفظ الأخبار ودققها، واستظهر الأشعار ومحصها، وحوى السير بما فيها من غث وسمين، وفاز في علوم العربية بالسهم الأوفر.

تقصى مذاهب الأدباء، فانتقد منظومهم وغربل منثورهم، وراح يحلل نتاجهم ويعلل أذواقهم، فكشف عن رأيه فيما لهم، وما عليهم، ولعل ذلك راجع إلى غزارة علمه، وسلامة ذوقه، وثقته بنفسه.

أسلوبه أسلوب سهل سائغ لاريب فيه، يقرط الأسماع عند قراءته، ويشحذ القرائح لدى تفهمه، فلا غريب في لفظه ولا ابتذال في معناه.

اتصف بحدة الطبع، وحرارة المزاج، وشدة اللهجة، وصراحة التعبير، وشماخة الأنف، وعزة النفس، وسرعة الغضب، وكثرة الرضا، ولعل صراحته الأدبية أجنت عليه وألبت عليه من وقف ضده. توفي سنة ٨٥٩ هـ. (١)

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمد بن عبدالكريم، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

الفصل الأول

قضايا نقد الشعر

وفيه عشرة مباحث:

- المبحث الأول - قضية حد الشعر وتعريفه.
- المبحث الثاني - قضية اللفظ والمعنى.
- المبحث الثالث - قضية تهذيب الوزن.
- المبحث الرابع - قضية ثقافة الشاعر وأدواته
- المبحث الخامس- قضية عمل الشعر وتهذيبه وتنقيحه
- المبحث السادس - قضية المبادئ والمقاطع وبراعة الاستهلال
- المبحث السابع- قضية تمكين القوافي وتهذيبها.
- المبحث الثامن- قضية نثر المنظوم.
- المبحث التاسع- قضية براعة التخلص.
- المبحث العاشر- قضية التشبيه القبيح.

* * * ** * * *

المبحث الأول - قضية حد الشعر وتعريفه

تعريف الشعر :

قضية (حدّ الشعر) هي أولى قضايا الفصل الأول، في قضايا نقد الشعر التي تحدث عنها النواجي(**ت٨٥٩هـ**)[١] في كتابه(مقدمة في صناعة النظم والنثر).

فالشعر فن من الفنون العربية القديمة ، يعبرالشاعر من خلاله عن تجاربه وأحاسيسه ومشاعره ومطالبه ، وَكَانَ فى الْجَاهِلِيَّة عِنْد الْعَرَب ديوَان علمهمْ ومنتهى حكمهم بِهِ يَأْخُذُونَ وَإِلَيْهِ يصيرون.[٢]

وكان فنهم المفضل لديهم ، الذي يتباهون به ، وأكد هذا صلى الله عليه وسلم في قوله **:** " لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين "[٣]**.**

جاء في لسان العرب[٤]: "الشعر: شَعَرَ به وشَعُرَ يَشْعُر شِعْراً وشَعْراً ،

---

(١) هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي الشافعي المصري الإمام العلامة الأديب، مات في سنة (٨٥٩هـ). انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٧/ ٢٩٤).

(٢) طبقات فحول الشعراء. (٢٤/١) محمد بن سلام الجمحي، دار المدني - جدة، تحقيق : محمود محمد شاكر.

(٣) أخرجه السبكي في كتابه ولم يجد له إسنادا (الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا من كتاب طبقات الشافعية الكبرى المؤلف : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي
٧٢٧ هـ/ ٧٧١ هـ - تحقيق د. محمود محمد الطناحي / د.عبد الفتاح محمد الحلو
النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ ص ٣٧**)** وللحديث قصة أصلها في صحيح مسلم ١٠٦٠، إلا أن لفظ لاتدع ..... غيرمذكورة فيه .

(٤) هومحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوى الحجة. ولد سنة (٦٣٠هـ) وتوفي سنة (٧١١ هـ).انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١٥/٦). الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن =

والشِّعْرُ منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإِن كان كل عِلْمٍ شِعْراً من حيث غلب الفقه على علم الشرع والعود على المندل والنجم على الثريا ، ومثل ذلك كثير"(١).

فعرف الشعر بالنظم وغلب عليه لتميزه بالوزن والقافية عن غيره من النثر- ومن ذلك أن الشعرشعور، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لعبدالله بن رواحة: " أخبرني ما الشعر يا عبدالله ؟ فأجابه شيء يختلج صدري فينطق به لساني " (٢).

فأدرك عبدالله بن رواحة أن الشعر شعور يكمن داخل الصدر يخرجه اللسان معبرا عما يحس به قائله .

وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الشِّعْرُ كَلَامٌ حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ وَقَبِيْحُهُ كَقَبِيحِهِ " (٣) .

فمقياس الرسول الكريم للشعر وصلاحه ، ما طابق الحق فهو الكلام النافع والحسن، وما جافى الحق فهو القبيح الذي لا خير فيه .

= علي بن محمد العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ط٢، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.

(١)لسان العرب ،مادة [شعر] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت،ط١.

(٢) هذا الحديث لم أجده في كتب الحديث ، ولكن وجد في كتاب العقد الفريد - أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي المتوفى: ٣٢٨هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ،وانظرنظريات الشعر عند العرب (١/ ١٩٤) د.مصطفى الجوزو دار الطليعة – بيروت ١٩٨١.

(٣) ذكره اليوسفي صاحب زهرالأكم في الأمثال والحكم ٤٨/١دون إسناد.

واستنادا لما سبق فلم نجد تعريفا صريحا للشعر عندالنواجي، وإنما وصفٌ له ولمضمونه .

وعند تتبع تعريف الشعر لدى النقاد القدماء نجد أن كل ناقد حاول أن يقدم تعريفا للشعر وضبطه بخصائص تميزه عن غيره ، وبالرغم من ذلك فإنَّ بعضهم وجد أن وضع حد للشعر أمر صعب المنال .

فللشعر صناعة وصانعها الشاعر شأنها في ذلك شأن سائر الصناعات ، وتكتمل بالثقافة والإلمام بالمعارف بأنواعها المختلفة ، وقد أبان عنها **ابن سلاّم (٢٣١هـ)**(١) في تعريفه للشعر بقوله : " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائرأصناف العلم والصناعات ...ليس لجودته صفة ، وإنما هو شي ء يقع في النفس عند المميز ، ويعرفه الناقد عند المعاينة "(٢) .

فابن سلاّم يشير في تعريفه للشعر إلى أنه صناعة مزجت بين الشكل والمضمون يعني اللفظ والمعنى. إضافة إلى ذلك احتواؤه على الثقافة والعلوم والمعارف المتنوعة ، وأنَّ حقيقة الشعرمتصلة بالمشاعر والعواطف ، متميز عن غيره من الفنون في الإحساس به ، يتعرف عليه الناقد بما اختص به الشعر من خصوصية اختلفت عن غيره .

وهناك من جعل جُلَّ تركيزه في تعريفه للشعر على اللفظ وأهميته ، وهذا ما وجدنا

---

(١) هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري، الجمحي (أبو عبد الله) أديب لغوي، أَخباري، راوية، حافظ.قدم بغداد، وتوفي سنة: (٢٣١هـ) وهو من أبناء التسعين.من آثاره: طبقات الشعراء الجاهليين، طبقات الشعراء الإسلاميين، بيوتات العرب، غريب القرآن، والجلاب وأجر الخيل. تاريخ بغداد (٥/ ٣٢٧) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن قتيبة (٥/١).

لدى **الجاحظ (٢٥٥هـ)**(١)؛ حيث خالف ابن سلاّم في رأيه الذي مزج الشعر بين اللفظ والمعنى، بخلاف الجاحظ الذي جعل ملاك الأمر إقامة اللفظ وتخيره وذهب إلى استحسان المعنى، وقال:" إنَّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير"(٢).

فالمعاني عنده ممتدة ومبسوطة ، يعرفها كل من أتى عليها ، وتعتمد على صاحبها وتجاربه فيها ، وملاك الأمر وقوامه اللفظ وتخيره ، فيصوغ الألفاظ صياغة متفردة متميزة من حيث إقامة الوزن وتجانسه في الكلام ، ومناسبته للمعنى ، ثم سهولة المخرج والابتعاد عن تعقيد الألفاظ وصعوبتها ، وصحة الطبع وجودة السبك التي تبعده ، بل وترفعه عن الركاكة والرداءة والقبح . فالشاعر عنده يصنع وينسج ويصور ، وهذه كلها أعمال حرفية يقوم بها الشاعر، وكأنه فنان يبرز معانيه ومقاصده برسمه للوحته فيظهر منها الجانب الذي يريد إبرازه لمن حوله بطريقته، فيجيد ويبدع .

وكأن الجاحظ بكلامه هذا قد حدد لنا عناصر الشعر الأساسية ، وعلى الرغم من

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، كان عالماً أديباً ،وله تصانيف في فنون كثيرة، وإليه تنسب الطريقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبوعبد الله، مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤١٣هـ، ط٩، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

(٢) الحيوان (٥٢/١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، لبنان/ بيروت.

ذلك فإن هذا الأمر كان محط اتهام للجاحظ في أنه من أنصار اللفظ الذي رفع شأنه وأعلى ذكره ، وقلل من المعاني وقيمتها .

وعند النظر إلى نصوص الجاحظ ومقولاته في كتبه تجد الباحثة أن الجاحظ قد أولى المعنى اهتماما كالذي أولاه للفظ ، وربما لم يذكر المعاني كالألفاظ في تعريفه للشعر؛ لأن من المفترض أن تكون المعاني في نفس كل إنسان ، فهي نابعة من تجاربه وخبراته وعواطفه وإحساسه ، كما أن النقاد نادوا بتوارد المعاني واشتراكها ولم ينادوا بذلك في اللفظ ، بل عدّوا تشابه الألفاظ سرقة ؛ فالأمر كله إذن يعتمد على اللفظ وتخيره ونظمه كما قال الجاحظ .

كما يرى الجاحظ أن الشعر حديث الميلاد، صغير السنّ، أوّل من نهج سبيله، وسهّل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، وغيرهما(١).

والشعر لديه لا يُترجم حتى لا يذهب رونقه و بهاؤه وتختلط ألفاظه وتتقطع نظمه وتبطل أوزانه ، ويذهب حسنه .

وفي هذا يقول :" والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب "(٢).

وجاء بعد ذلك **ابن قتيبة (٢٧٦ هـ)** (٣)الذي اختلف عن **ابن سلاّم** و**الجاحظ**

---

(١) الحيوان ،للجاحظ (٥٢/١).

(٢) المصدرنفسه (٥٣/١).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم، المروزي الدينوري، أصله من أسرة فارسية، ولد سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة المأمون، ونشأ في بغداد، وتتلمذ على يد عدد كبير من العلماء وأعلام عصره ، من مؤلفاته : أدب الكاتب ،اختلاف الحديث، تأويل مشكل القرآن وغيرها ، توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦هـ، مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

فلم يقدم تعريفا خاصا للشعر، ولم يتعامل أصلا مع الشاعر،بل مع الشعر، حيث جعل الحكم عليه يظهر في ثلاثة مستويات جيد ووسط ورديئ ، فنحا بذلك منحىً آخر من التحليل والتقسيم إلى أربعة أضرب فقال : " تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :

١- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل فى بعض بنى أميّة (بحر البسيط) :

في كفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ...من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شمَمُ
يُغُضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِن مَهَابَتِه ... فَما يُكلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ(١) .

لم يقل فى الهيبة شىء أحسن منه.

٢- ضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى، كقول الشاعر (بحر الطويل) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بالأَرْكانِ مَنْ هُو مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى دُهْمِ الْمَطَايَا رِحَالُنا ... وَلَمْ يَنْظُر الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الأَبَاطِح (٢)

٣- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول **لبيد بن ربيعة**:

ما عَاتَبَ المَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ ... والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ (٣)

---

(١) ديوان الفرزدق (٢/ ١٧٩).

(٢) ديوان ذي الرمة (ص ٩٠١) .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة (٣٤٩)

هذا وإن كان جيّد المعنى والسبك فإنّه قليل الماء والرّونق(١).

٤- وضرب منه تأخّر معناه وتأخّر لفظه، كقول **الأعشى**(٢) في امرأة:

وفُوها كَأَقَاحِيَّ ... غَذَاهُ دَائمُ الهَــطْلِ
كما شِيبَ برَاحٍ بَا ... رِدِ مِنْ عَسَل النَّحْل(٣)

وبذلك رأى **ابن قتيبة** الشعر في الأضرب الأربعة السابقة ، واتسم تقسيمه للشعر فيها بالوضوح وقوة الاستدلال .

ثم جاء من قيَّد الشعر بالنظم وميَّزه بالبلاغة والبراعة والبيان وهو الناشئ **الناشئ الأكبر(٢٩٣هـ)** (٤)الذي اختلف عمن سبقه من النقاد ،بل وتميز عنهم بتعريفه للشعر وتقييده له بالنظم وتمييزه بالبلاغة والبيان فقال : " الشعر قيد الكلام ، وعقال الأدب وسور البلاغة ، ومحل البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرح البيان ، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المترسل وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ،

---

(١) الشعروالشعراء، لابن قتيبة ص٣

(٢) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، وهو المعروف بأعشى قيس، شاعر جاهلي، وأحد شعراء المعلقات، عمر طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، توفي في قرية منفوحة سنة ٧هـ. انظر: طبقات فحول ا لشعراء (٥٢/١) والأغاني(١٠٨/٩) أبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر - بيروت، ط٢، تحقيق: سمير جابر .

(٣) الشعروالشعراء، ص٣

(٤)هو عبد الله بن محمد، الناشئ الأنباري، أبو العباس: شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري. أصله من الأنبار، أقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر، فسكنها وتوفي بها سنة: (٢٩٣هـ) من مصادر ترجمته: - تاريخ بغداد: الخطيب(٩٢/١٠ – ٩٣) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت وشذرات الذهب: (٢١٢/٢).

وعصمة الهارب ، وعذر الراهب ، وفرحة المتمثل ، وحاكم الإعراب، وشاهد الصواب "[1].

فخصّ الشعر بالنظم وميز النظم بالبلاغة والعاطفة والبراعة خاصة ، كما يراه وسيلة لغايات عملية كثيرة ، فهو ، إن صح القول فن نافع .

فالناشئ نظر إلى الشعر على أنه نظام أولا ، و حياة ثانيا ، و صنعة ثالثا ، وتنويع بين الأساليب رابعا[2].

وهذا ما أكده **د. مصطفى الجوزو**[3] من أن الناشئ الأكبر أول من عرّف الشعر بالنظم منكرا الغريب والمحال فيه ، ومن قوله : (بحر الخفيف)

إنَّما الشِّعر مَا تَنَاسَب في النّظـ ـم وإنْ كَان في الصِّفاتِ فنُونَا

فَأتى بعْضه يشَاكِل بَعضًا قَدْ أقامَتْ لَه الصُّدور المتونَا[4]

كما أشار **د. إحسان عباس** أن تعريف الناشئ الأكبر للشعر يشير إلى طبيعة

---

(١)البصائر والذخائر (١/ ٢٧٧) أبو حيان التوحيدي، بتحقيق الدّكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت ١٩٨٤م.

(٢)انظر: نظريات الشعر عند العرب، للجوزو (١٩٦/١)

(٣) هو مصطفى بن علي بن محمد بن إبراهيم الجوزو، أستاذ الأدب العربي ولغوي وشاعر وباحث وذو إطلالات صحافية هامة وسليل أسرة شعراء برجاوية، وهو صاحب كتاب نظريات الشعر عند العرب.انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki

(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (١١٣/٢) ابن رشيق- أبو علي الحسن القيرواني، ١٩٨١ - تحقيق محيي الدين عبد الحميد - ط٥، دار الجيل - بيروت .

الشعر من حيث إنه مقيد بإيقاع[١].

ويبرز **ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ)** [٢]الفرق بين الشعر والنثر بالنظم الذي أساسه الوزن فإن خلا الشعر منه نفرت الأسماع وفسد الذوق فقال في ذلك : "الشِّعْرُ كلامٌ منظومٌ بَان عَن المنثور الَّذِي يَسْتعملُهُ النَّاس فِي مخاطباتهم بهَا خُصَّ بِهِ من النَّظم الَّذِي إنْ عُدِل بِهِ عَن جِهَتِهِ مَجَّتْهُ الأسْمَاعُ وفَسَدَ على الذَّوْق. ونَظْمُهُ معلومٌ محدودٌ؛ فَمَنْ صَحَّ طَبْعُهُ وذَوْقُهُ لم يَحْتَجْ إِلَى الاستعانَةِ على نَظْمِ الشِّعر بالعَرُوض الَّتِي هِيَ مِيزَانه، وَمن اضطَرَب عَلَيْهِ الذَّوقُ لم يَسْتَغْنِ عَن تَصْحيحهِ وتَقْويمهِ بمَعْرفِة العَروضِ والحِذْقِ بهَا حَتَّى تَصِير معرفَتُهُ المُسْتفادةُ كالطَّبع الَّذِي لَا تَكَلُّفَ مَعَه. [٣]".

فخطا بهذا **ابن طباطبا** خطى **الناشئ الأكبر** في تقييده الشعر بالنظم و وافقه في ذلك .

وقد نتوقف عند مصطلح النظم ، فهذه الكلمة لاتعني دائما إقامة الوزن

---

(١) انظر: تاريخ النقد الأدبي. (ص٥٢). د/ إحسان عباس، ط٤، ١٩٨٣ ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(٢)ابن طباطبا: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن: شاعر مفلق وعالم بالأدب، وفاته سنة:(٣٢٢هـ) بأصبهان له كتب، منها " عيار الشعر، و " تهذيب الطبع " و " العروض " قيل: لم يسبق إلى مثله.وأكثر شعره في الغزل والآداب. انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٣١٢).

(٣)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٥). محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي. تحقيق د/ طه الحاجري ود/ محمد زغلول سلام المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٥٦م.

الشعري، بل كثيرا ماترد بمعنى حسن التأليف[١] .

كما جعل **ابن طباطبا** صحة الطبع والذوق مقياسا لمعرفة نظم الشعر ، ومن فقدهُما لزم عليه معرفة العروض والحذق بها حتى يتمكن الشاعر من معرفة وتصحيح وتقويم النظم كصاحب الطبع والذوق .ثم أشار إلى اختلاف الناس في معانيهم كاختلاف صورهم وأخلاقهم وعقولهم فيقول في ذلك :" الشِّعرُ مُتَشابهُ الجُمْلة مُتَفَاوتُ التَّفْصِيل، مختلّف كاختلاف النَّاس فِي صُوَرهم وأصْوَاتهم وعُقَولهم وحُظُوظهم وشَمَائِلهم وأخْلاقِهم، فهم مُتَفاضِلُون فِي هَذِه المَعَاني، وَكَذَلِكَ الأشْعَارُ هِيَ متفاضِلَةٌ فِي الحُسْنِ على تَسَاويهَا فِي الجِنْسِ.ومواقِعُها من اخْتِيَار النَّاس إيَّاهَا كَمواقِع الصُّور الحَسَنة عِنْدهم واختيارِهْم لما يَسْتحسِنونه مِنْهَا، ولِكُلِّ اختيارٌ يُؤثُرهُ، وهَوَىً يَتْبعُهُ وبِغْيَةٌ لَا يَسْتبِدلُ بهَا وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهَا "[٢] .

ورأي **ابن طباطبا** في المعاني أنها مختلفة من شاعر لآخر رأيٌ يوافق الجاحظ الذي رأى أن المعاني مطروحة في الطريق لكل من أتى عليها كائنا من كان.

ويُعدُّ **قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)**[٣] من أوائل النقاد الذين عرّفوا الشعر حيث

---

(١)انظر نظريات الشعر، للجوزو (١٩٦/١).

(٢)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص١٠).

(٣) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي، أثنى عليه الخطيب البغدادي ثناءً كبيرا؛ لمعرفته وسعة اطلاعه في فنون الأدب والعلم، وقال عنه: أنه أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم، ونعته بوفرة الأدب وحسن المعرفة، وله مؤلفات في صناعة الكتابة، توفي عام ٣٢٩هـ، الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، الناشر: دار الرشيد للنشر، بغداد.

عرّفه بقوله :" الشعرقول موزون مقفى يدل على معنى "[1].

فانفرد بهذا التعريف عمن سبقه ، وفصّل التعريف ، بقوله : " الشعر قول ، يعني دل على أصل الكلام أي أنه جنس.

وقوله : موزون : فصله عما ليس بموزون .

وقوله : مقفى: فصل بين الكلام الموزون بقواف، وبين ما لا قوافي له.

وقوله : يدل على معنىً: فصل ما كان من القول الموزون المقفى والذي يدل على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى [2].

وجعل قدامة الشعر مكونا من أربعة عناصر : اللفظ والمعنى والوزن والقافية، كما ربط الشعر بالوزن والموسيقى .

ونظرا لتأثر قدامة بالثقافات اليونانية وغيرها من الثقافات المتنوعة فقد عرّف الشعر بهذا التعريف المفصل والذي قد تأثر به من كان في عصره ومن جاء بعده، بل هناك من النقاد من كرَّر لفظ قدامة في تعريفه للشعر تأكيدا منهم على تأييدهم وإعجابهم به فجعلوه مرجعا ومنهجا لهم .

والنظم من مراتب الشعر العالية التي أشيد بها عند **أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)**[3] فجاء في كتابه الصناعتين مؤكدا لذلك قوله : " فمن

---

(١) انظر: نقد الشعر (ص٣). قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي مصر، ط٣.

(٢)المصدرنفسه.

(٣) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال.عالم بالأدب، توفي سنة: (٣٩٥هـ)تآليفه كثيرة منها: (ديوان المعاني)، و(الفروق في اللغة)، و(جمهرة الأمثال)، و(كتاب الصناعتين): النظم والنشر. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين =

مراتبه العالية التي لايلحقه فيها شئ من الكلام : النظم الذي به زنة الألفاظ وتمام حسنها "[١] .

وحصر **أبو هلال العسكري** الشعر بالنسج والنظم في قوله : " والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم"[٢] .

فوافق أبو هلال العسكري برأيه هذا الناشئ الأكبر و ابن طباطبا في تمييز الشعر بالنظم.

ويظهر هنا بل ويتأكد أن النظم يبدو وكأنه الكلام المتميز بالوزن نظرا لقول أبي هلال العسكري حين قال: (النظم به زنة الألفاظ ... ولفظ منظوم)

وللشعر فضائل تميز بها عن غيره من الكلام وأورد منها أبو هلال العسكري في قوله : ومما يفضل به عن غيره طول بقائه على أفواه الرّواة، وامتداد الزمان الطويل به؛ لإرتباط بعض أجزائه ببعض؛ وهذه خاصة له فى كلّ لغة، وعند كلّ أمة؛ وطول مدة الشىء من أشرف فضائله . وكذلك لا تُعرف أنساب العرب وتواريخها وأيّامها ووقائعها إلّا من جملة أشعارها؛ فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها،ومستودع علومها [٣].

= والنحاة(١/ ٥٠٦)جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية لبنان / صيدا.

(١) كتاب الصناعتين (ص١٣٧) أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٦.

(٢)المصدرنفسه (ص٦٠).

(٣)المصدرنفسه (ص١٣٧).

لذلك كان الشعر مرجعا للعرب في أنسابها وعلومها وغير ذلك فهو كما قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : " الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه"(١).

فلم يتفوق لديهم علم آنذاك كعلم الشعر فنظموا فيه كل ما أدركته حواسهم ، وخالج مشاعرهم وداعب حواسهم .

" وقد قيل: لا شىء أسبق إلى الأسماع، وأوقع فى القلوب، وأبقى على الليالى والأيام من مثل سائر، وشعر نادر " (٢).

وكما تميز الشعر بالوزن والقافية ، فقد تميز ، كذلك، ببقائه في صدور أصحابه وأفواههم ، وطول بقائه لارتباط بعضه ببعض ، وكذلك معرفة أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم كل ذلك نعرفه من الشعر .

وخصّ **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)**(٣) فضل الشعر بباب في كتابه العمدة، بل وبدأ به ، وقسَّم كلام العرب إلى قسمين منظوم ومنثور، فقال : " كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها

(١)كتاب دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمربن الخطاب رضي الله عنه وسياسته الإدارية المؤلف : عبد السلام بن محسن آل عيسى الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٢

مصدر الكتاب : موقع مكتبة المدينة الرقمية (١/١٨٨)

(٢)كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص١٣٧).

(٣)ابن رشيق هو : الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي، أديب، ناقد، باحث، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر. انتقل إلى جزيرة صقلية وتوفي فيها سنة: (٤٦٣هـ)، كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده)، (وقراضة الذهب) في النقد، و(الشذوذ في العلة)، وغيرها الكثير. انظر: بغية الوعاة (١/ ٥٠٤).

الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز نفوسها إلى الكرم، وتدل أبنائها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام؛ فلما تم لهم وزنه سموه شعرًا؛ لأنهم قد شعروا به، أي: فطنوا له." (١).

فابن رشيق يظهر لنا وكأن طبيعة الشعر عند تأليفه وإنشاده فيه من التباهي والتفاخر ما أشبع حاجة العرب من التغني بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها .... وهذا قد يكون الفارق الذي تميز به الشعر عن النثرفي الوزن والإيقاع ، فوجد فيه العرب ما يشبع رغباتهم وميولهم .

وجاء قوله في حد الشعر : " إنّ الشعر يقوم ، بعد النية ، من أربعة أشياء، وهي: اللفظ ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر؛لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية "(٢).

فكان موافقا لرأي قدامة في حده للشعر مضيفا عليه النية والقصد.

بل وجعله شرطا من شروطه فمتى كان الشاعر صادقا في ألفاظه ومعانيه وصل ذلك إلى المتلقي بإحساس مؤثر فيه ، وهذا ما رمى إليه ابن رشيق من النية والقصد فما خلا من ذلك فليس بشعر في رأيه ، وقد أكد هذا بقوله : " وإنما سمي الشاعر شاعراً؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن،

(١)العمدة، لابن رشيق (ص٢٠).

(٢)المصدر نفسه (ص١١٩).

وليس بفضل عندي مع التقصير.." [١].

وشبه **ابن رشيق** بيت الشعر كبيت البناء فجعل أساسه وقاعدته التي يستند عليها الطبع، وقوته ومتانته وسمكه الرواية ، وقوائمه التي يعتمد عليها وأعمدته ودعائمه العلم ، وجعل سهولة تناوله والتعود عليه وبابه الدربة ، أما محتواه ومضمونه وساكنه فهوالمعنى .فقال " والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة ، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغنى عنها "[٢].

فعوّل بهذا على الطبع وجعله الأساس في الشعر فوافق بذلك الجاحظ مع إضافته للنية والقصد .

وكما سبق القول أنَّ تعريف قدامة للشعر كان منهجا لأغلب من جاء بعده ، وها هو **ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ)**[٣] يكرر تعريف الشعرعند قدامة بنصه

---

(١)العمدة، لابن رشيق (ص١١٦).

(٢)المصدر نفسه (ص١٢١).

(٣)هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي العالم الشاعر الأديب، ولد سنة ٤٢٢هـ، وهو من بني خفاجة، وكان أبوه من أشراف حلب، ولمّا شبّ أحذ العلم والأدب على علماء عصره، وكان أسلوبه أسلوباً أدبياً علمياً ممتاز، لا يطغى فيه ذوق الأديب على ذوق العالم، توفي سنة ٤٦٦هـ رحمه الله، سر الفصاحة، للخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

دون إضافة، " وأما حد الشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى " [١]

ويفسرها بنفس تفسير قدامة [٢].

وكذلك **أسامة ابن منقذ(ت٥٨٤هـ)** [٣] كرر حد قدامة للشعر بأركانه في قوله: " الشعرقول موزون مقفى دال على معنى، وله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وبينهما وسائط.

والمعنى للشعر بمنزلة المادة، والشعر فيه بمنزلة الصورة. وهو أربعة أشياء: لفظ، ومعنى، ووزن، وقافية" [٤].

كما اقتبس أسامة بن منقذ رأيه في أن المعنى كالمادة للشعر، والشعر هو الصورة[٥].

---

(١)سر الفصاحة(ص٢٨٦) الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، بيروت.

(٢) انظر: نقد الشعر، لقدامة بن جعفر (ص٣).

(٣)أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، من أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار، لم يكتفِ أبوه بتربيته الحربية بل كان يحضر له الشيوخ الكبار ليلعموه هو وأخوته، فسمع الحديث من الشيخ السنيسي وروى عنه، وقرأ علم النحو، ونشأ في مجتمع أدبي، حفظ كثير من الشعر القديم، وصفه الذهبي بأنه أحد أبطال الإسلام ورئيس الشعراء الأعلام، توفي عام ٥٨٤هـ، لباب الآداب لأسامة بن المنقذ، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٤)البديع في نقد الشعر(٢٨٩/١) أسامة بن منقذ الشيزري تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي - د. حامد عبد المجيد مراجعة: أ. إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة .

(٥) انظر: نظريات الشعر، للجوزو (٢٠٢/١).

وجاء من أضاف إلى حد قدامة في الشعر وهو **حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ)**(١) فجعل حد الشعر أقرب ما يكون إلى حد قدامة فقال : " الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه ، ويكره إليها ما قصد تكريهه ؛ لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ،بما يتضمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام ، أو قوة صدقة أو قوة شهرته ، أو بمجموع ذلك ، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب "(٢).

وذكر **القرطاجني** القصد وجعله أساسا في حده للشعر، فوافق قدامة بحد الشعر، ووافق ابن رشيق في القصد ، واختلف عمن سبقه في ذكره للتخييل والمحاكاة في الشعر، وفرق بين الشعر الجيد والشعر الردئ ؛ فالجيد ما كانت محاكاته حسنة ، وتأليفه حسنا وبه غرابة ، أما الشعر الردئ فيخلو من هذه الصفات ، كما أن الشعر الجيد يبعث على الانفعال ويثير الإعجاب" (٣).

وختام استعراض آراء النقاد في قضية حد الشعر وتعريفه كان برأي علَّامة مصر **النّواجي(ت٨٥٩هـ)** الذي عرَّف الشعر بقوله : " الشعر قول مقفى موزون

---

(١)هو حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني أبو الحسن، أديب من العلماء له شعر، من أهل قرطاجنة شرقي الأندلس، توفي سنة: (٦٨٤هـ) ، وله (ديوان شعر) و(سراج البلغاء). انظر: ترجمته في: شذرات الذهب(٥/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢)منهاج البلغاء وسراج الأدباء(ص٧١) أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: د.محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي-بيروت-ط٣، تونس،١٩٦٦ م.

(٣)في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم(٢٥/١)، الأستاذ الدكتور: عثمان موافي .دار المعرفة الجامعية.

بالقصد، يدل على معنى "[١].

فتأثر النّواجي بقدامة وإن كان قد جعل في تعريفه التقفية قبل الوزن ،وخصَّص الموزون بالقصد فشابه بذلك ابن رشيق و القرطاجني، واقتبس من قدامة أن المعنى للشعر بمنزلة المادة ، واللفظ بمنزلة الصورة، وسبقه إلى هذا أسامة ابن المنقذ ، كما وافق النّواجي ابن طباطبا حين قرن المعنى بالوزن مبينا ضرورة أن يكون المعنى مصوغا بتعبير موزون مقفى ، وذلك عند فصل ابن طباطبا بين الشعروالنثر بالوزن والتقفية.

وقد حافظ النّواجي على القالب الأصلي في تعريفه للشعرعند قدامة ، ولعله اكتفى بهذا لعدة أسباب ودوافع من أبرزها و المناسب لها في هذا الموضع ما علق عليه د.البنداري في كتابه الموسوم بنظرية الإبداع الشعري عند النّواجي حين وضح أن قدامة كان متأثرا بالمنطق الأرسطي للشعر في وضع حدود للتعاريف و شرحها و تفسيرها ، أما النّواجي فبحكم رؤيته الدينية - التي تظهر آثارها في الكثير من القضايا الشعرية - والتي تفرض عليه في ذلك الوقت عدم الالتفات إلى الفلسفة ، لما كانت تتجاوز الحد فيه على الله سبحانه وتعالى في الغيبيات إضافة ؛إلى أنه من المعلوم عن سيرة النّواجي أنه كان يبعد عن تفسير المفسر و يعتبره من نافلة القول بسط الفكرة و عرضها بالإيجاز و التركيز الشديدين[٢].

وأما بالنسبة لعنصر الخيال فقد وُجد عنده ولكن لم يذكره أو يُشر إليه ، وهذا لا يعني افتقاده له ، فالناظر إلى شعر النّواجي يرى الإبداع والتكامل بين ألفاظه

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر(ص٢٧)، النواجي، المحقق:د.محمد بن عبدالكريم، دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢)نظرية الابداع الشعري عند النُّواجي (ص ٣١). د. حسن البنداري، مكتبة الأنجلو٢٠٠٠م.

ومعانيه وفي تشبيهاته ومراثيه، فكيف يفتقر إلى عنصر الخيال وهو بهذا الإبداع.

وخلاصة التعاريف السابقة في هذه الدراسة الجمع بين الآراء:

فظهر أن أغلب النقاد قد أدلوا بدلوهم في تعريف الشعر ، فجاءت آراؤهم متباينة في أجزاء ومتطابقة في أخرى ، ومهما بُذل من جهد في إيجاد تعريفٍ يحتضنه الجميع لما كان لذلك سبيلا ؛ لاختلاف فنون الشعر وتباين أغراضه، وتعدد ضروبه ، فهو عند العرب عامة التعبير عن مكنون نفس الشاعر،فكيف بالأديب أو الناقد !

وعلى مايبدوأن خلاصة تلك التعاريف للشعرهو: أن الشعر قول منظوم بالوزن مقفى يقوم على القصد والنية .

المبحث الثاني: قضية اللفظ والمعنى

هذه القضية هي ثاني قضايا الشعر التي تحدث عنها النواجي ، وتُعدُّ من القضايا الكبرى التي تناولها النقاد القدامى ، وأتى عليها أغلبهم ، فتعددت الآراء فيها واختلفت ، وسعى كلٌ منهم سعيه ؛ ليحدد دور كلٍّ من اللفظ والمعنى في النص الأدبي وقيمته الفنية .

ومن أبرز الآراء التي تدارست أبعاد هذه القضية رأي **بشر بن المعتمر(ت٢١٠هـ)** (١) ؛ فالتوجيه الأدبي هو الذي دفعه إلى اتخاذ لغةٍ تساوي بين اللفظ والمعنى فيقول : " من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقها أن تصونها عما يفسدهما ويهجنهما"(٢) .

ومن خلال عبارته السابقة نجد أنه تبنّى هذا المبدأ النقدي وهو أن النظم الشعري لا يقوم إلا بالاثنين معا اللفظ و المعنى فقيّد المعنى الكريم باللفظ الكريم ، بل وجعل من حق المعنى الشريف كذلك اللفظ الشريف ، وأبان عن العلاقة التي تجمع بين اللفظ والمعنى ، فتعقيد اللفظ وغموضه يفسد شكل القصيدة وأثرها ، والمعنى الجميل يسمو بالصياغة والتعبير؛ فموطن الجمال في المعنى ، واللفظ والمعنى يكوّنان القصيدة بأروع ما تكون ، حين يكون اللفظ مستقيما والمعنى جميلا ، وعدَّ بشر صيانة اللفظ والمعنى من الفساد حقاً لهما على الشاعر، ومتى كان اللفظ واضحا سهلا والمعنى ظاهرا ومكشوفا استطاع الشاعر أن يخاطب به

---

(١)هو بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. من آثاره: اجتهاد الرأي الحجة في اثبات النبوة، حدوث الأشياء، الرد على أهل التناسخ، والرد على الفلاسفة.انظر: الوافي بالوفيات (١٠ / ١٥٥).

(٢)البيان والتبيين (١/١٣٥) الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتّبيين، تحقيق. عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

من يشاء من العامة أوالخاصة .

ولأهمية ذلك حذَّر الشاعر من التوعر والتعقيد ، في اللفظ مبررا ذلك بأنه يستهلك المعاني ويشينها فينصح بقوله: "إياك والتوعر فإنه يسلك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك "(١) إذن فكأنه يدعو إلى المشاكلة بين اللفظ والمعنى (٢) .

أما الناقد الفذ الجاحظ فقد اختط طريقا آخر حرص فيه على إبراز قيمة اللفظ ومستواه تارة و على أهمية المعنى تارة وعلى كليهما تارة ثالثة ، ولكن حاصل آرائه هي المساواة بينهما كبِشر .

ففي اهتمامه باللفظ ومستواه يقول : " لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا "(٣) .

أما اهتمامه بالمعنى فيظهر من قوله : " فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة " (٤) .

وكأن الجاحظ(٢٥٥هـ) يشير إلى أن صلاح اللفظ والمعنى وقبلهما صحة الطبع أهم الأسس التي يسعى إليها الشاعر؛ ليخرج عملا شعريا منتجا مثمرا ، لذا نجده يشبه أثر ذلك في القلوب، أثر الغيث حين يصيب تربة صالحة كريمة فتنتج ثمارا

(١)المصدرنفسه.

(٢)انظر: لغة النقد العربي القديم بين المعايرية والوصفية حتي نهاية القرن السابع الهجري، (ص٥٩). رشيد، عبد السلام محمد، حلاوي، ناصر رشيد، مؤسسة المختار للنشر،٢٠٠٨م.

(٣)البيان والتبيين، للجاحظ (١٣٥/١).

(٤)البيان والتبيين ،للجاحظ (٨٧/١).

يانعة تسر الناظرين ، وهكذا هو الحال في اللفظ البليغ والمعنى الشريف فيصنع في القارئ أوالسامع صنيع الغيث في التربة الكريمة .

كما يشير الجاحظ إلى أن الاهتمام بأحدهما لا ينفي الاهتمام بالآخر بقوله : " ولكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسّخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال " [(١)].

فمقولته السابقة تؤكد الجانب الثالث من اهتمامه بالاثنين معا ، وهذا يبين مدى الارتباط الوثيق بينهما وضرورة مشاكلتهما .

وهكذا يدلل الجاحظ في أقواله المتعددة ، والمتفرقة في كتبه على أنه لا ينصر اللفظ على المعنى ، ولا ينصر المعنى على اللفظ ، وإنما ينظر إليهما متوائمين متحدين متكاملين، لهذا جعل لكل صياغة ألفاظا خاصة بها" [(٢)].

حيث قال : "وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضا في صناعة الكلام مع خواصّ أهل الكلام؛ فإن ذلك أفهم لهم عني، وأخفّ لمؤنتهم عليّ. ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلّا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة، وقبيحٌ بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلّمين في خطبة، أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته، أو في حديثه إذا تحدث، أو خبره إذا أخبر. وكذلك فإنّه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوامّ وهو في صناعة الكلام داخل. ولكلّ مقام مقال،

---

(١)الحيوان،للجاحظ (١٧/٣).

(٢)انظر: المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي.(ص٢٣) د.ربى عبد القادر الرباعي، دار جرير للنشر والتوزيع.

ولكلّ صناعة شكل"[١].

فصنعة الجاحظ النقدية في قضية اللفظ و المعنى تبرز في نظر الباحثة بصورة جلية في النص السابق الذي يقف فيه الجاحظ منبها إلى ضرورة الكلام بلغة أهل الفن لفوائده التي عددها، مؤكدا ذلك بمقولته :"والمعاني مطروحة" [٢]

إذن لم يكن الجاحظ من أنصار اللفظ ولم يهمل المعنى كما زعم غيره، بل اهتم به اهتماما مماثلا للفظ ،ولا ينتصر للفظ دون المعنى ، وأكد هذا في قوله : " أن جمال الأدب يرتكز على الطبيعة ؛أي عدم التكلف، وعلى البلاغة ؛أي المساواة بين اللفظ والمعنى ، واختيار اللفظ الذي يناسب المعنى ويوازيه فلا يفضل عنه ولا ينقص، شرط أن تتوافر فيه الفصاحة أي الوضوح ويتجنب الغرابة والوحشية"[٣].

" المعاني مطروحة في الطريق .." مقولته هذه كانت سببا في اتهامه من أنه رفع شأن اللفظ وغضّ من شأن المعنى ، بل إنه ليسقطه إسقاطا ،وليس له فضل ولا مزية ولا قيمة فنية ، ويعجب الإنسان ؛ إذ يرى الجاحظ يذهب هذا المذهب ، وهو ممن عرفوا قيمة المعاني وشرفها وطرافتها. [٤]

ولقد أثار موقف الجاحظ من اللفظ و المعنى إشكالا عند النقاد المعاصرين لعلنا نعرض شيئا منه فيعلق **د. زكي عشماوي** بقوله بأنك لو تتبعت كتاب الجاحظ في فصوله المختلفة ، وفي تحديده لمعاني البلاغة والبيان ، وفي نقده للشعر والتعليق عليه ، فلن تخرج في فهمه للفظ والمعنى عن : استقلال المعنى عن اللفظ ؛

---

(١)الحيوان ،للجاحظ (١٧٥/٣).

(٢) المصدرنفسه (٨٧/٣).

(٣) الرسائل الأدبية (٣٩/١) عمروبن محبوب الكناني الجاحظطو دارومكتبة الهلال ، بيروت .

(٤) انظر : فى النقد الأدبي(ص ٦٥) شوقى ضيف . دار المعارف . ط٩.

فالمعنى يوجد أولا أو مستقلا ، ثم يتبعه اللفظ أو يقتفيه ، إضافة إلى ذلك المبالغة بالشكل ، فالشعر صياغة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير، فتطرف الجاحظ بهذه النظرة حتى كاد الحكم على الشعر عنده يكون على الجمال الخارجي دون النظر إلى المحتوى(١).

وردا على كلام د. العشماوي نقول : فالجاحظ كما رفع من شأن اللفظ فقد فعل ذلك أيضا في المعنى ، وقد سبق ذكر النصوص التي تثبت اهتمام الجاحظ بالمعنى ، بالإضافة إلى أن كتب الجاحظ المتنوعة قد امتلأت بذلك .

ولعل الجاحظ علل ذلك الإشكال بقوله : " اعلم- حفظك الله- أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة "(٢).

ويقول **د. رفعت التهامي** : "لعل الجاحظ يقصد بالمعاني المطروحة في الطريق ، تلك المعاني العامة التي تشيع بين الناس ، ويتداولها العامة ، من نحو المواعظ والحكم المستخلصة من تجارب الحياة ، حتى أننا كثيرا ما نسمع العامة يقولون :" الحاجة لغير الله مذلة " فيعبرون عن كل مكروه تضيق به النفس بالموت ، وكثير من الأحرار يفضلون الموت على ذل السؤال"(٣).

وغالب الظن أن كلام د. رفعت فيه كثير من الصحة ؛لأنه كما وجدت نصوص ترفع من شأن اللفظ ، كذلك هناك من النصوص رفعت من شأن المعنى

---

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث(ص٢١٤). د. محمد زكي العشماوي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط١، ١٩٧٩م .

(٢) البيان والتبيين،للجاحظ (٨٢/١).

(٣) النقد الأدبي العربي القديم تطوره وقضاياه، (ص١٩٠) أ.د. رفعت التهامي عبد البر، ط١ ، دار النشرالدولي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ.

وقيمته .

" وعبارة الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق....) هذه لا تنهض دليلا أكيدا على لفظيته ، فقد تُفهَم على نحو آخر ، فهو لا يعني اللفظ المفرد ، وإنما يعني الصياغة ، والصياغة لا تكون إلا للمعنى حين يشكل تشكيلا فنيا "(١).

إضافة إلى أن "الجاحظ يرى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه. وذلك لا يتم برأيه إلا من خلال المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ ، يقول الجاحظ : " وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه"(٢).

كما يرى " أن المعاني هي في متناول جميع الناس ، وأن الكلام لا يكفي بالمعنى البليغ وحده حتى يكتسب صفة البلاغة ، وإنما هو محتاج إلى اللفظ الفصيح ، والأسلوب القوي المحكم "(٣).

أما ابن قتيبة(**٢٧٦هـ**) فقد قسَّم الشعر بين اللفظ والمعنى وقد سبق أن عرضنا هذا التقسيم من قبل .

ولو نظرنا إلى الأضرب الأربعة التي قسمها ابن قتيبة ، لوجدنا ه اتخذ حيالها المواقف التالية :

١- أنه ساوى بين اثنين منهما في جودة اللفظ والمعنى.

---

(١)دراسات في النقد العربي القديم ، (ص٩٨) د. عبد الفتاح عثمان ، ط١، دار القلم ، الإمارات العربية المتحدة.

(٢)البيان والتبيين،للجاحظ (٨٧/١).

(٣)النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه،(ص٣٠٨) د. قصي الحسين، ٢٠٠٣م.

٢- وخالف بين اثنين ، فساوى بين : جودة كل من اللفظ والمعنى ، ورداءة كل من اللفظ والمعنى.

٣- وخالف بين : إذا جاء اللفظ جميلا والمعنى قبيحا في أحدهما ، بينما جاء المعنى جميلا واللفظ رديئا في ثانيهما.

وتعددت آراء المعاصرين في رأي ابن قتيبة، وإلى أي فريق ينتمي، هل إلى اللفظ أم هل إلى المعنى ، أم شاكل بينهما، فمنهم من قال : ساوى ابن قتيبة بين اللفظ والمعنى في ضربين ، و خالف بينهما في ضربين آخرين ، وهذا يعني أنه قد فصل بينهما فهما غير متساويين ، أي أنه ينظر إلى المعنى أو إلى اللفظ ثم ينظر بعد ذلك إلى ما يشاكل المعنى من لفظ أو ما يشاكل اللفظ من معنى ويحكم بالتوافق أو المخالفة [١] .

ويوافق هذا الرأي د. زكي العشماوي في قوله : " شارك ابن قتيبة الجاحظ في فكرة استقلال المعنى عن اللفظ ، واستقلال اللفظ عن المعنى؛ (لأن د. زكي ممن يؤيدون أن الجاحظ من أنصار اللفظ) [٢] .

و يؤكد ذلك رأي د.قصي الحسين الذي قال "ويرى ابن قتيبة أن لكل من اللفظ والمعنى مدلوله الخاص ؛ فمدلول اللفظ عنده يريد به النظم والتأليف الممثل في اللفظ المفرد والوزن والروي ، أما مدلول المعنى فهو يعني الفكرة التي يبين عنها البيت "[٣].

كما أن أغلب النقاد المعاصرين متفقون على أن ابن قتيبة يجعل اللفظ قسيم المعنى ومساويا له في النهوض بالعمل الأدبي؛ وذلك لتقسيمه التقريري للشعر ،

(١)انظر: المعنى الشعري وجماليات التلقي، د.ربى (ص١٤٣).

(٢)انظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث،د. محمد زكي (ص٢٢٠)

(٣)النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه (ص٣٣١).

وعرض ذلك التقسيم فيما سبق (١).

وأوافق د. محمد رفعت التهامي على أن ابن قتيبة قد ساوى بين اللفظ والمعنى، فهما عنده يتعرضان للجودة والقبح معا . ويوافق ابن قتيبة بهذا الرأي بِشرا و الجاحظ.

ووافق **ابن طباطبا(٣٢٢هـ)** الجاحظ و ابن قتيبة في رأيه؛ حيث دعا الشاعر عند تأليفه للشعر إلى أن ينتبه لأمور وقواعد دقيقة حيث يقول:" ويَنْبَغِي للشَّاعر أنْ يتأمَّلَ تأليفَ شِعْرِهِ، وتَنْسِيقَ أبياتِهِ، وَيَقِفَ على حُسْنِ تجاوُرهاَ أَو قُبْحِهِ فيُلائمُ بَينهَا لتَنتْظمِ لَهُ مَعَانِيهَا ويَتَّصِلَ كَلاَمُه فِيهَا، وَلَا يَجْعَل بَين مَا قَدِ ابتَدَأ وَصْفَهُ وَبَين تَمامهِ فضلا من حَشْوٍ لَيْسَ من جِنسِ ماهو فِيهِ فَيُنسِيَ السَّامِعَ المَعْنَى الَّذِي يَسوقُ القَولَ إِلَيْهِ. كَمَا أَنه يَحْتَرِزُ مِنْ ذَلِك فِي كُلَّ بَيْتٍ فَلَا يُبَاعِدُ كَلِمَةً عَن أخْتها.." (٢) .

هذه الأمور هي دعوة للشاعر للتأمل في الألفاظ والمعاني لتنتظم ويوائم بعضها بعضا ، وإعادة الصياغة بترتيب المعاني ونظمها مع ما يشاكلها من الألفاظ عند التأليف . ويزيد ابن طباطبا من اهتمامه بالنظم الشعري عند الشاعر فيؤكد بقوله : " فإذاَ أَرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ مخَضَ المَعْنى الَّذِي يُريد بِنَاءَ الشِّعر عَلَيْهِ فِي فِكْرِهِ نَثْراً.... " (٣).

وكان من تعليق المعاصرين عليه ما ذكره **د. عبد الفتاح عثمان** : الملاحظ أن ابن طباطبا يفصل بين اللفظ والمعنى ، ويعتبر اللفظ لباسا وزيا للمعنى. فالشاعر عليه إيفاء كل معنى حظه من العبارة وإلباسه مايشاكله من الألفاظ حتى

---

(١)انظر: النقد الأدبي العربي القديم،د.رفعت التهامي (ص٣٨٧).

(٢)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٢٠٩).

(٣)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٨).

يبرز في أحسن زي وأبهى صورة "[١].

ووُصِف ابن طباطبا بتعصبه للمعنى ، و لو تأملنا صنعة الشعر عنده ، لوجدناه يوصي بانتقاء الألفاظ للمعاني ، بالإضافة إلى شدة حرصه على المزج بين اللفظ والمعنى، فنجده حين يذكر المعنى؛ فاللفظ دائما يصاحبه . [٢] .

فيقول : " فمِنَ الأشْعارِ أشْعارٌ مُحْكَمةٌ مُتْقَنـةٌ، أنيقَـةُ الألفَاظِ، حكيمـةُ الْمعَـانِي، عَجيبةُ التأليفِ، إذا نُقِضَتْ وجُعِلَتْ نَثْراً لم تَبْطُلْ جَوْدةُ مَعَانيها، وَلم تَفْقُدْ جَزَالـةَ ألفاظِهَا[٣]".

و يمكن أن نخلص إلى أن ابن طباطبا يمثل بِشرا في شدة اهتمامه وإلحاحه على الانسجام والتوافق بين اللفظ والمعنى ، وبهذا فإن ابن طباطبا عُدّ من النقاد الذين انتهجوا نهج المساواة بين اللفظ والمعنى ، ويؤكد ابن طباطبا ذلك بقوله :

" وإذْ قَدَ قَالَتِ الحُكَمَاءُ أنَّ للكَلاَمِ جَسَداً ورُوحاً؛ فَجسَدُهُ النُّطْقُ ورُوحُهُ مَعْنَاه، فَوَاجِبٌ على صَانِعِ الشِّعرِ أنْ يَصنْعَهُ صَنْعَةً مُتْقَنَةً لَطِيفَةً مَقْبُولَـةً مُسْتَحْسَنةً مُجْتَلِبَـةً لمحبَّةِ السَّامِعِ لَهُ والنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ إِلَيْهِ، مُسْتَدْعِيَة لعِشْقِ المُتَأمِّل فِي محاسِنِه والمُتَفَرِّسِ فِي بدائعه، فَيُحْسِنُهُ جِسْماً ويُحَقِّقُهُ رُوحاً؛ أَي: يُتْقِنُهُ لَفْظاً ويُبْدِعُهُ مَعْنَى "[٤] .

فنقل عن القدماء تمثيلهم للكلام بالجسد والروح ، فالجسد هو لفظه وروحه معناه ، فلذا طلب من صانع الشعر أو الكلام أن يتقن صنعه في اللفظ ، ويبدعه في

(١)انظر: دراسات في النقد العربي القديم،د.لعبد الفتاح عثمان (ص١٥٧).

(٢)المصدر نفسه (ص١٦٠).

(٣)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص١١).

(٤)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٢٠٣).

المعنى . وهذا يعني تأكيده أن اللفظ مهم للشعر بقدر أهمية المعنى له ، وهذا يعني اهتمامه بالجانبين معا متساويين متآلفين على ديباجة حسنة[١] .

ويبدو أن ابن طباطبا حين مثّل اللفظ والمعنى بالروح والجسد إنما دل ذلك على مدى تمازجهما مع بعضهما ، ومدى ترابطهما ببعضهما .

إنَّ من حق الشاعر أن يتكلم فيما يحب دون قيدٍ يقيده ؛ فالمعاني كلها معرضة له كما قال ذلك قدامة:" ومما يجب توطيده وتقديمه، قبل الذي أريد أن أتكلم فيه، أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها، فيما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة "[٢] .

وكذلك **قدامة (٣٣٧هـ)** فقد دعا إلى ضرورة ائتلاف اللفظ والمعنى معا فوافق بذلك من سبقه كالجاحظ و ابن قتيبة و ابن طباطبا ؛ فيرى قدامة أن المعاني كلها معرضة أمام الشاعر فليأخذ منها ما يحب ويريد ، ويخوض في كل معنى دون تقييده بشيء ، وكأنه يعيد مقولة الجاحظ حول (المعاني مطروحة في الطريق) لذا يقول : " وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح و العضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة ." [٣].

---

(١)انظر: المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي،د.ربى الرباعي (ص١٤٧).

(٢)نقد الشعر، لقدامة بن جعفر(ص٤).

(٣)المصدر نفسه .

وكأنَّ قدامة و الجاحظ يرميان إلى أن المعاني تتشكل وتتغير حسب الصياغة التي توضع فيها فهي كالخشب في الصناعة وكالفضة في الصياغة كما قال قدامة، فإن أراد بها صياغةً في غاية الجودة حصلت له كما يريد ، وإن أراد بها العكس كان له ذلك .

ويمضي قدامة في إيضاح المعاني للشاعر ويصرح بأن من حق الشاعر كذلك التعبير بمعاني الرفث والضعة وغيرها مما ذكرها ، وأن يتوخى البلوغ في التجويد إلى الغاية المطلوبة .

" ولعل خلاصة رأيه في اللفظ والمعنى كان فيما قاله عن ضرورة ائتلافهما معا . قال : ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه؛ أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر"(١) .

ويرى الناقد المعاصر د. شوقي ضيف أن قدامة قد تأثر بابن قتيبة وتكلم عن جودة اللفظ ورداءته، وجودة المعنى ورداءته،كما تكلم عن ائتلافهما ، وما قد يعتري هذا الائتلاف من ضعف.فمن الواضح أن قدامة من الذين فصلوا بين اللفظ والمعنى. (٢)

ويبدو لي أن نص قدامة السابق " من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة " أكد أن قدامة قد ساوى بين اللفظ والمعنى ، وجمع بينهما .

---

(١)انظر: المعنى الشعري، د.ربى الرباعي (ص١٥٠).

(٢)انظر: في الأدب والنقد (ص٦٧). د.شوقي ضيف، دار المعارف، كورنيش النيل-١١١٩م.

أما **أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)** فنرى أنه نقل فحوى كلام الجاحظ حول المعاني متفقا معه فقال : " وليس الشأن فى إيراد المعاني؛ لأنّ المعاني يعرفها العربىّ والعجمىّ والقروى والبدوى، وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه؛ وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السّبك والتركيب، والخلوّ من أود النّظم والتأليف. "(١).

فيظهر تأثر أبي هلال بالجاحظ عند اهتمامه باللفظ، وموافقته في تصوره للعمل الفني ، كما بيَّن في تفسير كلامه ، بأنَّ الشأن في تخيُّر اللفظ لا المعنى . ونجده في نصٍ آخر يميل إلى المعنى فيقول : " إنَّ الكلام ألفاظٌ تشتمل على معان تدلّ عليها ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ؛ لأنّ المدار بعد على إصابة المعنى، ولأنّ المعاني تحلّ من الكلام محلّ الأبدان، والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة." (٢)

فجعل المعاني هنا ، بمنزلة الأبدان وهي أفضل مرتبة من الألفاظ ، والتي هي بمنزلة الكسوة للأبدان ومعلوم أن مرتبة البدن أفضل بكثير من مرتبة الكساء .

ويقول في موضع آخر : " ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا فى غرابة المعنى إلّا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد "(٣).

ولو قارنّا بين النص السابق وبين قوله : " وليس الشأن فى إيراد المعانى، لأنّ المعانى يعرفها العربىّ ؛ " لأصبح التردد ينتابنا حيال الحكم على أبي هلال

(١) كتاب الصناعتين ،لأبي هلال العسكري (ص٥٧).

(٢)المصدر نفسه (ص٦٩).

(٣) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٦٠).

العسكري في قضية اللفظ والمعنى ، ولكن نظرا لأن أبا هلال نقل نص الجاحظ في تفضيله للفظ وقناعته بأن الجاحظ قد فصل اللفظ عن المعنى بتفضيل الأول على الثاني (وهذا غير صحيح) يبدو أنه من أنصار اللفظ والمتحيزين له .

يقول د. ربى الرباعي: يميل أبو هلال العسكري إلى تفضيل اللفظ على المعنى على الرغم من تناقضه في أقواله بينهما [(١)] .

أما العلامة الأديب والناقد المغاربي **ابن رشيق(٤٦٣هـ)** فقد ربط اللفظ بالمعنى كارتباط الروح بالجسم فقال : " اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه "[(٢)] .

فيضعف لضعفه ويقوى بقوته ، فإن سلم إحداهما واختل الآخر كان ذلك نقصا للشعر. ويبدو جليا مساواة ابن رشيق اللفظ بالمعنى ؛ لتشبيهه البليغ لهما ثم تعقيبه الواضح على ذلك ، فكأنه يقول أن ما يصيب اللفظ من خلل يصيب المعنى خلل مثله. ويؤكد هذا قوله : " فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه"[(٣)].

فرأي ابن رشيق واضح ، والتسوية بين اللفظ والمعنى عنده عالية ، ومطلقة .

و اتفق **ابن الأثير(ت٦٣٧)**[(٤)]مع ابن رشيق في التلاؤم والاتفاق الذي أظهره

---

(١)انظر: المعنى الشعري، د.ربى الرباعي (ص١٦٠).

(٢)العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق (ص١٢٤).

(٣)المصدر نفسه.

(٤)هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب. ولد في جزيرة ابن عمر سنة (٥٥٨)، وتعلم بالموصل ، توفي في بغداد =

وبيَّنه الأخير بين اللفظ والمعنى ، وتأثر به ابن الأثير فيقول : " الذي يرى أن عناية العرب بألفاظها إنما هو عناية بمعانيها ؛ لأنها أركز عندها وأكرم عليها ، وإن كان يسوغ ، بل يعترف أن عناية الشعراء منصبة على الجانب اللفظي ، ولكنها وسيلة لغاية محمودة وهي إبراز المعنى صقيلاً ، فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ، ورققوا حواشيها ، وصقلوا أطرافها ، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط ، بل هي خدمة منهم للمعاني" (١).

إذن **فابن الأثير** ربط المعنى باللفظ تماما، وبيَّن كسابقه-ابن رشيق- أنَّ أيَّ عناية تقدم للفظ فهي في حقيقتها للاثنين للفظ والمعنى ، وليس فقط للفظ .

ولكن يُلحظ تأكيده في قول آخر على أهمية المعنى فيقول : " فالعرب إنما تحسّن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها؛ فالألفاظ إذًا خدم المعاني، والمخدوم لا شك أشرف من الخادم، فاعرف ذلك وقس عليه" (٢).

واستنادا لما سبق يظهر أن ابن الأثير قد أيد المعنى . والله أعلم .

وفي ختام استعراض آراء نقاد الشعر في قضية اللفظ و المعنى و مدى العلاقة بينهما، نختم برأي علاَّمة مصر **النواجي(٨٥٩هـ)** الذي عرَّف الشعر بأنه " قول

= سنة (٦٣٧). كان قويَّ الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام، والمتنبي، والبحتري، ومن تأليفاته "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، و"الوشي المرقوم في حل المنظوم"، و"الجامع الكبير" في صناعة المنظوم والمنثور. انظر ترجمته في: شذرات الذهب(٥ / ١٨٧، ١٨٩).

(١)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،(١/ ٣٥٣) ضياء الدين ابن الأثير، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-الفجالة-القاهرة.

(٢)المصدر نفسه (٣٤٢/١).

مقفى موزون بالقصد يدل على معنى ، والمعنى للشعر بمنزلة المادة ، واللفظ بمنزلة الصورة"[(١)].

تأثر النواجي بقدامة ورأيه في المعاني حين عرَّف الأخيرُ الشعرَ فقال : "إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة" [(٢)].

ومراد النواجي يعني المادة تتغير حسب الصورة التي توضع فيها تماما .

وخلاصة ماسبق ، رأى النواجي رؤية قدامة في اللفظ والمعنى و وافقه عليها وهي المساواة بينهما. لا يزيد عليها ولا ينقص عنها. فوافق بذلك من نادى بالمساواة كبِشر وابن قتيبة و ابن طباطبا.

والخلاصة في قضية اللفظ والمعنى أن النقاد انقسموا على ثلاثة أقسام :

- فريق منهم ساوى بين اللفظ والمعنى مبررين أن الشعر لا يقوم إلا بالاثنين .
- والآخر قدّم اللفظ على المعنى متأثرا بمن سبقه من النقاد .
- وثالثهم قدَّم المعنى على اللفظ .

وعند الوقوف على آراء النقاد ونصوصهم يظهر أن اللفظ والمعنى متساويان عند أغلبهم ، وهذا يبدو لي الأفضل والمفترض ؛ فاللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة ، ولكن تبقى وجهات النظر تختلف لاختلاف صورنا وأشكالنا وتفكيرنا ونظرتنا .

و أخيرا فإن ما كُتب في قضية اللفظ والمعنى لا يعدو أن يكون لمحات في قضية

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر ، النُواجي(ص٢٧).

(٢)نقد الشعر، لقدامة بن جعفر(ص٤).

كبرى كهذه، الهدف منها الوقوف على اهتمام النقاد بالمعنى واللفظ ، والعرض في صورة هي أقرب ما تكون إلى آراء النقاد السابقين.

المبحث الثالث- قضية تهذيب الوزن

ثالث القضايا الشعرية التي تحدث عنها النواجي قضية تهذيب الوزن؛ حيث يمثل الوزن عنصرا أساسيا من عناصر الفن الشعري ، ومقوما أصيلا من مقوماته الفنية ، حتى أن العرب كانت تعده عماد الشعر.

والجاحظ(٢٥٥هـ) من أبرز النقاد الذين تناولوا قضية الوزن؛ إذ حين تكلم عن المعنى واللفظ قال : " وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ "(١) .

فاستقامة الوزن والاعتناء به ، من أساسيات بناء القصيدة عند الجاحظ .

كما يقول أيضا :" وقد علمنا أن من يقرض الشعر، ويتكلف الأسجاع، ويؤلف المزدوج، ويتقدم في تحبير المنثور، وقد تعمق في المعاني، وتكلف إقامة الوزن، والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا، مع قلة لفظه وعدد هجائه- أحمد أمرا،وأحسن موقعا من القلوب، وأنفع للمستمعين"(٢).

فالوزن أخص خصائص الشعر ، وألزم لزومياته ؛ لارتباطه بالشعر أوثق ارتباط(٣).

وعند استعراض رأي ابن طباطبا(٣٢٢هـ) يظهر موافقته للجاحظ في أن الوزن أسٌّ من أساسيات عمل الشعر فيقول :" فإذاَ أَرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ مخَضَ المَعْنى الَّذِي يُريد بِنَاءَ الشِّعر عَلَيْهِ فِي فِكْرِهِ نَثْراً، وأعَدَّ لَهُ مَا يُلْبسُهُ إيَّاهُ من الْأَلْفَاظ الَّتِي تطَابِقُهُ، والقوافي الَّتِي توافِقُهُ، والوَزْنِ الَّذِي سَلَسَ لَهُ القَوْلُ عَلَيْه"(٤).

---

(١) الحيوان، للجاحظ (ص٦٧).

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ (٢٦٣/٣).

(٣)انظرفي نظرية الأدب،د.عثمان مواقي (٤٩/٢).

(٤)عيار الشعر، لابن طباطبا ،لابن طباطبا(ص٢١).

فأهمية الوزن لا تتوقف عند كونه عنصرا في القصيدة ، بل تتعدى إلى ما تتركه القصيدة من تأثير في نفوس السامعين .

والشعر الموزون له أثره فيمن حوله ؛ فكماله الوزن ونقصه يؤثر على صواب المعنى وحسن الألفاظ . وأكد ذلك ابن طباطبا في قوله : "وللشِّعر المَوْزون إيقاعٌ يَطْربُ الفَهْمُ لصَوابِه وَمَا يَردُ عَلَيْهِ من حُسْنِ تَركيبِه واعتدالِ أَجزائِه، فَإذا اجتَمَع للفَهْمِ مَعَ صِحَّةِ وَزْن الشِّعر صِحَّةُ وَزْنِ المَعْنَى وعُذوبةُ اللَّفظ فَصَفَا مَسْموعُهُ ومعقُولُهُ من الكَدَرِ تَمَّ قبولُهُ لَهُ، واشتمالُهُ عَلَيْهِ، وإنْ نَقَصَ جزءٌ من أجزائِهِ الَّتِي يكمُلُ بهَا وَهِي اعتدالُ الوَزْنِ، وصوابُ المَعْنى، وحُسْنُ الألْفَاظ - كَانَ إنْكَار الفَهْم إيَّاهُ على قدْر نُقْصان أَجزائِه "(١) .

وجعل قدامة(٣٣٧هـ) الشعر يقوم على اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، فكان الوزن رئيسا في الشعر ، وبذا يوافق قدامة الجاحظ و ابن طباطبا في جعل الوزن أساسًا من أساسيات القصيدة وبنائها .

كما رأى أن اللفظ والمعنى والوزن عناصر تأتلف ؛ فيحدث من ائتلاف بعضها مع بعض معان يتكلم فيها .(٢)

وأشار قدامة إلى سهولة الإتيان بالوزن دون تعلم، معتقدا أنه ليس من الضرورة تعلم الوزن والقافية ، معللا ذلك بسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس .(٣)

وأضاف على من سبقه من النقاد في نعته للوزن بقوله :

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها ذلك ، وإن خلت من أكثر نعوت

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: نقدالشعر، لقدامة بن جعفر (ص٢٥).

(٣) انظر: المصدر نفسه. (ص٢).

الشعر(بحر السريع).

ما هَاجَ حسَّانَ رُسُومُ المُقَامْ ... وَمَظْعَنُ الحيِّ وَمَبْنى الخِيامْ

والنُّؤْيُ قد هدَّمَ أعْضَادَهُ ... تقَادُمُ العَهْدِ بِوَادِ تِهامْ

قَدْ أدْرَكَ الوَاشُونَ ما حَاوَلُوا ... وَالحبْلُ مِنْ شَعْثاءَ رَثُّ الرِّمَامْ(١) .

ومن خصائص الوزن الترصيع، وهو "أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف."(٢)

كقول امرئ القيس (بحر الطويل) :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٣)

فأتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد، وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما في التصريف، وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة، ولكن في لفظتين لفظتين بالوزن نفسه كقوله (المتقارب):

ألصّ الضّروس حَنِيُّ الضّلوع ... تبوعٌ طلوعٌ نشيطٌ أشر(٤)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص ٢٠٨) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر ١٩٧٤م. ونقد الشعر (ص١٠).

(٢) نقدالشعر، لقدامة بن جعفر(ص٤٠).

(٣) ديوان امرئ القيس (ص١٥٤).

(٤) ديوان امرئ القيس الديوان (١٥٤-١٦٧).

وفي قصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله (بحر الطويل) :

وَأَوْتَادُهُ مَاذِيَّةٌ وَعَمِادُهُ ... رُدَيْنِيَّةٌ فيها أَسِنَّةُ قَعْضَبِ(١)

والفرق بين الترصيع والقافية، أن الترصيع يعمل داخل البيت، ويشابه بين كلمة وكلمة ، على حين أن القافية تعمل بين بيت وبيت.

إذن تحدَّث قدامة عن الترصيع ، وطلب أن يكون الوزن سهل العروض دون أن يوضح مفهومه للسهولة(٢) .

وقد تحدث أيضا عن الترصيع تحت عنوان: نعت القوافي بأن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها.

فهو إذن وافق الجاحظ و ابن طباطبا في الاهتمام بالوزن ، وأضاف عليهما نعت الوزن ووصفه، واختلف عنهما في رأيه الذي لا يرى بُدًّا من تعلم الوزن والقافية لزعمه أن الطبع والذوق يكفي لمعرفة هذا .

وإحضار المعاني قبل بناء القصيدة أمر حتمي عند ابن طباطبا ، و وافقه في ذلك أبو هلال العسكري، الذي دعا إلى إحضار المعاني ونظمها في أوزان مناسبة لها فقال : " وإن أردت أن تعمل شعرًا، فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك وأخطرها على قلبك وأطلب لها وزنًا، يتأتى فيه إيرادها، وقافية يحتملها "(٣) .

---

(١) ديوان امرئ القيس (ص ٥٣).

(٢) انظر: نظريات الشعر،للجوزو (٢٣/١).

(٣) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص١٣٩).

والوزن أعظم أركان حد الشعر ، وهو مخصوص بالشعر دون النثر، وشاركته في ذلك القافية، وأكد ابن رشيق ذلك في قوله : " فالوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية "(١) .

كما خصَّ الوزن بالشعر، فيقول : " ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية"(٢).

ولم ينفرد ابن رشيق(٤٦٣هـ) بخصوصيته للشعر بالوزن، وإنما وافقه في هذا ابن سنان الخفاجي(٤٦٦هـ) الذي فرَّق بين الشعر والنثر به ، فجعل الوزن والقافية هما الفارق بينهما، ويؤكد ذلك بقوله : " فالفرق بين الشعر والنثر بالوزن على كل حال و بالتفقية إن لم يكن المنثور مسجوعاً على طريق القوافي الشعرية ، والوزن هو التأليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض "(٣). كما وافق قدامة في أن الوزن يشهد على صحته الذوق والطبع .

وانفرد أسامة بن منقذ(٥٨٤هـ) في كلامه عن تهذيب الوزن وعلامته في أن يكون حسنا تقبله النفس والغريزة. ويؤكد ذلك بكلامه: " وتهذيب الوزن أن يكون حسناً تقبله النفس والغريزة، غير منكسر ولا مزحف. فإن أمكن فهو التخليع مثل: المرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب"(٤).

وليس واضحا المقصود بالحسن الذي تقبله النفس والغريزة ، وربما يكون

---

(١) العمدة،لابن رشيق(١٣٤/١).

(٢) المصدرنفسه (١٥٥/١).

(٣) سر الفصاحة (ص٢٨٧).ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي١٣٨٩هـ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر

(٤) البديع في نقد الشعر،لابن أسامة بن منقذ (ص٢٨٩).

سبب الحسن والقبول هو استقامة الوزن وغياب الزحاف [١].

وأضاف أسامة بن منقذ إلى الوزن الحسن ، الوزن الخالي من عيوب الشعر كالزحاف والمكسور والتخليع [٢].

ويميل **ابن الأثير(ت٦٣٧)** إلى رأي قدامة و ابن سنان الخفاجي من أن لا ضرورة لتعلم الوزن والقافية لوجودهما في طبع الإنسان وذوقه ، وبيّن أن من آلات صناعة المنظوم ، علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر، وليست واجبة معرفة هذا العلم على الشاعر؛ لأن "النَّظم مبنيٌّ على الذوق"[٣].

ويركِّز **حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ)** على وصية **أبي تمام(ت٢٣١هـ)**[٤] رغبةً منه في تطبيقها فيقول :" إن الناظم إذا اعتمد ما أمره به أبوتمام من اختيار الوقت المساعد ...... إلى قوله أو مهيئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة؛ لأن تقع في بناء قافية واحدة ، ثم يضع الوزن والروي بحسبها لتكون

---

(١) انظر: نظريات الشعر، للجوزو (٢٦/١).

(٢) **والمزحوف** : كل بيت شعري يلحقه تغيير في ثواني أسباب أجزائه في الحشو وغيره ، وسمي مزحوفا لثقله في اللسان، **فالمكسور** : ما كان مختل الوزن من بيت الشعر، **التخليع** : وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزحيفه . انظر: مقدمة في صناعة النظم والنثر ، تحقيق د. محمد بن عبد الكريم (ص٢٨).

(٣) المثل السائر، لابن الأثير (ص٦١).

(٤) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع.في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل. سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٣).

قوافيه متمكنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها "(١).

ويشير إلى أن كل غرض من أغراض الشعر يستدعي نوعاً من الأوزان (٢).

وعلى كل ما ذُكِر من رأي بعض النقاد في الوزن إلا أننا لم نقع على تعريف صريح له .

وختام آراء النقاد في قضية الوزن وتهذيبه رأي العلاّمة **النواجي(٨٥٩هـ)** الذي جعل الشعر يقوم على أربعة أشياء : لفظ ، ومعنى ، ووزن ، وقافية .

ثم قال : " وتهذيب الوزن أن يكون حسنا ، فيتقبله الطبع ، ويشنف به السمع ، غير مكسور ولا مزحوف "(٣) .

ووافق تهذيب الوزن عند النواجي تهذيبه عند أسامة بن منقذ واعتدَّ بقوله ، في أن يكون الوزن حسنا يقبله الطبع برضا، ولا ندري قصد النواجي بالحسن في الوزن ، فربما كان نفس تفسير د.مصطفى الجوزو السابق في مقولة أسامة بن منقذ.وأتبع الحسن ، قبول الطبع والذوق للوزن؛ لأنه إن لم يكن الوزن جيدا مقبولا، لنفرت النفس منه .

" وكما انقسم الشعر على أساس المعاني ، انقسم على أساس الوزن واختار العرب القسمة الموضوعية حين ميزوا الأهاجي والمدائح والمفاخرات والألغاز والمضحكات واللزوميات والوصفيات. ولم يجعلوا لكل موضوع وزناً خاصاً به، وكذلك فعلت أكثر الأمم"(٤).

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني (ص٢٠٤).

(٢) المصدر نفسه (ص٥٦١).

(٣) مقدمة في صناعة النظم والنثر ،للنُّواجي (ص٢٨).

(٤) تاريخ النقد الأدبي، د.إحسان عباس (ص٢٢٠).

ومن خلال ما سبق يظهر من هذه الدراسة الجمع بين آراء النقاد السابقة، والتي تتفق جميعها على أهمية الوزن وضرورته في القصيدة العربية .
كما أشارت الدراسة إلى اختصاص أسامة بن منقذ و النّواجي بتهذيب الوزن.

المبحث الرابع - قضية ثقافة الشاعر وأدواته

ثقافة الشاعر وأدواته هي القضية الرابعة التي حري بكل شاعر أن يمتلكها لِتُصْقَل صنعته، والتي تظهر من خلال العرض و المدارسة اهتمام النقاد بها، ومن بينهم النُّواجي-رحمه الله- حيث قدموا خلاصة فكرهم و سديد رأيهم في هذه القضية .

وقد يصدر الشعر –غالبا- من طبع أو صنعة ؛ فصاحب الطبع يعينه طبعه وسليقته، أما صاحب الموهبة ، فقد تصدر منه صنعة الشعر عن باعث ذاتي من جذور خفية ارتبطت بمواقف للشاعر في حياته فظهرت بمفردات شعره وليدة لردة فعله في تلك المواقف التي مر بها ،ها نحن الآن نقف على مقولة بشر بن المعتمر والتي فصّلها د.عبد الفتاح بقوله : " لقد كان لبشر فضل إثارة هذه القضية حيث رأى أن الأديب إما مطبوع يمتلك زمام المعاني ، ويسيطر على الألفاظ ، ويتحكم في الأسلوب فيمتاح من طبع مُواتٍ ، وقريحة فياضة توفر عليه المعاناة والمكابدة، وإما صانع يملك موهبة ناقصة فيكملها بالاكتساب والمعاناة ، والصبر على مراوغة المعاني ومناوشة الألفاظ حتى يتم امتلاكها والسيطرة عليها ، فيحقق بالاكتساب ما ضاع منه بالموهبة ، وإما عاطل قد فقد الموهبة و الصنعة معا فلا أمل فيه ولاخير منه وعليه أن يترك الأدب إلى صناعة أخرى تشاكله وتحقق ذاته"(١).

وهناك من يرى أن كثرة المداومة على الشيء تكسبه إياه، وأكد هذا **ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ)** بقوله : " إن كثرة المدارسة للشيء تعين على العلم به ، وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به "(٢) .

وهو بهذا لم يشر إلى الطبع كبِشر، بل إلى كثرة العلم بالشيء ومدارسته .

---

(١) دراسات في النقد العربي القديم، د.عبدالفتاح عثمان (ص٨١).

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام (٧/١).

ووافق الجاحظ(٢٥٥هـ) بِشرا فعوّل على صحة الطبع وجعله أساسًا من أساسيات ثقافة الشاعر، بل ومن الاستعداد الشعري الصحيح فيقول: " وفي صحّة الطبع، وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير"[١].

إذن فالشعر ليس مشاعاً بين الناس ولكل الفئات ، بل هو لفئة مخصوصة تملك من الطبع ما يسمح لها بذلك .

وبالإضافة إلى أساس صحة الطبع الذي أشار إليه الجاحظ فقد رأى ضرورة امتلاك الشاعر لثقافة واسعة لاتقف عند شئ بعينه، بل تكون مزيجا من الثقافات المختلفة ، وينقل ابن رشيق قول الجاحظ في ذلك : " طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلاغريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب "[٢].

ولم يكتف الجاحظ بتلك العلوم والثقافات التي أتى عليها عند الأصمعي، والأخفش، وأبي عبيدة ، بل كان يطلب ثقافة أشمل وأوسع والتي وجدها عند أدباء الكتاب ذوي الثقافة الواسعة وأهل العلم بالشعر .

ووافق **ابن قتيبة(٢٧٦هـ)** بِشرا و الجاحظ ، ففصّل في صفات الشاعر المطبوع بقوله : " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه، وفى فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحّر" [٣] .

(١) الحيوان، للجاحظ (٦٧/٣).
(٢) العمدة،لابن رشيق (٨٤/٢).
(٣) الشعر والشعراء،لابن قتيبة (ص٩١).

فمن امتلك الطبع ، واقتدر على القوافي ، وظهرفي شعره رونق الفصاحة والغريزة في الشعر، ولم يتلعثم كان شاعرا مطبوعا في رأي ابن قتيبة .

وكذلك ابن طباطبا(٣٢٢هـ) اتفق مع من سبقه من النقاد في الطبع عند قوله : " ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه و نتجته فكرته ، فيستقصي انتقاده ويرم ما وهى منه"(١).

كما أضاف ابن طباطبا أدواتٍ للشعر ودعا إلى الحرص عليها، بل وعلَّق عدم اكتمال نضج صنعة الشعر عند الشاعر بها فيقول: " وللشِّعر أدواتٌ يجبُ إعدادُهَا قَبْلَ مَرَامِهِ وتكَلُّف نَظْمِه، فَمَنْ نَقَصَتْ عَلَيْهِ أداةٌ من أدواتِهِ لم يَكْمُلْ لَهُ مَا يَتَكَلَّفهُ مِنْهُ، وبَانَ الخَلَلُ فِيمَا يَنْظمهُ، ولحِقَتْهُ العُيوبُ من كلِّ جِهَةٍ. فَمِنْهَا: التَّوَسُّعُ فِي عِلْم اللُّغة، والبراعةُ فِي فَهْم الإِعرَاب، والروايةُ لفُنُونِ الآدابِ، والمعرفةُ بأيَّام النَّاس وأنْسَابِهم ومَنَاقِبهم وَمَثَالِبِهِمْ، والوقوفُ على مَذَاهب العَرَب الشّعْر، والتَّصَرُّفُ فِي مَعَانِيه فِي كلِّ فَنٍّ قالَتْه العَرَبُ فِيهِ وسلوكُ مناهجها فِي صِفَاتِهَا ومُخَاطَبَاتِهَا وحِكَايَاتِهَا وأمْثَالِهَا..... وَجَماعُ هَذِه الأدوات كمالُ العَقْلِ الَّذِي بِهِ تَتَميزُ الأضدادُ، ولزومُ العَدْل، وإيثارُ الحَسنِ، واجتنابُ القَبيحِ، ووَضْعُ الأشْياءِ مَوَاضِعَهَا "(٢).

ووافق ابن طباطبا - في أدواته التي تناولها – الجاحظ حين أشار إلى ضرورة امتلاك الشاعر لثقافة واسعة شاملة ، ويلزم الشاعر كما ذكرنا سابقا الإحاطة بعلوم شتى ، والاقتدارعلى صياغة الكلام وتأليفه.

وعلق **أبوهلال العسكري(٣٩٥هـ)** عند تفسيره لعبارة حكيم الهند: " يكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة» ، بقوله: " وهو أن يكون صائغ الكلام قادرا

---

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا ،لابن طباطبا (ص٨).

(٢) المصدر نفسه (ص٦).

علـى جميـع ضـروبه، متمكّنًـا مـن جميـع فنونـه، لا يعتـاص عليـه قسـم مـن جميـع أقسامه. فـإن كـان شـاعرا تصـرّف فـى وجـوه الشـعر؛ مديحـه ، وهجائـه، ومراثيـه، وصفاته، ومفاخره، وغير ذلك من أصنافه"(١).

فوافق أبو هلال العسكري بهذا ابن طباطبا حين ذكر أدوات الشعر، والتـي تشمل فنون الكلام وضروبه .

وخصّ **ابن رشيق(٤٦٣هـ)** صفات الشاعر الخلقية بالذكر قبل الثقافية فقال : " من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيء الأكناف، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس، ويزينه في عيونهم، ويقربه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عزوف الهمة، نظيف البزة، أنفاً؛ لتهابه العامة، ويدخل في جملة الخاصة، فلا تمجه أبصارهم"(٢).

فتميز ابن رشيق عمن سبقه من النقاد، بابتدائه بفضائل الأخلاق وجميل الصفات وعلل لذلك فعند ذكره لصفات الأخلاق كطلاقة الوجه وحسن الخلق وغيرها قال ليحبه الناس ، وعند ذكره لنظافة الهيئة ولطافة الحس وشرف النفس قال: لتهابه الناس وليكسب احترام من أمامه ومحبته .

ثم أردف موافقا لابن طباطبا في الصفات العلمية أو كما يقال الدرسية التي دعا الشاعر للأخذ بها قائلا: " والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه

(١) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٢٣).
(٢) العمدة ،لابن رشيق (ص ١/١٩٦).

قيد للأخبار، وتجديد للآثار "[١].

وفيما يحتاجه الشاعر أو المؤلف كذلك ما ذكره ابن سنان الخفاجي في قوله : " الذي يحتاج مؤلف الكلام إليه من معرفة اللغة التي هي لغة العرب قدر ما يعرف كل شيء باسمه الذي وضعته له "[٢] .

ثم فصّل لغة العرب تلك كما فعل من سبقوه كالجاحظ وغيره ، بمعرفة علم النحو ، وبحور الشعر والعروض ، والعلم بالقوافي ومعرفة أخبار العرب وأنسابها وسيرها. فوافق الجاحظ و ابن طباطبا و أبو هلال العسكري و ابن رشيق في العلوم التي يحتاجها مؤلف الكلام .

وهذه العلوم أساسية، وتعدّ مطلبًا أوليًا في ثقافة الشاعر ومعارفه؛ ليحظى بعلم وافر يعينه على صنعة الشعر وكتابته، فمتى تمكن الشاعر منها واقتدر عليها انعكس ذلك بالخير العميم على تأليفه وألفاظه، وهذا ما أكده **ابن سنان (ت٤٦٦هـ)** في تعليقه قائلا: " وبالجملة أن مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه؛ لأنه يدفع إلى أشياء يصفها فإذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ونعته أمكن "[٣].

ويجب على الشاعر أو الأديب حين يكتب شعره أن لا يأتي بالأفكار الغريبة والألفاظ الغامضة والمتكلفة ، وأن يجسد المعاني بصور واضحة، وبهذا ختم ابن سنان كتابه سر الفصاحة ، حيث أوصى الشاعر قائلا: "والوصية له ترك التكلف والاسترسال مع الطبع، وفرط التحرز، وسوء الظن بالنفس ومشاورة أهل المعرفة

---

(١) المصدرنفسه.

(٢) انظر: سرالفصاحة، لابن سنان (ص٢٨٩).

(٣) المصدرنفسه (ص٢٩٠)

، وبغض الإكثار والإطالة ، وتجنب الإسهاب في فن واحد من فنون الصناعة، فإن كلام الإنسان ترجمان عقله ومعيار فهمه وعنوان حسه ، والدليل على كل أمرلولاه لخفي منه وبحسب ذلك يحتاج إلى فضل التثقيف واجتماع اللب عند النظم والتأليف"(١).

وختم **ابن الأثير(ت٦٣٧)** وصيته للمؤلف بالطبع والاسترسال فيه فوافق بذلك بِشرا والجاحظ وابن قتيبة وابن طباطبا، كما أوصى الشاعر بعدم الإكثار والإطالة وتجنب الاسهاب في فن واحد ، وأوصى كذلك بالتثقيف والتهذيب عند النظم والتأليف.

كما أوصى النقاد الشاعر أو المؤلف بأخذ كل علم ، وفهم كل فن ، والوصول إلى أقصى ما يستطيع من الجودة والإتقان ، في العلوم كلها ، كما هو الحال مع ابن الأثير الذي قال في وصيته التي وصف فيها تلك العلوم بالآلات فقال : "اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة، وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلّق بكل علم، حتى قيل: كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه، فيقال: فلان النحوي، وفلان الفقيه، وفلان المتكلِّم، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقال: فلان الكاتب، وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فنّ، وملاك هذا كله الطبع، فإنه إذا لم يكن ثَمَّ طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئًا"(٢).

أما **ابن أبي الإصبع(ت٦٥٤هـ)** (٣) فقد انفرد بالصفات النفسية في وصيته التي

---

(١) المصدرنفسه.

(٢) المثل السائر، لابن الأثير (٣٨/١).

(٣) هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن محمد المصري المعروف بابن أبي الإصبع ، ولد بمصر سنة ٥٨٥هـ ، كان بليغ مصر الذي لم يشق غباره ، كان دقيق الحس ، قوي الشعور بالجمال ،استطاع أن يحلق في سماء الفن والعلم والمعرفة ، كما كان أستاذا يتخرج =

أوصى بها الشاعر قائلا: " يجب على من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يعتبر أولاً نفسه، ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات، فإذا وجد لها فطرة سليمة، وجبلة موزونة، وذكاء وقاداً، وخاطراً سمحاً، وفكراً ثاقباً، وفهماً سريعاً، وبصيرة مبصرة، وألمعية مهذبة، وقوة حافظة، وقدرة حاكية، وهمة عالية، ولهجة فصيحة، وفطنة صحيحة ، فإذا كملت في الشاعر والكاتب كان موصوفاً في هذه الصناعة بكمال الأوصاف النفسية التي إذا أضيفت إليها الصفات الدرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغات العربية، وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحو والتصريف، والعروض والقوافي، وما سومح به الشعراء من الضرورات " وغيرها من العلوم التي أشار إليها النقاد من قبله " (١).

إذن جعل ابن أبي الإصبع ثقافة الشاعرفي دقة الفكر ، وسلامة الفطرة والذكاء الوقاد وسماحة الخاطر والفكر الثاقب، والفهم السريع ، والبصيرة المبصرة إلى غير ذلك من الصفات النفسية التي عددها ، ثم أردفها بالصفات العلمية التي ذكرها الأدباء من قبل وأوصوا بها الشاعر ، فوافق بهذه الصفات العلمية ابن طباطبا وابن رشيق وابن سنان الخفاجي.

أما الصفات النفسية الذي ذكرها فقد تميز بها عنهم.

= على يديه الأدباء والعلماء ، ألف في البديع واستخرجه من القرآن والشعر، تناول الإعجاز في القرآن ، توفي سنة ٦٥٤هـ، تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ، تقديم وتحقيق د.حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(١) تحرير التحبير (١/ ٤٠٦). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (ت:٦٥٤هـ)، تحقيق: د.حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،١٣٨٣هـ.

أما حازم القرطاجني(٦٨٤هـ) الذي جعل أساس صناعة النظم هو الطبع ،فوافق بذلك بشرا والجاحظ وابن قتيبة وابن طباطبا وابن أبي الإصبع ،وابن الأثير وظهر ذلك صريحا في قوله: " إن النظم صناعةٌ آلتها الطبع . والطبع هو استكمال للنفْس في فهم أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها ، فإذا أحاطت بذلك علماً قويت على صوغ الكلام يحسبه عملاً . وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وأنواعه إنما يكونان بقوة فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء" (١).

كما أظهر القرطاجني أن الطبع مكملٌ للنفس في الفهم والبصيرة والوصول إلى أغراض الكلام واختلف عمن سبقه في العلوم التي أشار إليها والتي أسماها بالقوى، ولونظرنا إليها لوجدناها تقريبا هي العلوم التي أوصى بها النقاد من قبله الشاعر ، غير أنَّ القرطاجني جزأها وسمَّاها بالقوة فتدخلت لديه فلسفة القوى الفكرية ، فأخذ يوزع كل علم في العربية كالتشبيه والقوافي والمعاني ، فلو جمعها كسابقيه تحت مسمى اللغة لأوجز وأجاد. وعزا ذلك النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه إلى عشر قوات :

وأول تلك القوى - القوة على التشبيه فيما لا يجري على السجية ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجية ويجري عن قريحة .

الثانية - القوة على تصور كليات الشعر والمقاصد الواقفة فيها والمعاني الواقعة في تلك المقاصد؛ ليتوصل بهذا إلى اختيار مايجب لها من القوافي ولبناء فصول المقاصد.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني(١٩/١).

الثالثة ـ القوة على تصور صور القصيدة تكون بها أحسن ما يمكن، وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض.

الرابعة ـ القوة على تخيل المعاني بالشعور بها واجتنابها من جميع جهاتها.

الخامسة ـ القوة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني وايقاع تلك النسب بينها.

السادسة ـ القوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني.

السابعة ـ القوة على التحيل في تسيير تلك العبارات متزنة وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها.

الثامنة ـ القوة على الالتفات من حيز إلى حيز والخروج منه إليه والتوصل به إليه.

التاسعة ـ القوة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض، والأبيات بعضها ببعض، وإلصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة.

العاشرة ـ القوة المائزه حسن الكلام من قبحه بالنظر إلى نفس الكلام، وبالنسبة إلى الموضع الموقع فيه الكلام(١).

فيبدو من ظاهر كلام القرطاجني عند إشارته لتلك القوى العشر، أنه قصد القدرة والتمكن من التشبيه وقوافي القصيدة ومعانيها ، وتخيل المعاني وملاحظة التناسب بينها وبين الإيقاع الشعري ، والتمكن من الالتفات ووصل الأبيات بعضها

(١) المصدرنفسه (١٩/١).

ببعض والتمييز بين حسن الكلام وقبحه .

وختام الآراء رأي الأديب الناقد **النواجي(٨٥٩هـ)** الذي جمع جُلّ الأمر وكل تلك العلوم التي أوصى بها الأدباء من قبله في استشهاده بقول لأبي بكر الخوارزمي: " من روى (حوليات زهير) و(اعتذارات النابغة)و (أهاجي الحطيئة) و(هاشميات الكميت) و(نقائض جرير) و(خمريات أبي نواس) و(تشبيهات ابن المعتز) و(زهديات أبي العتاهية) و(مراثي أبي تمام) و(مدائح البحتري) و(روضيات الصنوبري) و(لطائف كشاجم)، ولم يخرج إلى الشعر فلا أشب الله قرنه"(١) .

وعلى ما يبدو أن النواجي يرى ثقافة الشاعر وتدفق الحس الشعري لديه يكون بحفظه لهذه القصائد المختارة، والتي تمتلك من الفصاحة في اللغة والبلاغة ما تمتلكه ، ومن المعاني والألفاظ ما تجعلها قوية رفيعة في شأنها .

وقد جعل النواجي هذه القصائد وكأنها مصادر الثقافة الضرورية التي يلزم من كل شاعر تعلمها وحفظها ، وقد بدأ بـ " حوليات زهير " وهي من أكبر القصائد وأفضلها شعرا فلم تخرج بين أيدي الناس إلا بعد تنقيح وتهذيب وتصحيح، فقصائد مثل هذه كيف يكون حالها في الفصاحة والبلاغة والعربية عامة ، وفيها مافيها من الصقل والامتحان والتنقيح ، وقد قال في ذلك الحطيئة :

"خير الشعر الحولي المنقح و المحكك وكان زهير يسمي كبرى قصائده بالحوليات"(٢).

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص٢١٦، لأبي منصور بن عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة.

(٢) الشعروالشعراء،لابن قتيبة (ص٨٤).

و على ما يبدو أن النواجي قد ابتدأ بالحوليات ومن قبله الخوارزمي رغبة منهم في تثقيف الشاعر لنفسه ، وتعرفه على قصائد قوية في لفظها ، رفيعة في مستواها ، عظيمة في قدرها بين أهلها، فما إن ينشأ الشاعر على قصائد مثل هذه إلا بلغ من القوة في شعره مابلغ .

والنوع الثاني هو " اعتذارات النابغة " وهي القصائد التي أبدى فيها النابغة اعتذاراته إلى النعمان بن المنذر، وقد حوت من التلطف وحسن التأتي مازاد من أهميتها وعلا في شأنها يقول **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)**: " وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئا يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه "(١).

وهنا إشارة من النواجي للشاعر كيف يكسب المهارة في استجلاب القلوب بأسلوب التلطف " وهذه تعدُ اضافه معنوية فنية تقوي شاعريته "(٢).

أما **النوع الثالث** فهو " أهاجي الحطيئة " وهي القصائد التي هجا بها الحطيئة خصومه، وقد أشار النواجي في هذا إلى القدرة التي يجب على الشاعر أن يمتلكها في نفسه ، أوالمهارة التي يستطيع من خلالها أن يتفنن بها في الإفصاح عن الإنفعالات الكائنة في داخله - إزاء موقف أثار غضبه ، أو شخص أساء إليه - فيصوغها في قالب يصور فيه نقص الشخص الذي أمامه أو الصفات السيئة فيه ، بدقة في اللفظ وقوة في المعنى . فيظهر الأثر من تلك القصائد على الشخص المعني ، وهذا كله قد يعززه ويقويه ملكة خفية لدى الشاعر .

---

(١) العمدة ،لابن رشيق (٢ /١٧٦).

(٢) انظر: نظرية الإبداع الشعري، د.البنداري(ص٤٩).

والنـوع الرابـع هـو "هاشـميات الكميـت " وهـي قصـائد تنسـب إلـى الكميـت الأسدي وقد قالها دفاعا عن البيت الهاشمي ، " ونظرا لإعجاب النواجي بالكميت ، و ميله لمذهب التشيع الذي كان يجتذب علماء ذلك العصر، جعله ينص على هذه الهاشميات بالإضافة إلى أن الهاشميات تنطوي على " ذوق " جديد ، يجب على الشاعر المبتدئ العناية به وهو " الذوق العقلي " ، لأن الكميت في قصائده الهاشمية يعبر عن الفكر والتأمل تعبيراً يفوق تعبيره عن الشعور والعواطف "(١).

أما **النـوع الخـامس** فهـو " نقـائض جريـر" وهـي قصـائد تكشـف عـن طبيعـة " التعصب القبلي " في العصر الأموي .

ويبدو أن العصبية القبلية قد جرت في العروق العربية مجرى الدماء ، فكان لها من التأثير على أفرادها وجماعتها مالها ، واستمرت العصبية القبلية حتى بعد ظهور الإسلام . وقد دعا النواجي إلى معرفتها ربما لأنها تنطوي على معارف ومعلومات عن البيئات الاجتماعية.

وتشتمل على مهارات أدائية أسلوبية "لأن النقائض وبخاصة نقائض جرير" تتسم بسمة فنية، فهي ليست قصيرة، وإنما مطولات يحتاج إليها الشاعر المبتدئ ليثري لغته، وبها ألوان تعبيرية وصفية مستحدثة (٢).

وأما **النوع السادس** فهو" خمريات أبي نواس " وهي قصائد تناول فيها أبو نواس تجربته الشخصية مع شرب الخمر .

ويبدو أنَّ وراء إحالة النواجي للشاعر على هذا النوع من الشعر وقبله أبو بكر الخوارزمي غاية أو رأيًا خفيًا قد يتمثل في أنَّ أبا نواس اشتهر بخمرياته لا لشربه

(١) المصدر نفسه (ص٥٦).

(٢) المصدرنفسه (ص٥٨).

لها وإنما لأسلوبه وطريقته في عرض قصائدها فهو يمزج الإحساس فيها بالفكر والروح ، ويجعل الخمر رمزا لتجسيد ما هو ضده ،ويتكلم عن لسان وسيلة محرمة ولكنها شائعة ومتداولة في مجتمعه ، إضافة إلى أسلوب أبي نواس الشعري العام الذي اتَّكأ فيه على الأساليب الطلبية ولاسيما الأمروالنداء(١).

فيظهر من خلال ذلك العلم أو الثقافة التي سيجدها الشاعر في هذا النوع والتي قد تثري ثقافته وتقوي أدواته ، إضافة إلى تواجدها في الشعر العربي وعلى الرغم من ذلك الاحتمال إلا أنَّ وصية النواجي بالعلم بها أمر قد تخفى علينا حكمته، فقد كان النواجي رحمه الله أبعد نظرة وأكثر وعيا في فهمه للإبداع الشعري ، إضافة إلى ما يجب على الباحث من التأدب أمام علماء كالنواجي عرفوا من العلم ماعرفوا بل واشتهروا بتقواهم وحذرهم .

ثم **النوع السابع** وهو " مراثي أبي تمام " وهي قصائد رثاء أبي تمام لمحمد الطائي الطوسي والمراثي عامة يعدد الشاعر فيها مناقب الميت ويظهر فجعته عليه .

والنواجي حين أحال الشاعر عليها كان يرمي إلى ما تحويه هذه القصائد من ذكر لفضائل الأخلاق في الميت وتعدد سجاياه ومحامده ، فبذلك يجمع الشاعر بين الرثاء والمدح بقوة اللفظ وصدق العاطفة ، فلا غرابة إذن حين يحيل النواجي الشاعر لحفظ المراثي وعلى رأسها مراثي أبي تمام لشهرتها آنذاك .

وثامنها : " تشبيهات ابن المعتز " وإنما خص النواجي والخوارزمي تشبيهات ابن المعتز عن غيره " لقدرته على تطويع التشبيه وتلوينه ، فقد تمكن من

---

(١) مقال الخصائص الأسلوبية في شعر أبي نواس د. محمد عبدالله المعصري، www.yemen-nic.inpo\index.php

أن يحول صبغ التشبيه المحدود إلى صبغ آخر، له طاقة واسعة ، بل لقد خرج عن نطاقه القديم وأصبح صبغاً مستقلاً له أوضاعه التي لا تحصى ... والتي تنقلنا من عالمنا الحسي إلى عالم خيالي واهم " (١).

لذا أوصى النواجي الشاعر بتشبيهات ابن المعتز والتي نالت إعجاب الكثير ممن سبقوه وجاؤوا بعده ، كيف لا وهو يطرز تشبيهاته بصورٍ ومعانيَ تكاد تكون للسامع أو القارئ وكأنها مجسدة أمامه .

وتاسعها : مدائح البحتري والتي أوصى النواجي الشاعر بحفظها لفوائد جمة منها العناية بالأسلوب الذي يصوغ فيه تلك المعاني والعبارات . فيمدح الشاعر بأسلوب جزل جميل ، ويصور الموصوف ويرسم صفاته وأفعاله بصورة فنان أجاد الرسم وأتقنه، أضف إلى ذلك نوعية الألفاظ وقوافيها وأوزانها ، فهو يطوع العبارات ويلين القوافي ويوظف الألفاظ ؛ كي تصبح مناسبة لصفات الممدوح . وهذا مما يكسب الشاعر رونق في الأسلوب، وجزالة في الألفاظ ، وعذوبة في المعاني ورصانة في القول .وقد ذكر النواجي في كتابه المقدمة قول أبي تمام في وصيته للبحتري " وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وابن معالمه ، وشرف مقامه ، وتقاص المعاني (أي أطلبها)، واحذر المجهول منها ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام"(٢).

فيوصي النواجي الشاعر عند مدح سيد مشهور ومتمكن بصيته أن يبرز صفاته ومناقبه ومعالمه ، وأن يجتهد بطلب المعاني ويحذر المجهول ، ثم يبين كيف يكون الشاعر في تقديره عند وضع الألفاظ في معانيها المناسبة مشبها إياه بالخياط الذي يقطع الثياب على قدر الأجسام ومقاسها المناسب لها .

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي،(ص٢٦٩) د. شوقي ضيف. ط٤، القاهرة، ١٩٦٠.
(٢) مقدمة في صناعة النظم والنثر،للنُّواجي (ص٤١).

وعاشرها : " زهديات أبي العتاهية " وقيل إنّ هذه الزهديات قد استغرقت فترة طويلة من حياة أبي العتاهية ، حصرها مؤرخو الأدب في ثلاثين عاما ، وقد يكون هذا سببا قويا في إحالة النواجي الشاعر لهذه القصائد ووصيته بحفظها فقد حوت تلك القصائد من خبرة أبي العتاهية وتمرسه في فن الزهديات ما يجعل قصائده تكون مدرسة للمبتدئين من الشعراء إلى جانب تباسط وسهولة أبي العتاهية في لغته التي تناول بها قصائد الزهد لتتناسب معها .

و قصائد كهذه مكثت طيلة تلك الفترة بين يدي شاعر كأبي العتاهية ، ثم خرجت لتكون بين يدي كل طالب وراغب ، حري بكل شاعر ناشئ أن يحفظها ويعيها جيدا ؛كي تعينه على استخلاص شذرات الحكمة والتأمل في الحياة والموت والمصير .

ثم ذكرقصائد "روضيات الصنويري " " وتعد من الأصول الشعرية التي تنمي مواهب المتأدبين وتفتق شاعريتهم "(١) .

وقد ذكر ابن شرف القيرواني في الصنوبري قوله فيه : " إنه كان وحيد جنسه في صفة الأزهار وأنواع الأنوار"(٢).

و أحب الصنوبري الطبيعة والتصق بها فكان يتجه إليها بمشاعره وحواسه فيجسدها في أبهى صورها ، كما استطاع تطويع الألفاظ والمعاني وتذليلها فيصوغها في صور رائعة يغلب عليها الإثارة والتشويق ، والشاعر حين يعطي بصدق يضفي على قصائده شيئًا من الأحاسيس والمشاعر الحية ، فيظهر وكأنه يتبادل أطراف الحديث مع الطبيعة المتجسدة ، وهكذا كان الصنوبري حيث

---

(١) نظرية الإبداع الشعري، د.البنداري (ص٧٣).

(٢) المصدرنفسه (ص٧٣).

التشخيص والتجسيد ، وهذا يكسب الشاعر المبتدئ إبداع في الوصف ، وإثراء في اللغة وجمال في الأسلوب.

وقيل " تشبيهات ابن المعتز ، وأوصاف كشاجم ، وروضيات الصنوبري ، متى اجتمعت اجتمع الظرف والطرف ، وسمع السامع من الإحسان والعجب "(١).

وآخر نوع أشار إليه الخوارزمي هو لطائف كشاجم ، وقد وصفت فيما سبق بأنها متى اجتمعت مع تشبيهات ابن المعتز ، وروضيات الصنوبري أضفت جو الظرف.."(٢).

كما يبدو أنها قد اكتسبت الظرف من اسمها لطائف حيث اللطافة والظرافة ، ومن المؤكد أن الشاعر كما أنه يحتاج إلى الجدية والقوة ، يحتاج كذلك إلى اللطافة والسهولة .

وخلاصة ماسبق فإن النواجي قد انفرد عن غيره ممن سبقه من النقاد في إحالة الشاعر إلى حفظ تلك القصائد التي ذكرها في قول أبي بكر الخوارزمي ، لأنه يرى أنها عامة شاملة ، احتوت على كل أغراض الشعر تقريبا ، وهذا عند النُّواجي كاف للشاعر الناشئ.

ويمكن القول أن ثقافة الشاعر وأدواته برزت في :

- صحة الطبع وسلامته .

فالطبع هو رأس البضاعة وأساس الصناعة ، وهو في الأدب كالنجدة لذي السلاح ، ففقدان الأديب الطبع كفقدان ذي السلاح الشجاعة والنجدة ، وفقدان

---

(١) المصدرنفسه (ص٧١).
(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي (ص: ٢١٦)

صاحب الطبع الأدب كفقدان ذي النجدة السلاح والعدة ولا محصول لأحدهما دون الآخر"(١).

والطبع والأدب وجهان لعملة واحدة لا استغناء لأحدهما عن الآخر فكلاهما يبرز العملة ويزيد من قيمتها ، وقيل " أن المطبوع قد يستثير مشاعر مختلفة، تتصل بحاستي النظر والذوق، ويتسم بالإتقان ويبتعد عن التعقيد "(٢) .

وكما ذُكِر سابقا أن الطبع والأدب أمران متلازمان يكمل أحدهما الآخر، لذا وجب على الشاعر التوسع في الثقافة والإلمام بعلوم عصره ، فالطبع لا يكفي وحده وأهم تلك العلوم والمعارف :

- التوسع في علوم اللغة : معرفة علم النحو ، وعلم القوافي ، وعلم العروض وبحور الشعر .
- البراعة في فهم الإعراب ، والرواية لفنون الآداب .
- معرفة أيام العرب وأنسابهم ، ومناقبهم ومثالبهم .
- الوقوف على مذاهب العرب في الشعر والتصرف في وجوهه كالمديح والهجاء وغيره
- أن يكون الشاعر حلو الشمائل ، حسن الأخلاق .
- والتزام الشاعر بوصية أبي بكر الخوارزمي والتي أيدها النُّواجي في كتابه حري بكل شاعر حفظها والأخذ بها لما احتوت عليه من علم وتجارب وحكم أبرز الشعراء وأفضلهم حين يروي حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز و زهديات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري و روضيات الصنوبري ولطائف كشاجم . فهذه الفنون جامعة شاملة .
- وجماع هذه الأدوات كمال العقل .

---

(١) مقدمة كتاب الدر الفريد وبيت القصيد(ص٣٠٣) ، محمد بن أيدمر ، تحقيق د. مصطفى عناية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن-٢٠١٣م.

(٢) نظريات الشعراء عند العرب، للجوزو (ص١٨٢).

المبحث الخامس: قضية عمل الشعر وتنقيحه وتهذيبه

إن قضية عمل الشعر وتنقيحه وتهذيبه هي خامس قضايا الشعر والتي تحدث عنها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

أمَّا عمل الشعر فهو أساس عملية الإبداع الشعري ومحوره والتي يبرز من خلالها آراء النقاد السابقين ومن بينهم النُّواجي - رحمه الله – حيث كان هؤلاء النقاد منهجا ومرجعا أساسيا لمن كان في زمنهم ، ومن جاء بعدهم ، في عمل الشعر وصنعته .

إن ظاهرة التفاوت في عمل الشعر والبراعة فيه ترتبط ارتباطا وثيقا بالحالة النفسية للشاعر وتبرز جانبا هاما من جوانب القلق والاضطراب الذي يحياه الشاعر ، فليس شرطا أن يبرز ذلك التفاوت عيبا من عيوب الشاعر بل قد يظهر تلقائيته وطبيعته في الإبداع فهو لا يتصنع في شعره ، ولا يتصيد الألفاظ أو المعاني وإنما ينثال عليه الشعر انثيال الماء الزلال(١).

فالحالة النفسية لدى الشاعر جانب من الجوانب المهمة التي يجب الالتفات إليه وعدم إغفاله؛ لأن النفس تتأثر بكل ما حولها وحين يعمل الشاعر شعره تظهر انطباعات نفسه وما يشوبها على ألفاظه ومعانيها.

والشعر هو الذي يتحدث عن الشاعر وشخصيته ، فهناك من العبارات والصيغ التي تدل على نفسية قلقة وهناك ما يدل على إثارة انتباه السامع والقارئ ، بل

---

(١) انظر موقف النقد العربي من ظاهرة تفاوت الشاعر في التناول الفني حتى نهاية القرن الرابع الهجري، المعرفة الجامعية-مصر-٢٠١٢م. د.سليمان عبد الحق ، (ص٤٣).

وتمهد له السبيل لإقناعه(١).

وأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى نفس الارتباط السابق بين الشاعر والحالة النفسية له فيرى أن قلب الكريم يُسْتعطف به ويُسْتمال قلب اللئيم "(٢).

أي أنه قادر على التأثير في النفوس الكريمة واللئيمة ، على الرغم من قسوة النفوس اللئيمة وصعوبة التأثير فيها فحين يملك الشاعر القدرة على ذلك فهو يبدو ذا سلطة قوية مؤثرة(٣).

وبدأ بشر بن المعتمر(٢١٠هـ) بوصية الشاعر عند تأليفه فقال : " خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها لك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسباً، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء، واجلب لكل عين وغرة، من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلاً، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه "(٤).

فحاصل وصية بشرٍ أن على الشاعر أن يكسب ساعة نشاطه وفراغ باله واستجابة نفسه له،فمتى حصل على ذلك، فإن القليل من التأليف في تلك الساعة أكرم جوهرا وأحسن سمعا بل وأحلى في الصدور وأبعد عن الخطأ ، وأكثر إعجابا ، وهو أنفع من أن يستغرق الإنسان طول يومه بالكد الطويل والمجاهدة والمعاناة بالتكلف

(١) انظر دراسة في نصوص العصرالجاهلي تحليل وتذوق (ص٢٢٤)، السيد أحمد عمارة. المكتبة الشاملة.

(٢) انظر: العقد الفريد، لابن عبدربه (٢٧٤/٥).

(٣) انظر: نظريات الشعر عند العرب، للجوزو (١٧١/٢).

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٣٥).

والتكرار دون جدوى ، وإن حصل خطأ ما فلا يعدو أن يكون ذلك الخطأ مقبولاً في النفوس وخفيفاً على اللسان ، كما خرج من أصل ينبوعه .

ويكمل بشر فيقول : " فإن ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك وسواد ليلتك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فإنك لا تعدم الإجابة و المواتاة ، إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق "[١]

كما ينهى بشر الشاعر عن التأليف إذا لم يساعده طبعه من أول وهلة ، وامتنع عنه بعد إمعان النظر في الفكرة ، ولا يعجل ولا يضجر، بل وأوصاه بتركه و معاودته له عند النشاط والراحة وساعة فراغ العقل وخلوه.

وذكر أبو اسحاق الحصري[٢] في كتابه وصية أبي تمام للبحتري فقال : " يا أبا عبادة؛ تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم"[٣]

فأشار أبوتمام إلى التهيؤ النفسي ، وهو استعداد النفس للإبداع الشعري وإخراج كل مكنون بها شريطة أن يكون الذهن خاليا من المشاغل والهموم ، والنفس صافية من الكدر والغموم ، فالنفس حين تشعر بالراحة وتخلو من الهموم والغموم ، تتهيأ للإبداع الجيد، وتخرج ما بها من تميز الألفاظ وجمال المعاني .

وكأنَّ أبا تمام يوافق بشرا بقلة الهموم والغموم حين قال ساعة نشاطك وفراغ بالك.

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٣٥).
(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، صاحب كتاب زهر الآداب وثمر الألباب.
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب (١٥٣/١) أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ط١، تحقيق : أ. د / يوسف على طويل.

وكذلك **ابن قتيبة(٢٧٦هـ)** الذي وافق بشرا وأبا تمام في اهتمامهما بالحالة النفسية للشاعر عند عمل الشعر لكنه تناولها من عدة جوانب :

الجانب الأول : الحوافز الدافعة لقول الشعر، كالطمع والطرب والغضب والشوق وما يثير هذه الحوافز.

الجانب الثاني : العلاقة بين الشاعر والزمن ، لأن بعض الأوقات ذو تأثير خاص في المزاج الشعري، كأول الليل عند تفشي الكرى وصدر النهار قبل الغداء[١] .

الجانب الثالث : مراعاة الحالة النفسية في السامعين ، وهنا علل ابن قتيبة سبب بناء القصيدة العربية من استهلال بالبكاء وشدة الوجد وألم الفراق ، والشوق وفرط الصبابة وذلك " ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ، لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء"[٢].

فابن قتيبة يبرز أهم المسببات التي قد تحرض وتحفز الحالة النفسية على قول الشعر فذكر ، الطرب والشوق والغضب ، كما ذكر أن النفس تميل إلى ما تجد نفسها فيه وأن سبب استهلال القصائد العربية بالبكاء والفراق والشوق لما جعل الله في قلوب العباد من المحبة .

ويرى د. إحسان عباس أن جانبي الحوافز النفسية الدافعة لقول الشعر، والعلاقة بين الشاعر والزمن لهما أثر في التفاوت بين شعر الشاعر الواحد ، فبعض الحالات النفسية والجسدية كالغم وسوء التغذية تمنع من قول الشعر، ولكن الشاعر قد يضطر إلى التغاضي عن الحالة الصالحة فيكون ما ينظمه حينئذ مختلفا متفاوتا،

---

(١) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس (ص٩٩).

(٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص٧٦).

لذا فقد ذهب ابن قتيبة إلى التعليل النفسي في ذلك ، ولعله كان أدق فهما للطبيعة الإنسانية[١].

" فالشعر عند ابن قتيبة لا ينبعث من فراغ ولا يصدر عن تجريد ، وإنما يصدر عن نفس جياشة وعامرة بشتى المشاعر والأحاسيس وتعاني من القلق والتوتر، وتتخذ موقعا معينا من الحياة يعبر عن رؤيتها الخاصة وما تحس به من آلام وآمال ونوازع وتطلعات" [٢].

كما يؤكد ابن قتيبة أن لغة الشعر هي لغة فنية يوظفها الشاعر من خلال انفعالاته ومشاعره فيظهر ذلك في أسلوبه وألفاظه وقيل للشنفرى حين أُسر أنشد فقال : الإنشاد على حال المسرة[٣].

إذن فابن قتيبة التفت للحالة النفسية لدى الشاعر واهتم بها ، لإيمانه بأن النفس تكون مليئة بالمشاعر والأحاسيس عند صناعة الشعر ، وما تهيأت للصناعة إلا وهناك دوافع خفية حرضت النفس وتشبعت بها للإبداع . فالشعر عند ابن قتيبة لايصدر من فراغ بل من نفس مليئة بالمشاعر تعاني من القلق والتوتر فاتخذت من الشعر وسيلة للتعبير عن رؤيتها الخاصة وعما تحس به من آلام وآمال وتطلعات .

وخالف قدامة بشرا وابن قتيبة في أنه قصّر حديثه كله على الشعر نفسه دون أن يلتفت للشاعر أو المتلقي ، فليس هناك أي حديثا له عن الحالات النفسية لدى الشاعر كما فعل ابن قتيبة[٤].

---

(١) انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس (ص٩٩).

(٢) دراسات في النقد القديم، لعبدالفتاح عثمان (ص١١٥).

(٣) الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص٨٠).

(٤) انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس (ص١٩٦).

والإبداع الشعري يصدر عن مبدع يمتلك موهبة مميزة ونفسية مهيأة تعينه على الاختلاق والابتكار أو تعيقه عن ذلك .

فالشاعر لا يحاكي الأشياء ولا الأشخاص إنما يتبع نفسه وهواه في ابتكار الجديد من الألفاظ والمعاني، لذا نجد من النقاد من جعل الحالة النفسية لدى الشاعرمن أوائل اهتماماته"فاعتدال مزاج الشاعر النفسي وتوفير وسائل الإمتاع البصري والسمعي تحقق له أكبر قدر من التهيؤ المطلوب لعملية الإبداع الفني، ولهذا الارتباط الوثيق بين الإبداع والحالات النفسية للشاعر قد تمر عليه أوقات عصيبة يتوقف فيها عن الإبداع"(١) .

ويوافق أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) بشرا وأبا تمام عند وصيته للشاعر بالابتعاد عن الملل والضجر وقت عمل الشعر فجاء في وصيته : " فإذا غشيك الفتور، وتخوّنك الملال فأمسك ؛ فإنّ الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضّجر خسيس؛ والخواطر كالينابيع يسقى منها شىء بعد شىء، فتجد حاجتك من الرّى، وتنال أربك من المنفعة. فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقلّ عنك غناؤها "(٢).

فأشارأبو هلال إلى بعض الأمور التي تعيق عمل الشعر وهي الفتور والتعب ، والملل والضجر، حتى أنه أوصى الشاعر أن يمسك عن العمل عند ذلك معللا بأن الكثير من العمل وقت الملل يصبح قليلا ، والثمين مع الضجر يكون خسيسا.

ثم شبَّه الخواطر وكأنها ينابيع تعطي شيئا بعد شئ وتشبع بالري ، كالينابيع الصافية المتدفقة والتي تتدفق مياهها تارة تلو أخرى حتى تروي حاجة من قصدها ولكن إن زاد عليها فقد يجف ماؤها ويقل غناؤها.

---

(١) دراسات في النقد القديم، لعبدالفتاح عثمان (ص١١٩).

(٢) كتاب الصناعتين،،لأبي هلال العسكري (ص١٣٣)

وحين شبه أبو هلال الخواطر بالينابيع فقد أصاب، حيث عبّر عن ذلك بلغة فنية دقيقة قادرة على إيصال الفكرة أو المعنى ، فصفاء الينبوع وصفاء مائه وتدفقه، يصور صفاء الخاطر وجلو فكره فمتى كانت النفس صافية نطقت بمعاني صادقة ومؤثرة، وبقلب محب، وإحساس مرهف ، وروح تسمو إلى العلو فتتدفق بمشاعر جياشة تفيض صدقاً وعذوبة وتصاغ في قالب شعري بديع، بلغة تؤكد سمو العاطفة وصدقها.

وكذلك وافق **ابن رشيق(٤٦٣هـ)** وافق من سبقه من النقاد في أن النفس بحاجة إلى تهيئة نفسية خاصة لعمل الشعر ، واستشهد بقول المزني في ذلك :" وقال بكربن عبد الله المزني: لا تكدّوا القلوب ولا تهملوها، وخير الفكر ما كان في عقب الحمام، ومن أكره بصره عشي، واشحذوا القلوب بالذاكرة ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا منحتم ببعض الاستغلاق، فإن من أدمن قرع الباب وصل"[(١)].

فينهى المزني عن تعب القلوب وإجهادها ، وعن إكراه البصر و إرهاقه حتى لا يفقده ، كما أوصى بشحذ القلوب بالذاكرة وعدم اليأس ، فمن واصل الطرق وصل.

ويوافق **ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ)** بشرا وأبا هلال العسكري في قوله: " ولا تعمل نظماً عند الملل، ولا تؤلف كلاماً وقت الضجر، فإن الكثير معه قليل، والنفيس معه خسيس"[(٢)].

إذن يتكرر النهي عن عمل الشعر عند الملل والسأم ، وعند الضجر، لأن الكثير معه يصبح قليلا والنفيس الغالي يصير معه خسيسا .

وجاء **القرطاجني(٦٨٤هـ)** ووافق أبا تمام وأكد على وصيته في الحالة النفسية

---

(١) العمدة، لابن رشيق (٢١٢/١).

(٢) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص١٩).

عند عمل الشعر، كما دعا الشاعر إلى الأخذ بها وأبرز ما جاء فيها من أمور تعين الشاعر على عمله فقال : " إن الناظم إذا اعتمد ما أمره به أبو تمام من اختيار الوقت المساعد وإجمام الخاطر، والتعرض للبواعث على قول الشعر والميل مع الخاطر كيف مال ، فحقيق عليه إذا قصد الروية أن يحضر مقصده في خياله وذهنه المعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده ويتخيلها تتبعاً بالفكر في عبارات بدد "(١) .

وحاصل كلامه أن الشاعر متى أخذ بوصية أبي تمام واعتمدها عند نظم الشعر في اختيار الوقت المناسب والمساعد للنظم، والميل مع الخاطر، فالشاعر المبدع يجد نفسه متفاعلاً ومتأثراً بما يجول في خاطره ويعينه على الاختلاق والابتكار فيصوغ الألفاظ بلغة حسية معبرة تكون حصيلة لمزيج من الانفعالات والصور الذهنية التي تفاعلت معها شخصية الشاعر.

" و النفوس تسأم التمادي على حال واحدة، وتؤثر الانتقال من حال إلى حال"(٢).

كما أن القرطاجني يرى أنها تستريح إلى التجديد والتنويع و الإفتنان ، فينصح بتقسيم القصيدة إلى فصول مختلفة المناحي والمقاصد. (٣)

وكأنه يدعو إلى عدم الاستمرار في العمل على وتيرة واحدة بل الانتقال من حال إلى حال ، والتجديد والتنويع والتفنن ، وقد رأى د. مصطفى الجوزو هذا من الأساليب التي تحسن موقع الكلام من النفس .

ووافق العلامة **النُّواجي(٨٥٩هـ)** بشرا وأباهلال العسكري وابن أبي الإصبع في

(١) منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٢٠٤).

(٢) نظريات الشعر عند العرب، للجوزو (١٧٦/٢).

(٣) انظر القرطاجني (ص٢٩٥)

وصاياه للشاعر عند تنبيهه إلى وقف العمل في التأليف عند الشعور بالملل فقال : " ولا يعمل نظم ولا نثر عند الملل، فإن الكثير معه قليل والخواطر ينابيع، إذا رفق بها جمت، وإذا عنف عليها ترحت" [١].

وكرر ذلك في قوله : " ومتى عصى الشعر فاتركه ، ومتى طاوعك فعاوده ، وروح الخاطر إذا كلَّ "[٢] ثم يؤكد ذلك بذكره لنص أبي تمام في قوله : " وإذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب "[٣].

وكذلك استشهد بنص لابن أبي الإصبع في قوله : " ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فإن الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس "[٤].

فأشار كغيره ممن سبقه إلى عدم العمل وقت الملل ، فالكثير معه قليل ، كما شبه الخواطركأبي هلال العسكري بالينابيع التي إذا رفق واعتني بها كثرت وازهرت ومتى شُدَّ عليها قلت وتناقصت .

فنص النواجي واستشهاداته جميعها تنبه إلى ترك عمل الشعر وقت الإحساس بالملل والضجرلأن العمل وقتئذ متكلفا غير محببا أو غير موجودا أصلا .

وفي المقابل هناك دعوة إلى عمل الشعر وقت النشاط والرغبة فهو الوقت الذي يساعد الشاعر على النتاج المحمود .

"فقد يكلُّ خاطر الشاعر ويعصي عليه الشعر زمانا كما رُوي عن الفرزدق أنه

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي(ص٢٩).

(٢) المصدرنفسه (ص٣٠).

(٣)المصدرنفسه (ص٤١).

(٤)المصدرنفسه (ص٤٣).

قال: لقد يمر عليَّ زمان وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من أن أقول بيتًا واحدًا وإذا كان كذلك فأتركه حتى يأتيك عفوًا وينقاد إليك طوعًا"(١).

وخلاصة ماسبق إن كل الآراء تدعو إلى نشاط النفس، وفراغ البال والتوقف عن عمل الشعر وقت الضجر والملل؛ لأن هذا يحصل جزماً في النفس فمتى ارتاحت النفس ، وصفا البال تمت الاستجابة الفعلية منها وفاض نبع الشعر وتحركت العواطف وأخرجت جميل الإحساس من داخلها إلى رفيع الألفاظ وسمو المعاني. وروعة الأثر.

وكرر الأدباء الملل والضجر لأن في حال وجودهما في النفس تقل القدرة الفنية على التخييل وتعجز عن الخلق أو التعبير في انفعالات الشاعر وعواطفه لحالها الذي تكون عليه فهي عندئذ أبعد ما تكون عن الشعر؛ لأنها مثقلة بالهموم متجسدة بالملل والضجر.

إن الاهتمام بالحالة النفسية لدى الشاعر أو المؤلف من ضروريات الإبداع الشعري لديه ، وجميل الأثر عند المتلقي . فالنفس تقبل اللطيف وتنفر عن الغليظ ، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه وتنبو عما يضاده، فلذلك كان لزاماً على الشاعر مراعاة النفس التي تخرج الألفاظ متجسدة المعاني .

ويصاحب الحالة النفسية عند عمل الشعر وقت الشعر وقد تناوله الأدباء وأوصوا به فيقول بشر في ذلك : " وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة "(٢).

---

(١)تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٨٥).

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٣٥).

فبشرٌ(٢١٠هـ) يوصي من أراد عمل الشعر أن يختار الوقت المناسب ، ومنه وقت النشاط وفراغ البال وخلوه من أي شئ يشغله عن العمل .

أما أبوتمام فقد اختار وقت العمل وحدده بقوله : " واعلم أن العادة في الأوقات، إذا قصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه، أن يختار وقت السحر، وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهوى، وسكنت الغماغم، ورقت النسائم، وتغنت الحمائم " (١).

واختار أبو تمام وقت السحر، وبين أن هذا الأمر معروف و معتاد عليه وهو الوقت المختار والمفضل لدى الكثير، " والسَّحَر: آخر الليل قُبَيْل الصبح، والجمع أَسحارٌ. وقيل: هو من ثلث الآخِر إلى طلوع الفجر." (٢)﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٣).

ثم علل اختصاص هذا الوقت عن غيره ، بأن النفس فيه قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، وخف عنها ثقل الغداء وصفا العقل من الأبخرة والأدخنة ، وذهب الغم وكدره .

وابن قتيبة(٢٧٦هـ) خالف أبا تمام في تحديد الوقت فقال : " وللشعر أوقات يسرع فيها أتيّه، ويسمح (فيها) أبيّه.

منها أوّل الليل قبل تغشّى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر،للنواجي (ص٣٩).

(٢) لسان العرب ، مادة (سحر).

(٣) سورة الذاريات ، الآية: ١٨.

الدواء، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير" (١).

فحدد ابن قتيبة الأوقات التي يراها أكثر تركيزا وتأملا وهي : أول الليل قبل حلول النعاس وصدر النهار قبل الغداء، والخلوة .

ويقول أيضا: " وللشعراء أوقات يبعد فيها قريبه ويستصعب منها ريضه، وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ولا نعرف لذلك علة إلاَّ من عارض يعرض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم " (٢).

وابن رشيق(٤٦٣هـ) وافق أبا تمام في وقت السحر فقال : " ليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند الهبوب من النوم؛ لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعييها...... ولأن السحر ألطف، وأرق نسيماً هواءً، وإنما لم يكن العشي كالسحر وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد دخول الضياء في السحر على الظلمة، ولأن النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه، ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه "(٣) .

إذن فرَّق ابن رشيق بين العشي والسحر.

" والعشي إِذا زالت الشَّمْسُ دُعِي ذلك الوقتُ العَشِيَّ "(٤).

كما خالف ابن رشيق كل من رأى بأن وقت السحر غير مناسب لعمل الشعر معللا

---

(١) الشعر و الشعراء، لابن قتيبة (ص٨٢).
(٢) المصدر نفسه (ص١٦).
(٣) العمدة، لابن رشيق (ص٢٠٨).
(٤) لسان العرب ، مادة (عشي)

ذلك بقوله : " وإنما لم يكن العشي كالسحر وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد دخول الضياء في السحر على الظلمة، ولأن النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه، ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه " (١).

و يمر على الشاعر وقت لا يحالفه فيها حظٌ إمّا لبعد الألفاظ أو لصعوبة القوافي أومن سوء غذاء أو من خاطر مهموم ونقل ابن رشيق في كتابه قول الفرزدق في هذا :" تمر علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من عمل بيت من الشعر: "(٢) .

وبهذا يكون الجانب النفسي متعلقاً بالتهيؤ والاستعداد للنظم وتخير الوقت المناسب فيكون المبدع في أوج استعداده للعمل.

وإذا أريد الجمع بين قولي أبي تمام في قوله : " واعلم أن العادة في الأوقات، إذا قصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه، أن يختار وقت السحر " وبين قوله:

خُذْها ابنة الفِكرِ المهذَّبِ في الدُّجَى ... والليل أسود رقعَة الجِلبَابِ(٣)

يظهر لنا أن أبا تمام قد خصّ وقت السحر للتأليف أو الحفظ ، بينما جعل الدجى وهو الليل عامة للتهذيب والتنقيح ، وقد ذكر هذا في قوله : (الفكر المهذب) فأشار إلى ما يدل على التهذيب .

ووافق ابن رشيق في تفسيره لذلك رأي أبي تمام حين علل ذلك بقوله : " فالسحر

---

(١) العمدة، لابن رشيق (ص ٢٠٨).
(٢) المصدرنفسه (ص٢٠٥)
(٣) ديوان أبي تمام(ص٢٩).

أحسن لمن أراد أن يصنع، وأما لمن أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك بالليل، قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين: " إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا وهذا الكلام الذي لا مطعن فيه، ولا اعتراض عليه " (١).

ونقل ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) قول أبي تمام وأيده حين خصّ الدجى لكون الليل تهدأ فيها الأصوات، وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً، والخاطر خالياً ، ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس سهمها من الراحة، ويخف عليها ثقل الغذاء، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً، والصدر منشرحاً، واختياره وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء،وخفة الغذاء لما يكون في السحرمن انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم، وارتفاع معظم الأصوات ، وتقشع الظلماء بطلائع الأضواء(٢) .

ففرق بين الدجى والسحر.

ووافق ابن أبي الإصبع ابن رشيق في تفسيره اختلاف الوقتين في وصية أبي تمام وتناقضهما فقال :" فإن قيل: الذي أوردته قبل هذه الوصية في بيت أبي تمام الذي هو: خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى " وما فسرت به الدجى واختياره لوسط الليل دون طرفيه يناقض قوله في هذه الوصية: واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه، أن يختار وقت السحر، قلت: المقصد في البيت غير المقصد في الوصية، فإن المقصد في البيت التنقيح، وفي الوصية العمل والحفظ، والتنقيح يحتاج إلى خلو الخاطر وتدقيق النظر، وغوص الفكر أكثر من

---

(١) المصدرنفسه (ص٢٠٨)

(٢) انظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٤٠٢)

وقت الحفظ والعمل،والله أعلم"[١].

وبين ابن أبي الإصبع أن بسبب هدوء الليل من الأصوات والحركات ، يجتمع الفكر لذلك ، وتصقل مرآة التهذيب ، لخلو الخاطر وصفاء القريحة ، بالإضافة إلى ذلك سمات النفس في وسط الليل : حيث تأخذ حقها من الراحة ، ويخف عنها الغذاء كما يصح ذهنها ، ويصير صدرها منشرحا ، وقلبها بالتأليف منبسطا ، وذكر بعد ذلك أسباب تقديم وسط الليل على السحر في التأليف وكأنه ينشئ موازنة بينهما فبين أن السّحر فيه انتباه لأكثر الحيوان الناطق ، وارتفاع معظم الأصوات وجرس الحركات ، ودخول النور على الظلام ، وبسبب هذا ينقسم الفكر وينشغل القلب .

وكذلك النُّواجي أيد أبا تمام في اختياره وقت الدجى للتهذيب ، وقال :

وأجاد أبو تمام حين أشار إليه بقوله :

خُذْها ابنة الفِكرِ المهذَّبِ في الدُّجَى ... والليل أسود رقعَة الجِلبَابِ [٢]

وقد علل ذلك بنفس تعليل ابن أبي الإصبع الذي سبقه إليه .

كما وافق النُّواجي أبا تمام في تفضيله لوسط الليل عن السَّحر مبررا بقوله " ووسط الليل خال مما ذكرناه " كما بين أن أبا تمام خصّ تهذيب الفكر بالدجى ، "عادلا عن الطرفين ؛ لما فيهما من الشواغل المذكورة " .

وأكمل النُّواجي وصية أبي تمام ، والتي ذكر فيها أبو تمام اختياره لوقت السحر في التأليف والحفظ فقال : "واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء

---

(١) المصدرنفسه (ص٤١١).

(٢) ديوان أبي تمام(ص٢٩).

أوحفظه، أن يختار وقت السحر"[١] .

وخلاصة ما سبق أن الشاعر كما أنه بحاجة إلى تهيئة لحالته النفسية عند عمل الشعر فهو بحاجة أيضا ، إلى الوقت المناسب عند العمل ، كما أنَّ هناك من ذكر وقتا محددا كالسحر وأول الليل وصدر النهار ، ومن النقاد من لم يحدد الوقت وإنما ربطه بالحالة النفسية فمتى كان نشاط النفس وفراغ البال وخلوه من أي شغل كان الوقت مناسبا لعمل الشعر .

وبعد الاستعداد النفسي والزمني للشاعر وصلنا إلى محور وجوهر القضية وهو عمل الشعر وصنعته .

فصنعة الشعر أو عمله قضية عرفت منذ القدم ، بل عُرف الشعراء بصيت أشعارهم.

" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم ، والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، منها ما تثقفه اليد ، منها ما يثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يُعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره " [٢].

وتنبه **بِشرٌ بن المعتمر(٢١٠هـ)** إلى النظم ، وتفنن بوصيته في أصول البلاغة والتي حوت أصولا في نظم الكلام ، وغرست في نفوس النقاد من بعده أثراً عميقاً أمثال الجاحظ وابن قتيبة وغيرهم . فكان بشر أول من اهتم بصناعة الشعر فقال:

"وإياك والتوعّر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. .... إلى قوله أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما

(١) المصدر نفسه (ص: ٨٤)
(٢) العمدة، لابن رشيق (ج١، ص ١١٧).

سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت" (١) .

فحذر من التشدد في عمل الشعر؛لأنه يؤدي إلى التعقيد في الألفاظ معللا أثر ذلك التعقيد والغموض فيه من استنفاد للمعاني وتشويه للألفاظ ، ثم أبان عن صفة اللفظ والمعنى في عمل الشعر، بأن يكون اللفظ رشيقا عذبا وسهلا فخما والمعنى واضحا مكشوفا وقريبا معروفا. ولا ينسى بشر تنبيه الشاعر إلى مراعاة الحال حين قال له : أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت .. فكما نبه بشر ففي المقابل دعا الشاعر أن ينوع في أسلوبه على اختلاف مستويات من يخاطبهم. فالعامة مثلا يتباسط في أسلوبه معهم ويجعله سهلا سلسا ، وأما الخاصة فيجب على الشاعر أن يغير من أسلوبه معهم .

وقد كان لبشر فضل في إثارة قضية عمل الشعر؛ حيث تأمل طبيعة الإبداع فرأى أن الأديب قد يكون مطبوعا يمتلك زمام المعاني ، ويسيطر على الألفاظ ، ويتحكم في الأسلوب. (٢)

إذن فهو قد جعل الطبع أساسا يرجع إليه الشاعر أو الأديب ؛ لأنه به يمتلك مقود المعاني ، وتحريك الألفاظ ، والتحكم في الأسلوب .

ويوجه أبو تمام البحتري في وصيته له إلى الطريقة الصحيحة في صنعة الشعر قائلا: " وإذا شرعت في التأليف تغن بالشعر؛ فإن الغناء مضماره ، الذي يجري فيه ، واجتهد في إيضاح معانيه " (٣).

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ(١٢٩/١).

(٢) انظر: دراسات في النقدالعربي القديم، لعبد الفتاح عثمان(ص٨١).

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب، للقيرواني (١٥٣/١).

فأوصى أبوتمام الشاعر حين يبدأ بعمل الشعر أن يتغنّى ويترنم به ؛ ظنا منه أن ذلك يساعده على قول الشعر واستحضار ألفاظه ومعانيه ، بالإضافة إلى أن الشاعر حين يسمع القصيدة بصوته أكثر من مرة قد تتبين له أخطاء فيصححها ويقومها.

" وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقا، والمعنى رقيقا، وأكثر فيه من بيان الصّبابة، وتوجّع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، فإذا أخذت في مديح سيّد ذى أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه،وابن معالمه، وشرف مقامه، ونضدّ المعانى ، واحذر المجهول منها، وإيّاك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة، ولتكن كأنك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجساد. وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك، ولا تعمل شعرك إلّا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذّريعة إلى حسن نظمه؛ فإن الشهوة نعم المعين. وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده، وما تركوه فاجتنبه، ترشد إن شاء الله"(١).

وتضمنت الوصية توجيهات ذهبية ، هي في الأصل لكل شاعر، وليست للبحتري فقط ؛ لما فيها من نصائح ووصايا قيمة تتناول أمورا جوهرية للإبداع الصحيح.

ففصّل أبوتمام للبحتري عمل الشعر في عدد من فنونه، فبدأ بالتشبيب موصيا من أراد التشبيب فعليه بالألفاظ الرشيقة والمعاني الرقيقة ،لأن المقام يناسبه خفة الألفاظ ، ورقة المعاني ، والكثرة من إظهار اللوعة والشوق والفراق ، وأوصى عند مديح سيد مشهور فعليه بإبراز مناقبه وصفاته ، وشرف مقامه ، وتنضيد معانيه وتنسيقها والحذر من مجهولها.

---

(١) المصدر نفسه.

كما ينبه أبو تمام من الألفاظ الرديئة والسيئة التي قد تسئ إلى الشعر ، ولكي يقرب المعنى للبحتري شبه أبو تمام صانع الشعر بالخياط الذي يقطع الثياب على قدر الأجسام ، فالشاعريجب عليه ملاءمة الألفاظ لمعانيها ، فمثلا ألفاظ المدح لا تناسب ألفاظ الهجاء والعكس صحيح ثم يحذر من العمل وقت الضجر ، وهذا قد تعرضنا له في الوقت المناسب لعمل الشعر ، ثم يوصي بأن يجعل الشاعر رغبته في عمل الشعر هي التي تحركه فهي خير معينا له .

وختام وصيته أن يجعل الشاعر شعره بما سلف من شعر الماضين فما استحسنه العلماء خذ به وما تجنبوه اجتنبه .

وصاحب الطبع الجاحظ والذي وافق به بشرا وعوّل عليه قائلا : " وكل شئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة .... إلى آخر كلامه فتأتيه المعاني أرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا"(١) .

وواجه **الجاحظ(٢٥٥هـ)** نقدا في رأيه هذا من د.شوقي ضيف فهو يرى أن الجاحظ بالغ في وصف الموهبة العربية والطبع العربي ليرد على الشعوبية، فإذا العرب يقولون بديهة وارتجالاً على خلاف غيرهم من الشعوب فإنهم يقولون متكلفين ، ويظن أن الجاحظ لم يكن جادا حين رأى هذا الرأي ، وإنما هدفه تفضيل العرب على غيرهم ، كما زعم د.شوقي ضيف أن الجاحظ قد أورد قولا يثبت فيه صعوبة العرب في القول ، وبخاصة في صنع الشعر؛ فالجاحظ يقول:

" من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً كاملاً وزمناً

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ(٨/١) .

طويلا يردد فيها نظره ويحيل فيها عقله "[١].

وقد تختلف وجهات النظر أو تقترب ، وتعقيبا على رأي د.شوقي ضيف ؛ فالعرب في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي وعقولهم وقلوبهم قد انشغلت بالشعر ونظمه وقوله، بل واشتعلت قريحتهم به ، وكان همهم الدائم وشغلهم الشاغل، وعند بعضهم كان نظم الشعر وإنشاده مهنة يمتهنونها للتكسب منها ، وهذا لا يعني أن كل عربي بإمكانه صنعة الشعر ونظمه دون أي صعوبة ، وقد يكون كلام د.شوقي ضيف قد جانب شيئا من الصحة في مبالغة الجاحظ ، أما استدلاله على صعوبة العرب في القول بما كتبه الجاحظ في كتابه " وهناك من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً كاملاً وزمناً طويلا يردد فيها نظره " فيبدو أن الدليل الذي استدل به إنما دل على شدة حرص العرب ودقة عملهم في إخراج قصائدهم حيث كانوا لا يدعون القصيدة إلا بعد تهذيبها وتنقيحها حولا كاملا ، و لا يدل على صعوبة القول لديهم ، أو عدم تمكنهم من ذلك . والله أعلم

وذكر الجاحظ في صناعة الشعر قوله : " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ ...."[٢].

فالمعاني عند الجاحظ مبسوطة وممتدة، بل هي في متناول الجميع أيّاً كانت هويته العربي والعجمي والقروي والبدوي والمدني ، فليس الأمر عند الجاحظ في المعنى ، وإنما يرى أن الأمر محصور في الألفاظ وتخيرها ، وإقامة الوزن الصحيح فيها وسهولة مخرجها وأضاف إليها صحة الطبع وجودة السبك ، ثم أردف قائلا : الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير. ونَسَج

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ (٨/٢).

(٢) الحيوان ، للجاحظ (٦٧/٣).

الشاعرُ الشِّعْر: نَظَمَه"(١).

فوضح الجاحظ أن صناعة الشعر هي صناعة فنية متميزة ، تتصل بتأليف الكلام وصياغته صياغة جميلة مؤثرة للتعبير عن الفكرة ، كما ربطها بالصناعات الفنية الجميلة ؛ لأنها قرينة النسج والتصوير. (٢)

وللشعر أسلوبٌ خاصٌ في صياغة الأفكار أو المعاني، يقوم على إثارة الانفعال واستمالة المتلقي إلى موقف من المواقف . (٣)

أما **ابن قتيبة(٢٧٦هـ)** فاختلف عن بشر و الجاحظ في أنه لم يُبدِ رأيه في صناعة الشعروإنما أبدى حكمه على من يعمل الشعر ، فهو لا ينظر إلى المتقدّم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخّر منهم بعين الاحتقار لتأخّره. بل ينظر بعين العدل بين الفريقين، ويعطى كلا حظّه، ثم أشار إلى أن هناك من العلماء من استجاد الشعر السخيف لتقدّم قائله، ووضعه في متخيّره، وأرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلّا أنّه قيل فى زمانه، أورأى قائله.

وبيّن أن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، وجعل كلّ قديم حديثا فى عصره.

وكلّ من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخّر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه. كما أنّ الرّدىء إذا ورد علينا للمتقدّم أو

---

(١) لسان العرب، مادة (نسج)

(٢) انظر: دراسات في النقد العربي القديم، لعبد الفتاح عثمان (ص٩٢).

(٣) انظر: الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي عندالعرب (ص٢٥٧)، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٥/١/١/٣م.

الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه(١).

وابن قتيبة يرى أن الشعر عنده لغة فنية يوظفها الشاعر نفسه من خلال مشاعره وانفعالاته ؛ فالشعر لا ينبعث من فراغ عنده .

فالأصل في الحكم صلاح العمل وحسنه ، ورصانة معانيه ولفظه ، مهما يكن صاحبه ، وربما نذكر قول الجاحظ حين قال: " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ، إذن أساس الأمر كله على العمل وجودته "(٢).

ومن الأدباء من أوصى في صناعة الشعر بوصايا قد تكون أصولا تعين الشاعر المبتدئ على المعرفة بصنعة الشعر، كوصية أبي تمام للبحتري وها هو **ابن طباطبا(٣٢٢هـ)** ينصح الشاعر الذي يُقْدم على صناعة الشعر بقوله : " إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعدَّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يُشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه ، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكاً جامعاً لما تشتت منها. ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه، ونتجته فكرته فيستقصي انتقاده، ويرُمَّ ما وهى منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهةٍ لفظه سهلة نقية." (٣)

---

(١) انظر: الشعر والشعر، لابن قتيبة (ص٦٤).

(٢) الحيوان، للجاحظ (٦٧/٣).

(٣) عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٧).

فتميز ابن طباطبا بدقة وصيته في عمل الشعر، فبدأها باستحضار المعاني أولا في فكره نثرا ثم يُعدُّ الألفاظ التي تطابق تلك المعاني والقوافي التي توافقه والوزن الذي يناسبه ، ثم يأتي بالأبيات التي تعبر عن المعاني، والإبداع فيها دون ترتيب أو تنسيق وعلى أبيات متفرقة ، ثم ترتب الأبيات بما يتناسب مع بعضها منتظمة ومنسقة ، وآخر مرحلة هي مرحلة التنقيح والتثقيف والتهذيب ، فيبدل في الألفاظ والأبيات بما يراه مناسبا في نظره ووفقا لمهارته .

فوصف ابن طباطبا عمل الشاعر للشعر وصفا دقيقا منظما ، وقد ذكرنا في مبحث ثقافة الشاعر الأدوات التي ذكرها ابن طباطبا للشاعر وتهيئته عقليا وفكريا للعمل إيمانا منه بالصلة الوطيدة التي بين ثقافة الشاعر وعمله للشعر؛ فالشاعر حين يمتلك أدوات الصنعة وطريقتها استطاع الصناعة والإجادة .

" فالشعر لا يفيض كما يفيض الماء من النبع ، وإنما هو عمل عقلي وشعوري يتطلب قدرا عظيما من المعرفة المتنوعة التي تصقل موهبة الشاعر وتثري وجدانه "(١).

والشاعر عند ابن طباطبا تارة يكون كالنساج الحاذق ، وتارة كالنقاش الرقيق الذي "يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان، وتارة هو كناظم الجوهر يؤلف بين النفيس الرائق ولا يشين عقوده برص الجواهر المتفاوتة نظماً وتنسيقاً (٢) .

فشبه ابن طباطبا الشاعر بتشبيهات رائعة فتارة كالنساج الذي ينسج بدقة ومهارة ويختار أجمل الخامات وأحسنها ، والشاعر ينتقي الألفاظ ويبدع في

---

(١) دراسات في النقدالعربي القديم، لعبد الفتاح عثمان (ص١٥٢).

(٢) انظر: عيار الشعر، لابن طباطبا(ص٨)

تحويرها ويتفنن في ربطها بالمعاني المناسبة لها ، وتارة هو كالنقاش الذي يضع الألوان في أجمل وأحسن نقش ، وتارة كالناظم الذي يجمع بين الجواهر النفيسة ثم ينظمها نظما متناسقا وجميلا .وهو يجمع بين الألفاظ والمعاني المتناسقة بعضها مع بعض ثم ينظمها في نثر أو نظم جميل ينم عن إبداع وفن .

وشارك قدامة(٣٣٧هـ) في صناعة الشعر بقوله : " ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال، فقد كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان: أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة "(١).

فقدامة اشترط المهارة الحرفية التي تصل غاية الجودة ، ولا قيمة للمعنى في ذاته ؛ لأنه مادة قابلة للتشكيل ، وهذه المادة تتبدى من خلال روعة تشكيلها ومهارة الفنان في صياغتها (٢) .

وجعل المعاني بين يدي الشاعر يتصرف فيها كيف يشاء ، وبما يوافق حسه وذوقه ،فلا يحظر عليه شيئا من المعاني ، وأكد ذلك بقوله : " إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها، فيما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة" فوافق الجاحظ بذلك وخالف بشرا وابن طباطبا .

---

(١) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر(ص٣).

(٢) دراسات في النقد العربي القديم، لعبد الفتاح عثمان (ص١١٥).

وكأن أبا هلال(٣٩٥هـ) يعيد صياغة صناعة الشعر عند ابن طباطبا بطريقة أخرى فيوافقه بذلك في قوله : " وإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعانى التى تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتّى فيه إيرادها وقافية يحتملها؛ فمن المعانى ما تتمكّن من نظمه فى قافية ولا تتمكّن منه فى أخرى، أو تكون فى هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه فى تلك؛ ولأن تعلوالكلام فتأخذه من فوق فيجىء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجىء كزّا فجّا ومتجعدا جلفا " (١)

فبدأ وصيته للشاعر باستحضار المعاني التي يريد نظمها ، ثم يأتي لها بوزن وقافية تشاكلها ، وبيّن أن هناك من المعاني ما يكون نظمه ممكنا وميسرا ، وما لا يستطيع الشاعر التمكن منها .

ويبدو أن صنعة الشعر تتبلور حسب صانعها ؛ فالشاعر كالرسام الذي يبدع في لوحته فيحدث بها تأثيرا خاصاً في نفوس من حوله من خلال إبداعاته فيها ، وليس كل عمل يترك أثراً ، والشاعر يحول قلمه إلى ريشة فنان ، وحروفه وكلماته إلى ألوان تعكس جميل الصور وعظيم الأثر فيمن حوله .

وخصّ **ابن رشيق(٤٦٣هـ)** بابا في كتابه سمّاه بـ " عمل الشعر وشحذ القريحة له ، " وقد أورد في هذا الباب وصية لبشر بن المعتمر في صحيفته ، ووصية أبي تمام للبحتري ، وإيراده لذلك دليلا على فهمه للصحيفة وسعة اطلاعه ، وكذلك وصية أبي تمام فقد تضمنت على نصائح وتوجيهات خاصة بعمل الشعر فوافقهما بتأييده لهما ، ووافق الجاحظ حين عوّل على الطبع . ووافق ابن قتيبة في أن الشاعر هو من يوظف الشعر على حسب تركيبه وطبعه .

---

(١) كتاب الصناعتين،(ص١٣٩).

وابن رشيق ممن أولى قضية عمل الشعر أهمية كبيرة ، وقد ذكر في بابه عمل الشعر " أن للناس ضروبا مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشحذ القرائح ، وتنبه الخواطر، وتلين عريكة الكلام، وتسهل طريق المعنى: كل امرئ على تركيب طبعه، واطراد عادته "(١)

فأشاد بأن للشعر بواعث تشحذ به القرائن ، وتنبه بها الخواطر، وتسهل الكلام ، وتجعله لينا .

كما استشهد بقول بكر بن النطاح الحنفي الذي نقله في كتابه :

" الشعر مثل عين الماء: إن تركتها اندفنت، وإن استهتنتها هتنت، وليس مراد بكر أن تستهتن بالعمل وحده؛ لأنا نجد الشاعر تكل قريحته مع كثرة العمل مراراً، وتنزف مادته، وتنفد معانيه، فإذا أجم طبعه أياماً وربما زماناً طويلاً ، ثم صنع الشعر جاء بكل آبدة، وانهمر في كل قافية شاردة، وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه من قبل لاستغلق عليه، وأبهم دونه " (٢).

وفسر ابن رشيق قول بكر تفسير الشاعر الخبير ، حيث أشار إلى عمل الشعر، وأنه موهبة لا تكتمل إلا بالقراءة والممارسة والاطلاع الدائم .

ويمضي ابن رشيق في ذكر بواعث الشعر التي تعين الشاعر على قوله وذكر أقوال بعض الشعراء ومعاناتهم في قول الشعر فيذكر أن ذا الرمة سئل : " كيف تعمل إذا انقفل دونك الشعر؟

فقال: كيف ينقفل دوني وعندي مفتاحه؟ قيل له: وعنه سألناك، ما هو؟ قال: الخلوة

---

(١) العمدة، لابن رشيق (ص١١٦).

(٢) المصدر نفسه (ص٢٠٦).

بذكر الأحباب"(١).

ومن بواعث الشعر التي صرّح بها ذو الرمة وأعانته على قول الشعر هي:

الخلوة بذكر الأحباب ؛ لأن الخلوة تجعل الشاعر فارغا لايشغله شيئا ، يستجمع فيها أفكاره وذكرياته ومعانيه وألفاظه .

كما ذكر قول كُثيِّر في كتابه : " كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المحيلة؛ والرياض المعشبة، فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلى أحسنه"(٢)

وكذلك كُثيِّر كانت الرياض المعشبة والرباع المحيلة حافزا له على قول الشعر وصناعته.

وأضاف ابن رشيق إلى عمل الشعر تجاربه وآراءه النقدية وتناوله لتجارب غيره ممن سبقه من الشعراء ومعاناتهم في صنعة الشعر .

وأشار ابن سنان الخفاجي(٤٦٦هـ) إلى أن " كل صناعة من الصناعات كمالها بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء : الموضوع وهو الخشب في صناعة النجارة، والصانع وهو النجار، والصورة وهي كالتربيع المخصوص إن كان المصنوع كرسيا، والآلة مثل المنشار والقدُّوم وما يجري مجراهما ، والغرض وهو أن يقصد على هذا المثال الجلوس فوق ما يصنعه.

ووافق ابن سنان من سبقه من القدماء حين وصف عمل الشعر بالصناعة ، ثم بين أن كمال كل صناعة بخمسة أشياء ، الموضوع والصانع والصورة والآلة

---

(١) المصدرنفسه.

(٢) المصدرنفسه.

والغرض، ومثلها على صناعة الخشب ، وأشار إلى صانع الكلام بأنه هو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض .

فجعل الشاعر أو الكاتب من يؤلف الكلام ويضم بعضه إلى بعض .

فأما الصانع المؤلف فهو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض ، كالشاعر والكاتب وغيرهما (١).

وكما حدد ابن سنان للصناعة أشياء ، جاء ابن الأثير وحدد أشياء يحتاجها صاحب هذه الصناعة في تأليفه بثلاثة وهي :

الأول - اختيار الألفاظ المفردة وحُكْم ذلك حُكْم اللآلئ المبدَّدَة، فإنها تتخير وتنتقي قبل النظم .

الثاني - نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها؛ لئلَّا يجيء الكلام قلقًا نافرًا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها.

الثالث - الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه.

وحُكْم ذلك الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارةً يجعل إكليلًا على الرأس، وتارةً يجعل قلادة في العنق، وتارةً يجعل شنفًا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه.

وبيّن **ابن الأثير(ت٦٣٧)** أن هذه الأمور الثلاثة هي الأصل المعتَمَد عليه في

---

(١) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص٩٤).

تأليف الكلام من النظم والنثر [١].

إن تصوير ابن الأثير لصناعة الكلام وتشبيهه بنظم العقد تصويرا رائعا فبدأ باختيار الألفاظ المفردة قبل استعمالها وانتقائها انتقاء جيدا ،ثم نظم كل كلمة مع ما يوافقها من معنى وصياغتها صياغة صحيحة ، وأخيرا وضعها في المكان المناسب لها والغرض الذي تلائمه.

وجعل ابن الأثير ذلك الاختيار من الألفاظ كاللآلئ التي تختار وتنتقى ، ثم تنظم مع ما يشاكلها ؛ ليكتمل العقد ، ومن هذا يظهر مراد ابن الأثير من ذلك التشبيه حين شبه الألفاظ باللآلئ ونظم الكلمات وتنسيقها بنظم اللآلئ في العقد المنظوم ، حيث إن الصانع للشعر لا بد من أن يُصيب في اختيار الكلمات والتي تكون نصاً في المعنى المراد وتكون أشد دلالة على غرضه ومدى قدرة تلك الألفاظ على إثارة معانٍ كثيرة في النفس تحيط بها غير مدلولها اللغوي .

ويوافق ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) ما رآه بشر وابن طباطبا وأبو هلال العسكري أن من يعمل الشعر يجب عليه أن يحصل المعنى وينتقيه ويستحضره قبل الألفاظ ، ويأتي بالألفاظ قبل الأبيات .

ويقول مؤكدا ذلك : " أيها الراغب في العمل، السائرفيه على أوضح السبل، بأن تحصل المعنى ـ عند الشروع في تحبير الشعر، وتحرير النثر قبل اللفظ والقوافي قبل الأبيات" [٢].

ثم يطلب البعد عن التعقيد في المعاني، والتقعر في الألفاظ حتى يسلم الكلام من السقطات ويبتعد عن التكلف " وإياك وتعقيد المعاني ، وتقعير الألفاظ، واعمل في

---

(١) انظر : المثل السائر، لابن الأثير (١٦٣/١).
(٢) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص١٩).

أحب الأغراض إليك ، وفيما يوافق طبعك ، والنفوس تعطى على الرغبة مالا تعطى على الرهبة "[١] .

ويحذر الشاعر من المعاني المعقدة والعميقة ، ويدعوه إلى دقة اختيار المعاني والبعد عن الغموض والتكلف ، كما ينصحه بالعمل في المعاني المحببة إلى نفسه والتي توافق طبعه ؛ فالنفوس تخرج من مكنونها وهي راضية وراغبة ، مالا تخرجه وهي كارهة نافرة .

" ثم يكمل ابن أبي الإصبع نصيحته للشاعر، وكأنه يضع دستورا أمامه يسير على نهجه، في عمل شعره، ونثره، وطريقاً يسلكه في أسلوبه، حتى يكون مقبولاً "[٢] .

فيقول:"ولا تجعل كل الكلام عالياً شريفاً، ولا وضيعاً نازلاً، بل فصله تفصيل العقود، فإن العقد إذا كان كله نفيساً لا يظهر حسن فرائده ولا يبين كمال واسطته"[٣].

وله رأي في كلام الشاعر ، حيث ينبهه إلى الإبتعاد عن جعل الكلام كله عاليا شريفا ولا ضيعا نازلا بل يطلب من الشاعر أن يفصله تفصيل العقد ، مبررا ذلك بأن العقد متى كان كله نفيسا فإنه لا يظهر حسنه وندرته ولا يبين كمال واسطته . فيدعو هنا ابن أبي الإصبع إلى التوسط في اختيار الألفاظ ؛ لأنه مقوم من مقومات الأسلوب الأدبي .

وأمر الشاعر كذلك بعمل الأبيات متفرقة حسب ما تريد نفسه ثم نظمها في آخر العمل مع الحرص على ترتيبها وحسن النسق عند تهذيبها ؛ ليكون كلامه متصلا

(١) المصدرنفسه.
(٢) المصدرنفسه (ص٢٠).
(٣) المصدرنفسه(ص٢٠).

بعضه ببعض فقال : " واعمل الأبيات متفرقة بحسب ما يجود به الخاطر، ثم انظمها في الآخر، واحترس عند جمعها من عدم الترتيب، وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك آخذا بأعناق بعضه، فهو أكمل لحسنه ، وأمتن لرصفه"(١) .

وأشار إلى اختلاف مقدرة الشعراء باختلاف الأغراض الشعرية ، فمثلا قد يجيد الشاعر المدح ولا يحسن الهجاء ، وهذا ما أكده في كتابه قوله : " وقد يبرز الشاعر في معنى من معاني الشعر دون غيره "(٢).

كما يرى ابن أبي الإصبع مثل رأي أبي تمام أن الترنم بالشعر مما يعين عليه .

واستشهد بقول الشاعر : (بحر البسيط)

تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إمَّا كُنْتَ قَائِلَه إنَّ الْغِنَاءَ لِقول الشِّعْرِ مِضْمَارُ (٣)

كما اطلع ابن أبي الإصبع على وصية أبي تمام للبحتري في عمل الشعر وقال عنها : " فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها، وإيضاح ما أشكل منها، وزيادات يفتقر إليها فحررت منها ما يجب تحريره، وأضفت إليها ما تتعين إضافته"(٤) .

وبعد تحريره لها وإضافته عليها قال : " يجب على من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يعتبر أولاً نفسه، ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات، فإذا وجد لها فطرة سليمة، وجبلة موزونة، وذكاء وقاداً،

---

(١) المصدرنفسه (ص٢١).
(٢) المصدرنفسه (ص٢٢).
(٣) ديوان حميد بن ثور (ص١١٧).
(٤) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٤٠٦).

وخاطراً سمحاً، وفكراً ثاقباً، وفهماً سريعاً، وبصيرة مبصرة، وألمعية مهذبة، وقوة حافظة، وقدرة حاكية، وهمة عالية، ولهجة فصيحة، وفطنة صحيحة، وإن كانت بعض هذه الأوصاف غير لازمة لرب الإنشاء، ولا يضطر إليها أكثر الشعراء، لكنها إذا كملت في الشاعر والكاتب كان موصوفاً في هذه الصناعة بكمال الأوصاف النفسية التي إذا أضيفت إليها الصفات الدرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغات العربية، وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحو والتصريف.... "(١) .

وفيما سبق يتضح أن ابن أبي الإصبع قد أوجب صفاتٍ على الشاعر والكاتب بجانب ما سبق من التنبيهات والنصائح التي أهداها لمن يعمل الشعر و النظم .

وصرّح حازم القرطاجني(٦٨٤هـ) في وصيته للشاعر المبتدئ الذي يعمل الشعر بأن يلتزم وصية أبي تمام لتضمنها توجيهات قيمة يستعين بها الشاعر في تأليفه ، وقد أكد هذا في قوله : " يجب للشاعر إذا أراد نظم الشعر وكان الزمان له منفسحاً والحال مساعده ـ أن يأخذ نفسه بوصية أبي تمام الطائي لأبي عبادة البحتري في ذلك ويأتم بها فإنها تضمنت جملاً مفيدة مما يحتاج إلى معرفته والعمل بحسبه صاحب هذه الصناعة". (٢)

ثم يقول : " إن الناظم إذا اعتمد ما أمره به أبو تمام من اختيار الوقت المساعد وإجمام الخاطر والتعرض للبواعث على قول الشعر والميل مع الخاطر كيف مال، فحقيق عليه إذا قصد الروية أن يحضر مقصده في خياله وذهنه والمعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده ويتخيلها تتبعاً بالفكر في عبارات بدد، ثم يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرقا أو مهيئاً لأن يصير طرفاً من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة ثم يضع الوزن

---

(١) المصدر نفسه (ص٤٠٦).

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ص٢٠٤).

الروي بحسبها؛ لتكون قوافيه متمكنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها"[(١)].

و القرطاجني يبين أن من التزم بوصية أبي تمام فعليه أن يحدد مقصده في ذهنه وخياله ، ثم يستحضر معانيه في عبارات متفرقة ، ويجمعها بعد ذلك في بناء قافية واحدة فيضع الوزن لتكون قوافيه متمكنة تابعة للمعاني .

ثم يقسم المعاني والعبارات على الفصول ، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ، ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بأن ينقص منه ما لا يخل به .. "[(٢)] .

وبهذا يكون قد وافق أبا تمام وابن أبي الإصبع في صناعة الشعر .

وتناول النواجي(٨٥٩هـ) مصب الدراسة عمل الشعر في قوله : " وإياك وتعقيد المعاني واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف، فقد قيل :" الألفاظ أجساد، أرواحها معانيها ، قال الشاعر:

انظُر إلى صورِ الألفَاظِ واحدِة   وإنِّما بِالمعَاني تعشقُ الصُّور[(٣)]

ومتى عصى الشعر فاتركه ، ومتى طاوعك فعاوده، وروح الخاطر إذا كلَّ، واعمل في أحب المعاني إليك، وفي كل ما يوافق طبعك ؛ فالنفوس تعطي على الرغبة ، ولا تعطي على الإكراه، واعمل الأبيات متفرقة على ما يجود به

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني (ص٢٠٤).

(٢) المصدرنفسه (ص٢٠٤).

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٥٥).

الخاطر، ثم انظمها في الآخر"[١].

فحذَّر النواجي من تعقيد المعاني وغموضها وتداخلها فيما بينها حتى لا تبعد عن الوضوح وتدخل في المعاني الغامضة .

ثم يوصي بتلاؤم المعاني مع الألفاظ في قوله : واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف .

واستشهد النواجي بقول الشاعر الذي شبَّه اللفظ بالجسد وروحه المعنى ، والذي سبق ذكره ، فاتفق مع من قبله من النقاد كأبي تمام في قوله :

" واجتهد في معانيه ، فإن أردت التشبيب ، اجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا "

وابن رشيق في قوله :

" اللفظ جسم روحه المعنى ... يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ".

كما يشير إلى أن المعاني قد تُمَكِّن الشاعر منها مرة وقد لا تُمَكِّنه ، وينصحه بأن يعمل في المعاني المحببة إليه ، وفيما يوافق طبعه ؛ لأن النفوس متى رضيت أقبلت على المعاني وأعطت ، ومتى كرهت ابتعدت ونفرت ، ثم يكمل النواجي وصيته للشاعر بأن يعمل الأبيات متفرقة بما يجود به الخاطر، ثم ينظمها آخرا .

كما اتفق النواجي مع السابقين أمثال ابن الأثيرفي قوله : " وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام وكن كأنك خياط يقدر الثياب على مقادير الأجسام " .

فيشير إلى أن كل معنى يناسبه لفظا معينا بعينه ، فألفاظ المدح مثلا لا تناسبها ألفاظ الهجاء والعكس صحيح .

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر ، للنُّواجي (ص٢٩).

ويفيد نص النواجي بأنَّ المناسبة عنده قد تعني شيئين آخرين : أولهما ـ دقة الكلمة في أداء معناها وحسن مقدرتها على نقل الفكرة للمتلقي .

وثانيهما ـ أن قوة اللفظ تدل على قوة المعنى .

فاتفق بهذا مع ابن الأثير (١).

وفيما سبق ذكر النواجي ما ذكر من وصايا للشاعر، والتي قد سبقه إليها ابن أبي الإصبع وتم الحديث عنها عنده ، كما استشهد بوصية ابن أبي الإصبع التي أوردها في كتابه تحرير التحبيروقد سبق عرضها وشرحها عند تناول ابن أبي الإصبع للقضية ، فأورد النواجي وصية ابن أبي الإصبع لنفسه إيضاحا على نوع التهذيب والتأديب ، واختار منها النواجي ما هو أليق بالحال كذلك استشهد بوصية أبي تمام والتي تكلم فيها أبوتمام في عمل الشعر. وقد سبق الاستدلال بها وشرحها. ويعني هذا اتفاق النواجي معهم وذلك لتبنيه رأيهم.

وخلاصة الدراسة السابقة أن أغلب النقاد اتفقوا على ضرورة مناسبة الألفاظ للمعاني عند صناعة الشعر ، وتجنب التعقيد والتوعر ، والميل إلى السهولة واللطافة في اللفظ والمعنى . كما أن صناعة الشعر تتبلور حسب صانعها .

ثانياً ـ تهذيب الشعر وتنقيحه :

تهذيب الشعر يعدُّ ركنا جوهريا من أركان الإبداع الشعري ، وهومن أهم المراحل التي تمر بها عملية تأليف الشعر؛ لما فيها من المراجعة والتصحيح، والتقويم ؛ حتى تخرج القصيدة بالصورة الأخيرة ، فما كان يموج في نفس الشاعريصوغه صياغة فنية مجسدة ، وينظمها أبياتا بقواف موزونة منقحة .

و هذَّب يهذب تهذيباً ،هذَّب الشئ بمعنى :نقاه وأخلصه ، وقيل : أصلحه .

---

(١) انظر: نظرية الابداع الشعري عند النواجي،للبنداري (ص١٠٥).

والمهذب من الرجال المخلص النَّقي من العيوب .

أنقح شعره إذا نقحه وحككه .

ونقح الكلام: فتشه وأحسن النظر فيه(١) .

يقول الجاحظ(٢٥٥هـ) في كتابه : " من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا "كاملًا" وزمنًا طويلًا يردِّد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهامًا لعقله وتتبعًا على نفسه؛ فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره، إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوله الله من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات والمقلدات والمنقَّحات والمحكمات؛ ليصير قائلها فحلًا خِنذيذا وشاعرًا مفلقًا" (٢).

وعند الوقوف على كلام الجاحظ ، يتضح اهتمام الشعراء القدماء بتهذيب القصيدة وتنقيحها ؛ فالشاعر منهم تمكث القصيدة في حوزته حولاً كاملاً ؛ ليهذبها ويقومها ويعيد النظر فيها مرات ومرات ؛ ليراجع نفسه فيما كتب وليخرج شعرا قد صبغ بوحدة فنية متكاملة.

وخصَّ ابن قتيبة(٢٧٦هـ) تثقيف الشعر وتهذيبه بالمتكلف فخالف الجاحظ بذلك لأن الجاحظ لم يحدد أحدا ، بل أشارإلى من يثقف شعره وينقحه بالاهتمام .

وسمّى ابن قتيبة من قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش سماه بالمتكلف من الشعراء ، وأكد ذلك بقوله في كتابه : " ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ؛ فالمتكلّف هو الذى قوّم شعره بالثّقاف، ونقّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة. وكان الأصمعيّ يقول: زهير والحطيئة وأمثالهما (من الشعراء) عبيد الشعر؛ لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين "(٣)

---

(١) لسان العرب، مادة [هذّب].

(٢) البيان والتبيان، للجاحظ (٨/٢)

(٣) الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص١٤).

وقال سويد بن كراع، (يذكر تنقيحه شعره) : (بحرالطويل)

أَبِيتُ بِأَبْوابِ القَوَافي كَأَنَّمَا ... أُصَادي بها سِرْباً مِنَ الوَحْش نُزَّعَا

أُكَالِئُهَا حَتَّى أعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يكُونُ سُحَيْراً أَوْ بُعْيَدُ فأَهْجَعا

إِذَا خفْتُ أَنْ تُرْوَى علَّى رَدَتْتُهَا...وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا

وَجَشَّمَني خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيداً ومَرْبَعا

وقَدْ كان في نَفْسِي عليْها زِيَادَةٌ ... فَلَمْ أَرَ إلاَّ أَنْ أُطِيعَ وأَسْمَعا (١)

وقال عدىّ بن الرّقاع : (بحرالكامل)

وقصيدةٌ قد بِتُ أجمعُ بينها ... حتّى أقوّم مَيلها وسنادها

نظر المثقّف في كعوب قناته ... حتّى يقيم ثقافه منادها(٢)

وتعليقا على ما سبق فإن عبيد الشعر أمثال زهير وابنه كعب والحطيئة قد كدَّوا في مراجعة قصائدهم وتثقيفها فجودوا فيها ، ووقفوا عند كل بيت منها حتى خرجت قصائدهم ، وقد تمخضت عن جهد وعمل دؤوب أسفر عنهما قصائد وصفت بالجودة المطلوبة ، فكانت منهجا قويا لمن جاء بعدهم ووافق ابن طباطبا الجاحظ في التهذيب وجعله لكل شاعر قام ببناء قصيدته وأعمل فكره فيها فيقول : " ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه و نتجته فكرته ، فيستقصي انتقاده ويرم ما وهى منه ، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية ، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول نقلها إلى المختار الذي هو أحسن وأبطل ذلك أو نقص بعضه ، وطلب لمعناه ما فيه تشاكله ، ويكون كالنساج الحاذق

(١)الأغاني (١٢/ ٣٩٩)
(٢) الشعر والشعراء (ص: ٥)

... وكالنقاش الرقيق .. وكناظم الجوهر ..وكذلك الشاعر " [١].

وجعل ابن طباطبا(٣٢٢هـ) آخر مرحلة في بناء القصيدة هي مرحلة التثقيف والتهذيب والتنقيح .وهي أصعب مرحلة بالنسبة لكل شاعر.

واتفق أبوهلال العسكري(٣٩٥هـ) مع الجاحظ وابن طباطبا بقوله : " فإذا عملت القصيدة فهذّبها ونقّحها؛ بإلقاء ماغثّ من أبياتها، ورثّ ورذل، والاقتصار على ما حسن وفخم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه، حتى تستوي أجزاؤها و تتضارع هواديها وأعجازها"[٢] .

فيوصي أبوهلال بتهذيب القصيدة وتنقيحها وطرح ما فسد من أبياتها وساء من معانيها ، ويقصر الشاعر ألفاظه على الحسن والفخم منها ؛ لتستوي أجزاؤها وأعجازها .

كما أشاد أبوهلال بأن هذا دأب جماعة من حذّاق الشعراء من المحدثين والقدماء، وذكر منهم زهير الذي كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذّبها فى ستة أشهر، ثم يظهرها، فتسمّى قصائده الحوليات لذلك.

وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها. وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة، ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها؛ فلهذا قصر أكثر قصائده.

وكان البحترى يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا.

وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأوّل خاطر فنعى عليه عيب كثير، وقال بعضهم: " خير الشعر الحولي المنقّح"[٣] .

---

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا(ص٨).

(٢) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص١٤١).

(٣) المصدرنفسه (ص١٤١).

كما ذكر ابن رشيق(٤٦٣هـ) واتفق مع من سبقه بقوله : " ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفوا أثبته ، ثم رجع إليه فنقحه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرخى لباله .وآخر لا يثبت إلا بعد إحكامه في نفسه، وتثقيفه من جميع جهاته، وذلك أشرف للهمة، وأدل للقدرة، وأظهر للكلفة، أبعد للسرقة "[١].

وحدد ابن رشيق صنفين من الشعراء في التهذيب ؛ فالأول من إذا حضره البيت عفوا أثبته ، ثم رجع إليه مباشرة ونقحه ، فكان أسرع إليه وأخف، والثاني لا يثبته إلا بعد إحكامه في نفسه وتثقيفه من جميع جهاته ، ووصف ابن رشيق عمله بأنه أشرف للهمة ، وأدل للقدرة ، وأظهر للكلفة ، وأبعد للسرقة .

ولعل الصنف الثاني الذي أشار إليه ابن رشيق أفضل في العمل وأجود ؛ لأن فيه شيئا من الروية والتمهل ، ومن قول الناشئ في معنى شعره الأول: (بحرالكامل)

الشعر ما قوَّمت زيغَ صدوره   وشدَدْت بالتهذيب أَسْرَ متونِه
ورأبتَ بالإطناب شَعْبَ صُدوعه   وفتحتَ بالإيجاز عُوْرَ عيونِه
وجمعتَ بين قريبه وبعيده   ووصلتَ بين مَجَمِّه ومَعينه [٢]

وجعل ابن رشيق من زهير بن أبي سلمى مثلاً يحتذى بالتثقيف والتنقيح ، فيقول :

" ... حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح و التثقيف يصنع القصيدة ، ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ... والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام

---

(١) العمدة ، لابن رشيق(٢١١/١)
(٢)المصدر نفسه (١١٥/٢) .

وجزالته وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقدة القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض " (١)

ومن قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان يقدمه على سائر الفحول من طبقته؛ قال ليلة لعبد الله بن العباس وهم سائرون إلى الشام: أنشدني شعر أشعر القوم ، فقال: ومن ذاك؟ قال: زهير، قال: وبم استحق عندك ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيته لا يعاضل بين الكلام، ولا يتبع حوشي الألفاظ، ولا يمدح الرجال إلا بما يكون للرجال، وما ذاك إلا لتنقيحه شعره، وترداد نظره في كلامه (٢).

وفصّل ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) التهذيب ،وعرَّفه بقوله : " التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح، ويتنبه منه لما مر على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل، فيغير منه ما يجب تغييره، ويحذف ما ينبغي حذفه، ويصلح ما يتعين إصلاحه، ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه، ويحرر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه، حتى تتكامل صحته، وتروق بهجته ."(٣)

فابن أبي الإصبع يُعرِّف التهذيب على أنه تكرار النظر في الكلام الذي عمل نظما أونثرا وتنقيحه وتصحيحه وتغيير ما يجب تغييره ، وكذلك حذف ما ينبغي عليه حذفه وكشف ما أشكل عليه من غريبه وإعرابه ، وكتابة مالم يكتب من معانيه وألفاظه .

كما استشهد ابن أبي الإصبع بوصية أبي تمام للبحتري والتي سبق ذكرها في استشهاده بها في عمل الشعر ووقته ، فيقول أبوتمام : (بحرالكامل)

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى ... والليل أسود رقعة الجلباب

---

(١) المصدر نفسه (١٢٩/١).

(٢) انظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (٤٠٢)

(٣) المصدرنفسه.

فإنه إنما خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات، وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعاً، والخاطر خالياً، ولاسيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة، وتنال قسطها من النوم، ويخف عليها ثقل الغذاء، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً، والصدر منشرحاً، والقلب منبسطاً، واختياره وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء، وخفة الغذاء، وأخذ النفس سهمها من الراحة "(١) .

" وميز في فكرك محط الرسالة، ومصب القصيدة قبل العمل، فإن ذلك أسهل عليك، وأشعرها أولاً، ونقحها ثانياً، وكرر التنقيح، وعاود التهذيب، ولا تخرجها عنك إلا بعد تدقيق النقد وإمعان النظر، وقد كان الحطيئة يعمل القصيدة في شهرين، وينقحها في شهرين اقتداء بزهير، فإنه كان راويته، وقد كان زهير يعمل القصيدة في شهر واحد وينقحها في حول كامل، حتى قيل لشعره: المنقح الحولي، والحولي المحكك. "

ويوصي ابن أبي الإصبع الشاعر بعمل القصيدة أولا ثم تنقيحها ثانيا وكرر التنقيح ثالثا ثم طلب بمعاودة التهذيب ، كما نصح بألّا يخرج الشاعر القصيدة إلا بعد تدقيق النظر فيها . (٢)

وقد كان التهذيب والتنقيح ديدن الأدباء القدامى وطريقتهم في إخراج قصائدهم ؛ لشدة عنايتهم بقصائدهم ، ولتخرج في صورة فنية متكاملة ، من براعة في النسج ، وتلاحم بين الألفاظ والمعاني، ورقة في الأسلوب ، ودفء في العاطفة ، ورصانة في الرصف .

---

(١) المصدر نفسه (ص٥٠٢).

(٢) المصدر نفسه .

وكذا تعريف النواجي(٨٥٩هـ) للتهذيب فلم يتجاوز ابن أبي الإصبع ولم يزد عليه. فقال : " والتهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله نظماً ونثراً ؛ وتنقيحه ، وتغيير منه ما يجب تغييره ، وحذف ما ينبغي حذفه، وإصلاح ما يتعين إصلاحه، وكشف ما يشكل عليه من غريبه وإعرابه، وتحرير ما يدق من معانيه ،واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة، من غليظ ألفاظه؛ لتشرق شموسه في سماء بلاغته، وترشف الأسماع-على الطرب- رقيق سلافته ؛فإن الكلام إذا كان موصوفاً ب"المهذب"، منعوتاً ب"المنقح"،علت رتبته؛ وإن كانت غير مبتكرة. وكل كلام قيل فيه " لوكان موضع هذه الكلمة غيرها، أولو تقدم هذا المتأخر، وتأخر هذا المتقدم، أولو تمم هذا النقص بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة ، أولو اتضح هذا المقصد، وتسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن، والمعنى أبين"[(١)] . كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك نوع التهذيب والتأديب.

ويظهر من النص أن النواجي قد أوصى الشاعر بتهذيب قصيدته ،وترديد نظره فيها ، وتغيير ما يجب تغييره ، وحذف ما يتعين حذفه ، وهذا ما سبقه إليه النقاد من قبل .

فإن الكلام إذا كان موصوفاً "بالمهذب"، منعوتاً "بالمنقح"، علت رتبته؛ وإن كانت غير مبتكرة.

وأكد النواجي اهتمامه بذلك بتكراره قول ابن أبي الإصبع : " وكل كلام قيل فيه " لوكان موضع هذه الكلمة غيرها ... " وقد سبق ذكره، ثم ذكر النواجي مثالا آخر من التهذيب وهو التهذيب الحولي ، والذي يمكث فترة من الزمن تقارب العام فتكون القصيدة تحت التعديل والتنقيح والتهذيب والتغيير فيقول : " و كان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب، وله قصائد تعرف بالحوليات، فروي عنه أنه كان يعمل القصيدة في شهرين، ويهذبها في حول. وقيل: كان ينظمها في شهر

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (٤٠٤).

وينقحها ويهذبها في أحد عشر شهراً وقيل : كان ينظمها في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على علماء قبيلته في أربعة أشهر؛ لا جرم أنه أقل ما يسقط منه شيئاً"(١) .

ويبدوأن النواجي قدأوصى الشاعر بوصايا عند التهذيب نقلها عن ابن أبي الإصبع ، وهي أن يتوخى الشاعر حسن النسق عند التهذيب ، ويجعل كلامه مرتبطًا بعضه ببعض مع تكرار التنقيح والتهذيب .

واستشهد بقول الشاعر:(بحرالكامل)

لا تَعْرِضَنَّ علَى الرُّواةِ قصيدةً   ما لَمْ تُبالِغْ قَبْلُ في تَهْذِيبِهَا

فمَتَى عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ   عَدُّوهُ مِنكَ وَساوِسًا تَهْذِي بِهَا (٢).

وعلق كابن أبي الإصبع في أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كان يقدم زهيرا على سائر الفحول من طبقاته (٣).

كذلك استشهد النواجي بوصية أبي تمام وأشار إلى أنه قد أجاد حين أشار إلى وقت التهذيب، فقال النواجي :خصّ أبوتمام التهذيب بالدجى ، وسبقه إلى هذا أيضا، ابن أبي الإصبع ، وقد سبق الكلام عنه .

وخلاصة الدراسة من آراء من سبق من النقاد أنه يجب على الشاعر النظر في شعره لتقويمه وتهذيبه ، فيصلح ما يتعين إصلاحه ، ويحذف ما يجب حذفه بها وموافقته عليها.

كما يظهر مما سبق أن النواجي قد استشهد واستدل من نقاد قبله كابن أبي

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٣٢)

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٢٩٥)، أحمد بن عبدالوهاب شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.والبيت في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٣٢٦).

(٣) انظرمقدمة في صناعة النظم والنثر ، للنُّواجي (ص٣٣).

الإصبع وأبي تمام وغيرهم دون إضافات منه ، وكأنه يقف موقفا حياديا ، وبغض النظر عن ذلك فعالم كالنواجي بلغ ما بلغ من علمه فمن المؤكد أنه لم يرددها ويستدل بها إلا لإيمانه بها وموافقته عليها .

المبحث السادس- أولاً- قضية المبادئ وبراعة الاستهلال

إن قضية المبادئ وبراعة الاستهلال هي سادس قضايا الشعرالتي تناولها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

إن (حسن المطالع – حسن الابتداء – براعة الاستهلال) مسميات مرادفة لبعضها تتجه إلى بداية القصائد في الشعر، وتتصل بمطالع القصائد وبداية الكلام ، وقد تناولها العلماء غالبا على اتفاق منهم ، وسوف يتناول البحث هذه المصطلحات البلاغية ، ومدى تطورها لدى البلاغيين ، وبحسب تناول النقاد لها.

إن حسن المطلع أو حسن الابتداء أو براعة الاستهلال ، من القضايا البارزة التي تناولها البلاغيون بعناية واهتمام إدراكا منهم للأثر الذي تسببه في النفس ، وهي من الأساسيات التي يقوم عليها جمال الأسلوب ، وترابط النص ، وحسن التأنق في الكلام .

ويُعدُّ استخدام الشاعر لتلك الأساليب ووجودها في شعره أو نثره ، دليلا على براعته ومهارته ؛ لأنها أول ما يقع في السمع من الكلام ، كما وأنها تهيىء نفس المتلقي لما سيلقى بعد ذلك. و تعدُّ أيضا ، من مظاهر الوحدة البنائية في القصيدة العربية القديمة.

وجاء في لسان العرب طلع يطلع طلوعا ومطلعا .

والمَطْلَع : أَقوى في قياس العربية ؛ لأَن المطلَع، بالفتح، هو الطلوع (١).

كما جاء في لسان العرب وبدأت الشيء : فعلته ابتداءً ، وبادئ الرأي: أوله

---

(١) لسان العرب ، مادة [طلع].

وابتداؤه[١]

وكذلك، برع يبرع بروعا وبراعة وبَرُع، فهو بارع: تم في كل فضيلة وجمال.

وفاق أصحابه في العلم وغيره، والبارع : الذي فاق أصحابه في السؤدد[٢].

وحسن المطلع سماه بعض العلماء بحسن الإبتداء، والبعض ببراعة الاستهلال، ووضع البلاغيون لذلك قيدا، " فإذا جاء مطلع القصيدة أو بداية الكلام حسنا بديعا ومليحا رشيقا، صار داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده، ووُصف بـ (بحسن الابتداء) ، وإذا كان مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه، مشعرًا بغرض الناثر أوالناظم من غير تصريح ، بل بإشارة لطيفة ، تعذب حلاوتها في الذوق السليم ، ويستدل المستمع من ذلك على ما يتصل به الكلام أو القصيدة من مدح أو تهنئة أو عتاب ، أو رثاء أو هجاء، وصف بـ (براعة الاستهلال) ".[٣]

وبداية يُستهل برأي الجاحظ الفذ، والذي يظهر في تفسيره لكلام **ابن المقفع(ت١٤٥هـ)** [٤] في البلاغة قائلا : " وليكن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[٥].

(١) لسان العرب ، مادة [بدأ].

(٢) المصدرنفسه ، مادة [برع]

(٣) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،لأبي هلال العسكري (ص: ٤٣٧).

(٤) عبد الله بن المقفع، كاتب، شاعر، أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، فارسي الاصل، نشأ بالبصرة، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له بعض الكتب، واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي، من آثاره: الأدب الكبير والأدب الصغير، والدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة في طاعة السلطان. انظر: الأعلام (٤/ ١٤٠).

(٥) البيان والتبيين، للجاحظ (١/ ١١٤).

والصدر هنا بداية الشيء وواجهته، وصدر الكلام أوله ، وهنا وصية للشاعر بأن يكون أول كلامه مبينا لحاجته دالا على قافيته ، بمعنى : من شروط المطلع الجيد، التصريع.

كما روى الجاحظ (٢٥٥هـ) قوله : "حدثني صالح بن خاقان، قال: قال شبيب بن شيبة[١]: " الناس موكّلون بتفضيل جودة الابتداء"[٢].

ويبين شبيب أن الناس أولت الابتداء عناية واهتماما، وقد اختصوا بتفضيل الابتداء وجودته. فالجاحظ جعل الصدر في الكلام كأنه مطلعه أو ابتداؤه ، ويبدو ذلك عند استشهاده بقول شبيب .

" وسمى **ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)**[٣] براعة الاستهلال حسن الابتداء، وذكر أحسن الابتداءات قول النابغة[٤] :" (بحر الطويل)

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِب ... ولَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ [٥].

وربما جعلوا هذا البيت من أحسن الابتداءات؛ لأنه بيَّن حال الشاعر عندما غضب النعمان عليه فتوعده ، فأصابه الهم والأرق وذهب عنه النوم والراحة

---

(١) شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهتمي، أبو معمر: أديب الملوك، وجليس الفقراء، وأخو المساكين، من أهل البصرة، كان يقال له (الخطيب) لفصاحته، وكان شريفا، من الدهاة، ينادم خلفاء بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . تاريخ بغداد (٩/ ٢٧٤).

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ (١١١/١).

(٣)هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. انظر ترجمة ابن المعتز في تاريخ بغداد(٩٥/١٠).

(٤)انظر: البديع في البديع لابن المعتز (ص١٧٦)

(٥)انظر: ديوان النابغة الذبياني (ص ١)

فظهرهذا الأمر في شعره بأسلوب واضح مترابط الأجزاء .

وسماها **ابن طباطبا(٣٢٢هـ)** بالمباديء وذكرها في وصيته للشاعر المبتدئ قائلا : " وللشِّعر أدواتٌ يجبُ إعدادُهَا قَبْلَ مَرَامِهِ وتكَلُّف نَظْمِه، فَمَنْ نَقَصَتْ عَلَيْهِ أداةٌ من أدواتهِ لم يَكْمُلْ لَهُ مَا يَتَكَلُّفهُ مِنْهُ، وبَانَ الخَلَلُ فِيمَا يَنْظمهُ، ولحِقَتْهُ العُيوبُ من كلِّ جِهَةٍ. فَمِنْهَا: التَّوَسُّعُ فِي عِلْم اللُّغة ..... والتَّصَرُّفُ فِي مَعَانِيه فِي كلِّ فَنِّ قالَتْه العَرَبُ فِيهِ وسلوكُ مناهجها فِي صِفَاتِهَا ومُخَاطَبَاتِهَا وحِكَايَاتِهَا وأمْثَالِهَا، والسَّنَنِ المستعملة مِنْهَا...... وحُسْن مَبَاديها، وحَلاوةِ مَقَاطِعها، وإيفَاءُ كل مَعْنىً حَظَّهُ من العبَارة، وإلبَاسُهُ مَا يُشَاكِلُهُ من الأَلْفاظ حَتَّى يَبْرُزَ فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وأَبْهَى صُورَة "[١].

وبيّن ابن طباطبا أهمية تلك الأدوات التي أوصى بها وبإعدادها قبل النظم أو النثر وأن نقص أداة من أدواتها يلحق الخلل في نظم الشاعر، بل العيب من كل جهة ، وكان من تلك الأدوات حسن المبادئ؛ لكونها أول ماتقع على أسماع الحضور .

وسمّاها أبوهلال العسكري(٣٩٥هـ) بالمبادئ، ونقل فيها قول بعض الكُتَّاب فقال : " قال بعض الكتّاب: أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان ، وقالوا: ينبغى للشاعر أن يحترز فى أشعاره، ومفتتح أقواله؛ مما يتطيّر منه، ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعى الشباب وذمّ الزمان "[٢]

---

(١)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٦-٧).
(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٤٣١).

ولأهمية الابتداء نجد الكُتَّاب قد أوصوا بها؛ لما لها من قوة الأثر في النفس فهي تجعل السامع ينتبه ويصغي إليها إن كانت حسنة وجيدة ، وأما إن كانت غير ذلك فتنصرف النفس عنها ولا يُلْتَفتُ إليها .

وقالوا: ينبغى للشاعر أن يحترز فى أشعاره، ومفتتح أقواله؛ مما يتطيّر منه، ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعي الشباب وذمّ الزمان لاسيّما فى القصائد التى تتضمن المدائح والتهانى. ويستعمل ذلك فى المراثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإن الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطيّر منه سامعه " (١) ونبه الكتاب الشعراء بالاحتراز من افتتاح أشعارهم بما يُتطير منه ولاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني ويستعمل ذلك في المراثي .

و مما نبه منه الكتاب، كابتداء ذي الرّمة ؛ حيث دخل على عبد الملك فأنشده:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنَ كُلىً مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ (٢)

وكانت عين عبدالملك تدمع دائما ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به فقال : وما سؤالك عن هذا، ومقته ؟!.

أيضا مما عاب الكتاب على الشعراء في شعرهم افتتاحهم بالطيرة ؛ حيث أنكر الفضل بن يحيى البرمكى على أبى نواس ابتداءه عند إنشاده لقصيدة أراد أن يهنئ بها بني برمك على دارهم فقال :

---

(١) المصدر نفسه (ص٤٣١)

(٢) ديوان ذي الرمة (ص١).

أربَعْ البِلى إنَ الخُشوعَ لبَادي ... عَلَيكَ وإنِّي لم أجنُك ودِادي [(١)]

قال فلما انتهى إلى قوله:

سلامٌ على الدُّنْيَا إذا ما فُقِدْتم ... بني بَرْمَكٍ من رائحين وَغَادِي

وسمعه استحكم تطيّره، وقيل: إنه لم يمض أسبوع حتى نكبوا." [(٢)]

وذكر أبوهلال في كتابه الابتداء الحسن، وقال فيه : " وإذا كان الابتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء من الكلام "[(٣)].

وكأنه يضع صفات للابتداء الحسن وهو : حسنٌ بديعٌ ومليحٌ رشيقٌ.

كماعرَّف أبو هلال العسكري المبادئ والمقاطع في قوله : " والابتداء أول ما يقع فى السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى فى النفس من قولك، فينبغى أن يكونا جميعا مونقين " [(٤)].

وعلَّق على بيت النابغة (كليني لهمٍّ يا أميمة ....) ، وقال عنه : " وقد جعلوا هذا البيت من المطالع الجيدة ، وقيل إنه أحسن ابتداءات الجاهلية"[(٥)].

وقد عُلّق عليه فيما سبق عند ابن المعتز حين استشهد به .

(١) لم أجده في ديوانه، ووجدته في كتاب الصناعتين (ص١٣٠).
(٢) المصدرنفسه (ص ٤٣١).
(٣) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٤٣٧).
(٤) المصدرنفسه (ص٤٣٥).
(٥)انظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٤٣٣).

ووافق ابن رشيق القيرواني (٤٣٦هـ) ابن المعتز وأبا هلال العسكري في ذلك.

كما أفرد ابن رشيق المبدأ والخروج والنهاية بباب ، وبدأه بقوله : " فإن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"[١] .

كما يبرز الابتداء في الشعر بقوله: الشعر قفل ومفتاحه الابتداء،وهذا التشبيه وصف فيه الابتداء ومكانته ، وكيف أنه فاتحة الشعر وصدره وبدايته،لذا وجب على الشاعر تجويده وتحسينه فإنه أول ما يقرع به الأسماع .

ونهى ابن رشيق الشاعر الاستكثار من"ألا" و"خليلي"و"قد" في ابتدائه؛ لأنها من علامات الضعف والتكلان،إلَّا للقدماء الذين جروا على عرف ، وعملوا على شاكله[٢].

وابن رشيق من الأدباء الذين اهتموا بالمبادئ وأوصوا بها مبررا ذلك الاهتمام ـ كغيره من الأدباء ـ أن المبادئ أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده ، وقارن بين ابتداء القدماء و ابتداء المحدثين فوجده يختلف من بعض الوجوه الفنية ، حيث تعوَّد القدماء على استعمال بعض اللوازم اللغوية مثل : ألا وخليلي وقد، ويكثر استعمالهم لهذه اللوازم في بكاء الأطلال والنسيب ، أما المحدثون فقد يفتتحون القصيدة بتصوير أحوالهم النفسية ، أو الحديث عن ذكرياتهم ، أو يدخلون في الموضوع الرئيسي مباشرة "[٣].

---

(١)العمدة،لابن رشيق (ص٢١٨).

(٢)المصدرنفسه.

(٣)انظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم(ص٢٣٣) ، د. عثمان موافي ،ط٤، =

وذكر ابن رشيق أن جريرًا دخل على عبدالملك بن مروان فابتدأ ينشده:

أتصحو أم فؤادك غير صاح، فقال له عبدالملك: بل فؤادك يا ابن الفاعلة،

وكأنه استثقل هذه المواجهة، وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه.

كما استشهد بقول ذي الرمة لعبدالملك بن مروان ، والذي سبق ذكره عند اسشهاد أبي هلال العسكري به.

وأضاف ابن رشيق استشهاده بفعل أبي النجم عندما أنشد هشام بن عبد الملك قائلًا له:

صفراء قَد كادَت وَلَمّا تَفعَلِ كأنها في الأُفقِ عَينُ الأَحوَلِ . (١)

وكان هشام أحول فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته.

وعلَّق ابن رشيق بقوله: والفطن الحاذق يختارللأوقات مايشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره(٢).

ووافق ابن سنان من نبه من الأدباء إلى التحرز في الابتداء مما يتطيرمنه ، فذكر هذا قائلا : " والابتداء في القصائد فإنه يحتاج إلى تحرز فيه حتى لا يستفتح بلفظ محتمل أوكلام يتطير منه "(٣).

= ٢٠١١م، دار المعرفة الجامعية مصر.

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموي (٢١/١).

(٢)انظر: العمدة،لابن رشيق(ج١، ص٢٢٣).

(٣)سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص١٨٣).

واستشهد ابن سنان بقول ذي الرمة وأبي نواس ، وقد تناولها البحث بالعرض والشرح عند أبي هلال العسكري فيما سبق .

وخص ابن منقذ المبادئ والمطالع بباب بدأه بكلام أبي هلال العسكري " أحسنوا الابتداءات ..." ، وعقبه بكلام ابن سنان الخفاجي ، " ينبغي للشاعر أن يتحرز في ابتداءاته مما يتطير منه " ، بعد ذلك بين ما أنكروا على أبي نواس من قوله في أول قصيدة مدح بها البرامكة (١).

واستنادًا على ما مضى من تطير وتوهم الممدوحين ، وجب على الشاعر أن يختار ما يناسب من الكلام في المقام والزمان ، والشخص كذلك ، فما يناسب فلان من الناس قد لا يناسب غيره.

وجعل **ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)** أركانا خمسة للكتابة ، ويرى أنه لابد من إيداعها في كل كتاب بلاغة ذي شأن ، وخامس هذه الأركان المبادئ والافتتاحات (٢).
فيرى ابن الاثير أن المبادئ والافتتاحات من الأركان الخمسة التي وضعها أساسا من أساسيات كل كتاب بلاغي ذي شأن ، ولا يكون الشيء ركنا إلا لأهميته وقوته والمبادي تعد أساسا في وجودها في القصيدة .

كما بيَّن ابن الأثير حقيقة هذا النوع ، في أنه يجعل مطلع الكلام من الشعر أوالرسائل دالا على المعنى المقصود من هذا الكلام ، إن كان فتحا ففتحا وإن كان هناء فهناءً ، أوكان عزاءً فعزاءً . (٣)

ويتضح حال المبادئ في القصيدة فهي تتقلب حسب أغراض الشعر المقصودة إن عزاءً فعزاءً وإن فتحا ففتحا وغير ذلك .

---

(١)البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ (ص٢٨٥).

(٢)انظر: المثل السائر، لابن الأثير (٣/ ٩٦).

(٣) المصدرنفسه (٩٦/٣).

وعلى هذا الأساس وضع ابن الأثير قاعدة أساسية عند نظم الشاعر للقصيدة ، وهي أن ينظر الشاعر فإن كان مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل، بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها . (١)

ثم استشهد ابن الأثير بقول القائل : (بحرالكامل)

إنْ حَارَتِ الأَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ ... في ذَا المَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَادِحِيكَ فَمَا لَهُمْ ... أَبَداً إِلى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إنْ كَانَ لاَ يُرْضِيكَ إلاَّ مُحْسِنٌ ... فَالْمُحْسِنُونَ إذاً لَدَيْكَ قَلِيلُ(٢)

فالشاعر ارتجل المديح من أول القصيدة وأتى به حسنا لائقا . (٣)

وقد أكد الأدباء فيما سبق على الاحتراز من افتتاح القصيدة بما يتطير به ، كذلك ابن الأثير أكد هذا الأمر ، بل ووصف ذلك الاحتراز بأنه يرجع إلى أدب النفس لا أدب الدرس ، لذا ينبغي على الشاعر عند ابن الأثير أن يحترز منه في مواضعه ، كوصف الديار بالدثور ، والمنازل بالعفاء لاسيما إذا كان في التهاني، فإنه يكون أشد قبحا . (٤)

وذكر **ابن الأثير** من ذلك تطير المعتصم بقول إسحاق الموصلي ، وذلك عندما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان وجلس فيه وجميع أهله وأصحابه ، فاستأذن الموصلي المعتصم في الإنشاد فأذن له ،فأنشد شعرا استفتحه بذكر الديار وعفائها فقال :

---

(١)المصدر نفسه (٣/٩٦).
(٢)جواهر الأدب (١/ ١٩).
(٣)المثل السائر، لابن الأثير (٣/ ٩٧).
(٤)المصدرنفسه (٣/٩٧).

يَاَ دَارُ غَيَّرَكِ الْبِلَى وَمَحَاكِ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلاَكِ(١)

فتطير المعتصم بذلك، وتغامز الناس على إسحاق الموصلي كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا، فما عاد منهم اثنان إلى ذلك المجلس وخرج المعتصم إلى سُرَّ مَنْ رأى، وخرب القصر. (٢)

وتشبيب إسحاق الموصلي بالديار القديمة كانت سببا في تطير المعتصم ؛لأن المقام غير مناسب في ذلك فالقصر جديد ،والمقام مقام وصف وتهنئة، وليس تشبيبا بالآثار.

وذكر ابن الأثير" الابتداءات الواردة في القرآن الكريم كالتحميدات المفتتح بها في أوائل السور، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(٣) ، وكقوله تعالى في أول سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٤)؛ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه".

وكذلك الابتداءات بالحروف كقوله تعالى:" ألم، وطس، وحم" وغير ذلك ، فإن هذا أيضًا ، يبعث على الاستماع إليه؛ لأنه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة، فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والإصغاء إليه" (٥).

---

(١) المثل السائر لابن الأثير (ص١٤٢)

(٢)المثل السائر، لابن الأثير (١٠٠/٣).

(٣)سورة النساء، آية: ١.

(٤)سورة الحج، آية: ١.

(٥)المثل السائر، لابن الأثير (٩٨/٣)

وخص ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) حسن الابتداءات بباب، وعلَّق على ابن المعتز أنه أحسن الاختيار في بيت النابغة كأفضل ابتداء (١).

وروى ابن أبي الإصبع أنَّ أحسن ابتداء ابتدأ به قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي؛ حيث يقول :

هلْ إلى أنْ تنام عيني سبيل ... إنَّ عهدِي بالنَّوم عهد طَويلٌ(٢)

وفضل ابن أبي الإصبع ابتداء النابغة على ابتداء امرئ القيس في قوله :

قِفَا نَبكِ مِنْ ذكرَى حَبيبٍ ومنزل ... بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ، فحومَلِ

" فرأى أن ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتداءاته متفاوت القسمين جداً؛ لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكثرة المعاني بالنسبة إلى العجز ما لم يجمع العجز، فإن ألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر، والعجز أقل معان من الصدر بخلاف بيت النابغة، فإنه لا تفاوت بين قسميه ألبتة، فبيت امرئ القيس وإن كان أكثر معان من بيت النابغة، فبيت النابغة أفضل، من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسميه " (٣).

وهناك من يشترط أن تكون المبادئ جزلة ، دالة على غرض الكلام ، موجزة، حسنة الالتفات، وجاء بهذا حازم القرطاجني(٦٨٤هـ) في كلامه عن المبادئ قائلا: " ويجب أن تكون المبادئ جزلة حسنة المسموع والمفهوم ،دالة على غرض الكلام ، وجيزة ، تامة ، وكثيرا ما يستعملون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام"(٤).

---

(١) انظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص ١٦٨).

(٢)تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (١٦٨/١).

(٣)المصدر نفسه (ص١٦٩).

(٤)منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٣٠٦).

كما يُعدُّ " تحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن الأشياء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة نزلة الوجه والغرة ، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها " (١).

وكما ذُكر سابقا بأن المطالع والمباديء هي واجهة القصيدة وصدرها ؛لذا وجب تحسينها والعناية بها .

وعلَّق د.عبده قلقيلة على كلام حازم القرطاجني بقوله : " إنّ تحسين الاستهلال والمطالع من أحسن الأمور في صناعة الشعر، فهي الطليعة الدالة على ما بعدها ، وهي الغرة من الوجه ، تزيد النفس بحسنه ابتهاجا ونشاطا . كما بين أن الإبداع في المبادي قد يرجع إلى الألفاظ الحسنة ولطف الانتقال، وإيجاز العبارات، وينبه إلى أن من الكلام ماله صورة تجعله لائقا أن يكون مفتتح قول ، ومنه ما ليس كذلك"(٢).

وأفضل المباديء ماتتصدر فيها التنبيهات ، وإيقاظ حس السامع ، والتعامل مع عواطفه، ولابد من مراعاة الحال والمقام . فمثلا لو كان الغرض المدح فيستخدم الألفاظ الفخمة ، وإذا كان الغرض النسيب جعل الألفاظ الرقيقة والعذبة ، وأضاف القرطاجني بأن أحسن ما يتصدر به المبادئ الكلام الذي فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع وإثارة لعواطفه ، وجعل ملاك الأمر في المبادئ أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته ؛ فمثلا إذا كان مقصده الفخر اعتمد الشاعر الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيها من البهاء والفخامة ما يكفيها ، وأما إذا كان مقصده عن النسيب اعتمد على الألفاظ الرقيقة العذبة ، وكذلك سائر المقاصد . (٣)

---

(١)المصدرنفسه (ص٣٠٨).

(٢)انظر:النقد الأدبي في العصرالمملوكي (ص٣٩٥). د.عبده قلقيلة-ط١-١٩٧٢م، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

(٣)انظر: منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٣١٠).

إذن ملاك الأمر في المباديء عند القرطاجني أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته .

وأضاف إلى أنه يجب أن تكون المبادئ جزلة ، حسنة المسموع والمفهوم ، دالة على غرض الكلام ، وجيزة ، تامة .(١)

ووضع القرطاجني ثلاث رتب لحسن المبادئ، وهي :-

الرتبة الأولى - ما تناصر فيه حُسن المصراعين وحُسن البيت الثاني ، وأكثر ما وقع الإحسان في المباديء على هذا النحو للمحدثين . فأما العرب المتقدمون فلم يكن لهم بتشفيع البيت الأول بالثاني كبير عناية .

الرتبة الثانية - أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني. نحو قول أبي الطيب :

أتُراها لكَثْرَةِ العُشّاقِ   تَحْسَبُ الدّمعَ خِلقَةً في المآقي(٢)

الرتبة الثالثة - أن يكون المصراع الأول كامل الحسن ، ولا يكون المصراع الثاني منافرا له ، وإن لم يكن مثله في الحسن (٣).

ونقل **شهاب الدين النويري(ت٧٣٣هـ)**(٤) كلام **ابن أبي الإصبع(ت٦٥٤هـ)** في

---

(١)المصدرنفسه (ص٣٠٥).

(٢)انظر: ديوان الصبابة (ص: ٦٨).

(٣)انظر منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٣١١).

(٤)هو أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة، الشيخ الإمام المؤرخ شهاب الدين، البكري، النويري، الشافعي، كان فقيهاً فاضلاً، مؤرخاً بارعاً، وله مشاركة جيدة في علوم، وكتب الخط المنسوب، قيل إنه كتب صحيح البخاري ثماني مرات، وكان يبيع كل نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس، وألف تاريخاً سماه منتهى =

قوله : " هذه تسمية ابن المعتزّ، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، وهو أن يأتي الناظم أوالناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدلّ على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده؛ والكاتب أشدّ ضرورة إلى ذلك من غيره ليبتنى كلامه على نسق واحد دلّ عليه من أوّل علم بها مقصده " [١].

ويوصي شهاب الدين الناظم والناثر بالتمهيد لغرضه في القصيدة أو الرسالة معللا ذلك بأن الكاتب أشد حاجة من غيره ليبني كلامه على نسق واحد .
وأشار إلى التطير كغيره ممن سبقه وكيف يجب على الشاعر الاحتراز منه في قوله : " وينبغى أن لا يبتدئ بشيء يتطيّر منه ". [٢]

واستشهد بقول ذي الرمة ، وقد سبق ذكره ، وقال شهاب الدين : " وينبغى أن يراعى في الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تتأت له براعة الاستهلال، وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه، واستشهد بقول النابغة في أحسن الابتداءات ، واستشهد بقول الموصلي مع عبدالملك ، وقد سبق ذكرهما[٣].

وأفرد **العلوي(٧٤٥هـ)** المبادئ بفصل ، ذكر فيه أن المبادئ والافتتاحات ركن من أركان البلاغة ، فمن أراد التصدي لمقصد من المقاصد ، وأراد شرحه بكلام ، وجب عليه أن يكون مفتتح كلامه ملائما لذلك المقصد دالا عليه، وذكر أمثلة على ذلك فقال : إنَّ الله تعالى لما أذن بالفتح على رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان هو الغاية والمنتهى أنزل عليه آية مناسبة لما هو فيه من إشارة الإيمان، وبلوغه

= الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً. الأعلام (١/ ١٦٥).
(١)نهاية الأرب في فنون الأدب،شهاب الدين النويري (١٣٣/٧).
(٢)المصدرنفسه (١٣٣/٧).
(٣) المصدرنفسه (٧ /١٣٣).

الغاية ، ويذكر منه عليه بما أظهر على يديه من ذلك . (١)

فقال فيها: ﴿ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾(٢) .

فبلغت السورة في افتتاحها مابلغت من براعة الاستهلال وسلاسة اللفظ وعذوبته.

واستدل العلوي أيضا، بافتتاح الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، فى الدعاء لأبي سلمة عند موته حيث قال: " اللهم ارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه من الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين " (٣).

وتميز العلوي باستشهاده من الكتاب والسنة فتميز بأمرين بالاستشهاد والاختيار.

وفصّل العلوي حديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، مبينا بلاغته ،وحسن افتتاحه للحديث في اختياره للمناسبة التي قيل فيها ؛ فبدأ الافتتاح بذكر المهم الذي يفتقر إليه الميت ، من دعاء له يرفع درجته في الآخرة ، ثم صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا ، ثم ختم ذلك الدعاء وجمع بين الداعي والمدعو له ، وهذا من الافتتاح البليغ الذى يعجز عن الإتيان بمثله كل بليغ (٤).

---

(١)انظر:الطراز لأسرار البلاغة (ص١٤١) يحيى بن حمزةالعلوي،المكتبة العنصرية بيروت،ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢)الفتح١-٣.

(٣)أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار، (١٢١/٩ ، رقم ٣٦٦٩) ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، الم ط١،تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله.

(٤)انظر: الطراز لأسرار البلاغة ، للعلوي (ص١٤٣) .

واختلف العلوي عمن سبقه في البيت الذي أطلق عليه أحسن ما قيل في الافتتاح، وهو قول أبي تمام فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتحه لمدينة عمّوريّة؛ حيث زعم أهل التنجيم أنها لن تفتح على يديه ،وشاع الأمر وصار حديثهم آنذاك، ولما فتحت عليه، أنشد أبوتمام قصيدة وجعل مطلعها مكذبا لما قالوه، ومادحا للمعتصم في شدة بأسه وعدم تطيره بالنجوم (١).

فقال :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ...في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ (٢)

وقد ذكر العلوي مثالا على قبح الافتتاح ، استشهد به من سبقه من الأدباء ، وهو قول ابراهيم الموصلي للمعتصم حين انتهى من بناء قصره ،وقد سبق ذكره (٣).

وكذلك استشهد على قبح التشبيه بقول ذي الرمة لعبد الملك ، وقد سبق ذكره

واستنادا على ما سبق نجد العلوي يطالب الأدباء بحسن الابتداء بل ويراه ركنا من أركان البلاغة ويؤكد ذلك بقوله: " سئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال من أجاد الابتداء والمطلع" (٤).

وأول ما ابتدأ ابن حجة الحموي(٨٣٧هـ) كتابه بدأه بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال ، وخصه عند المتقدمين .ويستهل بقوله : (بحرالبسيط)

لي في ابتَداء مديحكم يا عُرب ذِيْ سلم ... براعة تَستهِل الدّمع في العِلْمِ(٥)

(١)المصدرنفسه (ص١٤٤).

(٢)ديوان أبي تمام (١/١٧).

(٣)انظر الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي (ص١٤٦)

(٤)انظر: النقد الأدبي في العصرالمملوكي، لعبده قلقيلة (ص٣٩٨)

(٥)انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٤٠) تقي الدين أبي بكرعلي المعروف بابن حجة الحموي، دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧م، ط١، تحقيق: عصام شقيو.

فذكر ابن حجة أن علماء البديع قد اتفقوا على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا من شطره الثاني[١].

وهذا ماأكده ابن أبي الإصبع حين قارن بين بيت الشعر عند النابغة و بيت امرئ القيس فوجد أن ألفاظ النابغة متناسقة مترابطة مع بعضها ،أما امرؤ القيس فألفاظ الشطر الأول يعد أجنبيا عن الشطر الثاني .

واستشهد على أحسن بيت في الشعر قول النابغة ، الذي سبق ذكره .

وذكر **ابن حجة** إعجاب ابن أبي الإصبع بالنابغة والمقارنة التي أقامها بين النابغة وامرئ القيس في قوله : قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل .... والتي سبق ذكرها ، عند ابن أبي الإصبع حين عُرِض رأيه في الابتداء .

كما أشار إلى أن علماء البديع قد نبهوا على يقظة الناظم في حسن الابتداء، فإنه لشيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، وتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه؛ ليتجنب ذكره، ويختار لأوقات المدح ما يناسبها.

كما نبهوا على أن حسن الابتداء في خطاب الملوك هو العمدة في حسن الأدب ؛ فقد حكي أن أبا النجم الشاعر، دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه، فأنشده من نظمه:

صَفْراءُ قد كادتْ ولمَّا تَفعلِ ...كأنَّها في الأُفقِ عيْنُ الأحولِ[٢]

---

(١) المصدر نفسه (ص١٩).

(٢)المصدر نفسه (١/ ٢١) .

وهشام بن عبد الملك أحول، فأخرجه وأمر بحبسه [(١)]

كما استشهد بقول جرير لعبد الملك حين دخل عليه ومدحه فأنشد جرير قائلا:

أتصحو أم فؤادك غير صاح ... عشيَّة هَمَّ صَحْبكَ بالرَّواح[(٢)]

فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا ابن الفاعلة.

فجعل ابن حجة هذه الاستشهادات من مستقبحات الابتداء .

واستشهد بقصة ابراهيم الموصلي وتطير المعتصم من قبح هذا المطلع، وأمر بهدم القصر على الفور[(٣)].

وانتقل ابن حجة إلى الحديث عن حسن الابتداء عند المحدثين ، وتناسب القسمين مستشهدا بقول الشاعر : (بحرالكامل)

زار الصبَّاح فكيفَ حالك يا دُجَى ... قُم فاستذمَّ بفرعه أو فالنَّجا[(٤)]

" انظر إلى حسن هذا الابتداء، كيف جمع، مع اجتناب الحشو، بين رقة النسيب وطرق التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى " [(٥)].

وختاما يقول ابن حجة : " فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان، وإن لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء"[(٦)] .

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) ديوان جرير (ص: ٩٢)
(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (ص٢٢).
(٤) المصدر نفسه (ص ٢٤)
(٥) المصدر نفسه (ص٢٤).
(٦)المصدر نفسه (ص ٢٠) .

وأوصى النواجي في مقدمته بالمقاطع والمطالع، مبينا أهميتها وصعوبتها ، فقال: " وحصِّل المبدأ، والمقطع ؛ فهما أصعب مافي القصيد " [١].

ووافق النواجي(٨٥٩هـ) ابن حجة الحموي في قوله عن يقظة الناظم في حسن الابتداء وأيد رأيه في قوله : " وقد نبه علماء البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء . فإنه أول شئ يقرع به الأسماع ، ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين و الممدوحين . ويغير ما يتطيرون به ويكرهون سماعه ، ويتجنب ذكره . ويختار لأوقات المدح ما يناسبها . وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الأدب " [٢].

وذكر النواجي مثالا على ذلك قصة أبي النجم الشاعر مع هشام بن عبدالملك، والذي سبقه في ذكر هذا ابن رشيق وابن حجة.

وكذلك ذكر قصة جرير مع عبد الملك بن مروان وقد سبق ذكرها، عند ابن رشيق، كما أشار إلى ابتداء قصيدة المتنبي ، والتي عابوا عليه خطابه فيها لممدوحه ؛ حيث قال :

كفى بكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شافِيَا... وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أمانِيَا[٣]

وصرح النواجي في كلامه عن خجله وانفعاله عند سماعه لقصة دخول ابراهيم الموصلي على المعتصم عندما فرغ من بناء قصره.

وهنا إشارة لطيفة وقيِّمة من النواجي أشارت للقارئ بطريق غير مباشر ماينادي به القدماء في مخاطبة الملوك بأدب ، فوصف النواجي هذا العلّامة الفذ حاله عند سماع قول الموصلي للمعتصم ما أصابه من استياء ينتابه وخجل ، وما

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي(ص٥٤).

(٢) المصدر نفسه (ص٤٩).

(٣) ديوان المتنبي (ص: ١٤٥).

ذاك لشيء إلا لتأدب النواجي في خطاب الملوك ؛ فالابتداء هو العمدة في حسن الأدب.

وعلى الرغم مما تقدم من حال النواجي فإنه أثنى على الموصلي في موضع آخر بقوله: " هذا مع يقظة إسحاق ، وسير الركبان بحسن محاضرته،ومنادمته للخلفاء ، ولكن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو مع أنه قيل : أحسن ابتداء ابتدأ به مولد"(١). قول إسحاق الموصلي :

هلْ إلى أنْ تنام عيني سبيل ... إنَّ عهدِي بالنَّوم عهد طَويلٌ(٢)

كما يبدي لنا أدبا آخر حين التمس العذر لاسحاق في فعله مع المعتصم لأنه كما سيأتي في مبحث السرقات سيظهر لنا النواجي تأدبه في الحكم على غيره وتحرزه من ذلك .

وقصة ذي الرمة مع عبدالملك تقارب قصة إسحاق مع المعتصم ، والتي ذكرها ابن رشيق فيما سبق ، واستشهد بها النواجي في هذا المقام.

ووازن النواجي بين ابراهيم الموصلي الحاذق المتيقظ ،وكيف استطردت به خيول السهو فخاطب المعتصم في قصر رياحين الذي شيده ، فأغضبه بخطاب الأطلال البالية ، وبين حشمة أبي نواس كيف خاطب الدمن بخطاب ، تود القصور العوالي أن تتحلى بشعاره (٣).

فقال أبونواس (بحرالطويل)

لِمَنْ دِمَنٌ تَزْدادُ حُسْنَ رُسُومِ ... على طولِ ما أَقْوَتْ ، وطيبِ نَسيمِ (٤)

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٥٤).

(٢)تحرير التحبير لابن أبي الإصبع (١٦٨/١).

(٣)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٥٤).

(٤)ديوان أبي نواس (ص: ٨٠٨).

وحكى النواجي عن شيخه كمال الدين الدميري ماحكاه الشيخ في كتاب حياة الحيوان في الكلام عن الكلب، أن أبا بكر الخالدي دخل على الخليفة فامتدحه بقصيدة فأعطاه الخليفة صحن يشم أزرق فخرج أبو بكر مسرورا ، فمر على أبي الفتح بن خالويه فهنأه بذلك ، ثم رجع من الغد إلى الخدمة فسأله الخليفة عن حاله فقال أبو بكر: بخير ودعا له وقال : " بتنا ندعو لأمير المؤمنين وبت أتفنن في الصحن ، و أتملى بحسنه فأضفته إلى سالف صدقات مولانا ورفده، وكل خير عندنا من عنده " ؛ فتنمر الخليفة واستشاط غضبا وزجره ، فخرج حزينا كئيبا ، فمر على أبي الفتح بن خالويه ، وقال : " لم أعلم سبب غضبه علي " قال : " ما قلت له ؟ " ، فأخبره بالحال قال أبو الفتح : " أو قلتها ؟! " قال : نعم، فقال : أين أنت ؟ !أتجعل أمير المؤمنين كلبا، أين ذهب عقلك ؟ أو ما سمعت قول أبي نواس في طريدته :

أتعب كلب أهلهُ في كدّهِ ... قد سَعِدَتْ جُدودُهمْ بجدِّه

وكلُّ خيرٍ عندهم من عندِه ... وكلُّ رِفْدٍ عندَهمْ من رَفْدهِ (١)

فكاد الخالدي أن يموت فزعا ، ثم قال له : عرفني كيف المخلص؟

فأشار عليه ابن خالويه أن يتمارض مدة ثم يظهر الشفاء ثم يذهب للأمير فإذا سأله عن سبب مرضه يخبره بأنه طالع طريدة أبي نواس ، فلما فعل ذلك رضي عنه أمير المؤمنين (٢).

وتعليقا على ما سبق ، فقد نبَّه علماء البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء ومراعاة أحوال الممدوحين ، وتغيير ما يكرهون سماعه ، ويتطيرون منه ، فما أوصى السابقون من علماء البديع بشيء إلا لمعرفتهم وتمكنهم وبراعتهم في كل ما أتوا عليه من علم ، فالعلماء ورثة الأنبياء .

ويذكر النواجي أن بعض الشعراء قدموا لبعض الخلفاء رقعةً مكتوبًا فيها قصيدة يصف فيها الإبل وشدة سيرها ، مطلعها:

---

(١)انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (ص: ٢٧٦).

(٢)انظر: مقدمة في صناعة النظم والنثر،للنواجي (ص٥٨).

دَعهَا وَلا تحبسْ زمَام المقودِ تَطوي بأ يْديهَا بِسَاط الفَرقَد(١)

فقرأها وأحسن جائزته ، فلما خرج قال له بعض الحذاق : أما خشيت أن يقع نظره على قولك : دعها فيلقيها من يده . (٢)

وختم قوله في الابتداء بقصة ابن نباتة عند دخوله على رؤساء في مجلس أنس ، فقال له : أنشدنا شيئا فأنشد : (٣)

أَقُولُ للكَأسِ إذَا ابْتَدَى ... بِكَفِّ أَحْوَى أَغَنٌّ أَحْوَرُ

أَخَرَبْتَ بَيْتِي وَبَيْتَ عيري ... وأَصْلُ ذَا كَعْبِكَ المُدَورُ(٤)

فتشاءم الرئيس بذلك ،ونهض قائما من ذلك المجلس .

وخلاصة رأي النواجي: أن المبادئ ضرورة من ضرورات القصيدة المكونة لها .

كما وافق من كان قبله في الاهتمام بالمطالع والابتداء؛ إيمانا منه بأنه أول مايقرع في الأذهان ،واستشهاداته المتعددة والمتوافقة مع من سبقه؛ تأكيدا على موافقته لرأيهم وتأييده لهم.

أما خلاصة المبحث فالابتداء علمٌ بارزٌ في سارية الشعر العربي وواجهة في مقدمته.

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر،للنواجي (ص٥٨).

(٢) المصدرنفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (٢/ ٦٠).

ثانياً- المقاطع – حسن الخاتمة :

ولمصطلح المقاطع مسميات كثيرة مرادفة له أشهرها (الانتهاء – وحسن الختام– والمقطع) ، وكلها فن واحد متعدد التسمية وهو يؤثر في النفس ويحركها عند ختام القصيدة ليبقى أثرها عالقا في النفس .

والختام في اللغة : انتهاء الشيء وآخره ، وفي القرآن ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ (١) أي آخره لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك(٢) .

واختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع: فقال بعضهم: هي الفصول والوصول بعينها، فالمقاطع: أواخر الفصول، وقال غيرهم: المقاطع: منقطع الأبيات، وهي القوافي. (٣)

ومن أبرز النقاد الذين ذكروا هذا المصطلح الجاحظ الذي روى أن شبيبًا بن شيبة كان يقول:
" الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه "(٤) .

والمقاطع كما ذكرنا سابقا ، تعني حسن الخاتمة التي وجب فيها العناية والاهتمام ؛ لأنها آخر ما يبقى في الأسماع فيظل أثره عالقا في الذهن .

وورد مصطلح الخاتمة عند القاضي الجرجاني(٣٩٢هـ) حين قال : " والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تستعْطِف أسماعَ الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء "(٥).

---

(١) سورة المطففين: ٢٦.

(٢) لسان العرب، مادة [ختم].

(٣)العمدة ،لابن رشيق (ص٢١٦).

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ (١/١١١).

(٥) انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه(ص٤٨)، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز القاضي =

والاستهلال بداية الأمر والخاتمة نهايته ، والجرجاني يرى فيهما استعطاف القلوب ، واستمالة قلوب الحضور للإصغاء ، لذا وصف الجرجاني الشاعر الذي يلتفت إليهما فيحسنهما بالحذاقة؛ لأن الاستهلال أول ما يقع في أسماع الحضور والخاتمة آخر ما يبقى في أذهانهم ، لذا كان لزاما على الشاعر الاجتهاد في صنع الأمرين .

وسماه أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) المقطع ، وعرفه قائلا : " والمقطع آخر مايبقى في النفس من قولك "[١].

ووافق أبو هلال العسكري الجرجاني في أثرالمقاطع وخالفه في اسمها .
وقال أيضا : " فينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها "[٢].

ومن الأمثلة التي ذكرها في جودة المقطع قول ابن الزبعرى في ختام قصيدة له: (بحر الكامل)

فخذِ الفَضيْلة عن ذنوبٍ قَد خَلَتْ وأقبل تضرع مسْتضيفٍ تائب[٣] .

وسماه ابن رشيق بالانتهاء ، وعرّفه بقوله : " وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً: لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له ، وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه "[٤].

وجعله ابن رشيق قاعدة القصيدة وأساسها ؛ لأهميته وللأثر الذي يتركه ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، لذا وجب أن تكون آخر أبيات القصيدة أجودها وأكملها

= الجرجاني، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.

(١) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٤٣٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه (ص: ١٣٤).

(٤) العمدة، لابن رشيق (ص٢٣٩).

لفظا ومعنى ، فإذا كان أول القصيدة وهو الاستهلال مفتاحا لها ، وجب أن يكون الانتهاء قفلا جيدا قويا عليها .

وإذا لم تشعر القصيدة السامع بالانتهاء يبقى الكلام مبتورا ؛لأن نفس السامع مازالت متعلقة ومترقبة تتطلع إلى المزيد والنهاية ، ومن أمثلة هذا قول امرئ القيس في وصف السيل وشدة المطر:(بحرالطويل)

كَأَنَّ السِّبَاعَ فِيْهِ غَرْقَى عَشِيَّةً...بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيْشُ عُنْصُلِ(١)

فالبيت لا يوضح ما الذي بعد هذا الوصف فتبقى النفس مترقبة المزيد من الوصف. فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات، وهي أفضلها(٢).

أما أسامة بن منقذ فقد سماه المقطع فقال :" اعلم أن الأواخر والمقاطع ينبغي أن يتحرز الشاعر فيها مما يعترض عليه ، وينبغي أن تكون أواخر القصائد حلوة المقاطع، توقن النفس بأنه آخر القصيدة؛ لئلا يكون كالبتر، وأحسن المقاطع قول تأبط شراً":(٣) (بحرالبسيط)

لتقرعنَّ عليَّ السنَّ من ندمٍ ... إذا تذكرتَ يوماً بعض أخلاقي(٤)

كذلك من وصف المقاطع والأواخر أن تكون حلوة ، وأن تكون مؤكدة للنفس بأنها آخر ما في القصيدة ، ويوافق أسامة بن منقذ ابن رشيق بأن القصيدة لابد أن تكون مؤكدة للنفس بآخرها حتى لا تكون مبتورة .

وسمَّاه ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) بحسن الخاتمة ، وقال : " يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها

---

(١) ديوان امرئ القيس (ص: ٨)
(٢) العمدة، لابن رشيق (ص٢٣٩).
(٣) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ (ص٢٨٧).
(٤) قيل أنه لسلمة بن حنش في تهذيب إصلاح المنطق (ص ٣٨٣).

ونضجها وحلاوتها وجزالتها". [١]

ووافق الجرجاني و أبو هلال العسكري وابن رشيق في أن حسن الخاتمة هي آخر ما يبقى في السمع وأضاف عليهم أن تكون الخاتمة رشيقة ناضجة حلوة وجزلة .

وأشار القرطاجني(٦٨٤هـ) إلى الاهتمام بالختام فيقول: " فينبغي أن يكون بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح ، وبمعان مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء ، وكذلك يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه ، وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا ، فإن النفس تكون متفرغة؛ لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر"[٢] .

وفصَّل القرطاجني القول في الخاتمة، وبيَّن كيف تكون في التهاني والمديح من معان سارة، وفي التعازي والرثاء من معان محزنة ، وكل غرض فيما يناسبه من معان توافق حالها ، بالإضافة إلى عذوبة اللفظ وجزالة التأليف .

وما زال يوصي الشاعر بالاهتمام بالمقاطع أو الختام بأن يجعل فيها أحسن ما عنده وأفضله، ثم ينبه من إنهاء القصيدة على ألفاظ كريهة أو منفرة للنفس ؛ لأن من القبيح أن يأتي كدر بعد صفو، وقبح بعد جمال .

وكذلك سمَّاه بالمقاطع وقال فيه : " وأما ما يجب في المقاطع وهي أواخر القصائد فإنه يتحرى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة ، وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه ، أو معنى منفر للنفس عما قصدت إمالتها إليه ، ووجّه العناية بهذا الموضع؛ لأنه منقطع الكلام وخاتمته، فلا شيء أقبح من كدر بعد صفو، وترميد بعد إنضاج" [٣].

وسمَّاه ابن حجة الحموي(٨٣٧هـ) الختام، وقال فيه : "وهذا النوع الذي يجب

---

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٦١٦).

(٢) منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٣٠٦).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٢٨٥)

على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما، مع أنهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الإحسان، فإنه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فلا يحسن السكوت على غيره "(١) .

وذكر ابن حجة أنَّ التيفاشي سمّاه"بحسن المقطع" وسمَّاه ابن أبي الإصبع(بحسن الخاتمة) (٢).

كما صرَّح بضرورة الاهتمام بحسن الختام، وأن يحسنا الناظم والناثر فيه غاية الاحسان ؛ لأنه آخر ما يبقى في الأسماع .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن حجة في حسن الختام قوله في بديعيته (بحر البسيط) :

حُسْن ابتَدائي به أرجُو التَّخلّص مِن ... نَارِ الجَحِيمِ وهَذا حُسْن مختتمِي(٣)

وقال بعده في حسن الختام (بحر الطويل) :

عَليكَ سَلامٌ نشْره كلَّما بدا ... به يتغَالى الطِّيبُ والمسْكُ يختم(٤)

وقال الشيخ صفي الدين في حسن الختام :

فإنْ سَعدت فمَدحِي فيكَ مُوجبُه ... وإن شَقيتُ فذنبي موجِبُ النّقم(٥)

وسمَّاه النواجي(٨٥٩هـ) بالمقطع فقال: " وحصل المبدأ والمقطع ، فإنهما أصعب ما في القصيد"(٦).

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموي (٢ /٤٩٣).

(٢) المصدر نفسه (٢ /٤٩٣).

(٣)خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٤٩٣)

(٤)المصدر نفسه (٥٠٤/٢)

(٥)المصدر نفسه .

(٦)مقدمة في صناعة النظم والنثر ، للنُّواجي (ص٣١).

ثم أشار إلى ما ذكره ابن حجة من أنَّ التيفاشي سمَّاه (بحسن المقطع) كما بيَّن النواجي رأيه في حسن الخاتمة، والذي وافق فيه ابن حجة واكتفى بقوله ولم يضف إليه شيئًا .

وأورد النواجي مقاطع للسور الكريمة في الكتاب العزيز فقال: ومن المعجز في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) إلى آخر السورة فانظر أيها المتدبر إلى هذه البلاغة المعجزة ، فإن السورة الكريمة بدأت بأهوال يوم القيامة، وختمت بقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (٢)

وخلاصة الأمر في حسن الخاتمة أن النقاد اتفقوا جميعا، على ضرورة الاعتناء بها؛ لأنها آخر ما يقع في الأسماع فتبقى عالقة في الأذهان بما انتهت عليه .

---

(١) سورة الزلزلة ، آية: ١.

(٢) سورة الزلزلة ، آية:٨.

المبحث السابع - قضية تمكين القوافي وتهذيبها

هذه القضية الشعرية هي آخر قضايا الشعر التي عرض لها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر .

عُنِي النقاد بالقافية ، فهي آخر ما يطرق السمع من الشعر، تاركة أثرها في النفس.

والشعراء القدماء لم يُنَظِمُوا قصائدهم إلا موزونةً و مقفاة ، إيماناً منهم بجمال القافية ، ومدى تأثيرها في نفس المتلقي .

وجاء في لسان العرب " أنَّ المراد بالقافية : القَفا.

ويقولون :القَفَنُّ في موضع القَفا، وقال: هي قافية الرأْس .وقافِيةُ كل شيء: آخره، ومنه قافية بيت الشِّعْر ، وقيل قافية الرأْس مؤخره.

وسميت قافية؛ لأنها تقفو البيت، و في الصحاح: "لأَن بعضها يتبع أَثر بعض"(١).

وقيل أيضاً: " لكونها في آخر البيت مأخوذة من قولك: قفوت فلاناً، إذا تبعته. وقفا الرجل أثر الرجل إذا قصه. " (٢) .

ومنه حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قَالَ: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ))(٣) .

---

(١)لسان العرب ، مادة [قفا].

(٢)القوافي - للقاضي أبي يعلي عبد الباقي التنوخي . المحقق: د. عوني عبد الرؤف . مكتبة الخانجي – بمصر- ط٢، ١٩٧٨ م – ص٥٩.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٣١٠) كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ(١٠٧٤).

(قافية رأس أحدكم)؛ أي مؤخر عنقه، وقافية كل شيء مؤخره .

" وقَفاه قَفْواً وقُفُوّاً و اقْتَفاه و تَقَفَّاه: تَبِعَه.

قَفا يَقْفُو قَفْواً وقُفُوّاً، وهو أَن يتبع الشيء.

وعرَّف العلماء القافية في الاصطلاح ، فقال الأخفش: " والقافية من الشعر الذي يقفو البيت، وجعلها آخر كلمة في البيت، "وأَراد هنا، بالقوافي الأَبيات . "(١)

ومنهم من رأى أنَّ القافية هي تكرار الحروف والحركات **كأبي موسى الحامض(ت٣٠٥هـ)**(٢): " القافية ما يلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف والحركات" وهذا قول جيد. (٣)

وبعضهم رأى أن القافية هي حرف الروي كقول **قطرب(ت٢٠٦هـ)**(٤): " القافية حرف الروى، وأدخلت الهاء عليه، كما أدخلت على علامة ونسابة، ولأن القائل يقول: قافية هذه القصيدة دال أو ميم" (٥).

---

(١)لسان العرب ، مادة (قفا).

(٢)هو سليمان بن محمد، ولقب بالحامض لشراسته، لازم ثعلبا زهاء أربعين حولا، ثم خلفه بعد موته، وكان موهوب البيان، شديد العصبية الكوفية، له في النحو مختصر، وتوفي ببغداد سنة ٣٠٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٦١).

(٣)القوافي (ص٦٦) تحقيق: الدّكتور عوني عبد الرّءوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٨م.

(٤)هو: محمد بن المستنير أبو عليّ النحوي المعروف بقطرب، لازم سيبويه وكان يدلج إليه، فإذا خرج رآه على بابه، فقال: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب به، وأخذ عن عيسى بن عمرو. وله من التصانيف: العلل في النحو، الغريب في اللغة، ومجاز القرآن، وغير ذلك. توفي ببغداد (٢٠٦هـ). تاريخ بغداد (٣/ ٢٩٨).

(٥)القوافي، للتنوخي (ص٦٦).

وقال **الخليل(ت١٧٠هـ)**(١): " القافية من آخر حرف في البيت إِلى أَوّل ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن، ويقال مع المتحرك الذي قبل الساكن كأَن القافية على قوله من قول لبيد"(٢) .

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها .... بِمِنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا (٣) .

وقال ابن كيسان(٤): " القافية كل شيء لزمت إعادته في آخر البيت "(٥) .

" وقد اختلف الناس في القافية؛ فقال بعضهم هي القصيدة بهذا البيت. "(٦).

وَقَافِيَةً مِثْلِ حَدِّ السِّنَا ... نِ نَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا(٧). (بحر المتقارب)

---

(١)الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحوي، مات في البصرة،سنة:(١٧٠هـ) شذرات الذهب (١/ ٢٦٨) .

(٢)لسان العرب ، مادة (قفا) .

(٣)ديوان لبيد(ص٩٨).

(٤)ابن كيسان: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان، كان يحفظ مذاهب البصريين والكوفيين في النحو، لأنه أخذ عن أبوي العباس: المبرد وثعلب، وغيرهما، ثم ذاع اسمه فكان درسه غاصا بالأمراء والأشراف والدهماء، والكل لديه سواسية، وله مصنفات في مختلف علوم العربية، منها في النحو: المهذب، والمختار في علل النحو، والمسائل على مذهب النحويين؛ مما اختلف فيه البصريون والكوفيون، والفاعل والمفعول به، توفي ببغداد سنة ٢٩٩هـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (١٨/١). جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية ـ لبنان / صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٥)لسان العرب ، . مادة (قفا).

(٦)القوافي، للتنوخي (ص٦٤).

(٧)ديوان الحماسة (١/ ٢٣٩) للبحتري. طبع القاهرة ١٩٢٩م.

وقال بعضهم: القافية البيت، واحتج بقول سحيم عبد بني الحسحاس (بحر الطويل) :

أشَارَت بِمِدْرَاهَا وَقَالت لِترْبِهَا ... أَعَبْدُ بني الحسحاس يُزْجي[(١)]

ويقول حسان (بحر الوافر) :

فَنُحْكِمُ بالقَوافي مَن هَجانا ... ونَضْرِبُ حينَ تخْتَلِطُ الدِّماءُ [(٢)] .

وخلاصة ما سبق من تعدد تعريفات القافية فإن أغلب النقاد قد أجمعوا على أن القافية آخرما يذكر في البيت الشعري .

وكما اعتنى العلماء بالقافية ، فقد أوصوا بتهذيبها ، وبأخذ أسهل الألفاظ مخرجا وأوضحها معنى ، وابتعدوا عن أصعبها لفظاً وأكثرها نفورا . وأوصوا بالمخارج أنْ تكون مألوفة معروفة منتظمة فيما بينها ، غير نافرة أو مستبعدة، معللاً بعضهم ذلك بأنّ القوافي حوافر الشعر.

ويؤكد ذلك **أسامة بن المنقذ(٥٨٤هـ)** في كلامه عن القوافي قوله: " واقصد القوافي الحسنة، ولا تقصد المستهجنة، فإنها حوافر الشعر[(٣)].

فأوصى بالقوافي الحسنة، ونهى عن القوافي المستهجنة النافرة .

ووافقه في ذلك **حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ)** ، وفسّرالحوافر بقوله : "وقال في ذلك بعض العرب لبنيه : اطلبوا الرماح فإنها قرون الخيل ، وأجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر ،أي عليها جريانه واطّراده، وهي مواقفه . فإن صحّت استقامت

---

(١)الحماسة البصرية (ص: ١٥٢)
(٢)ديوان حسان بن ثابت (ص ١) ت: سيد حنفى حسنين ـ ط: دار المعارف ـ بدون تاريخ.
(٣) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ (ص٢٩٦).

جريته ، وحسنت مواقفه ونهاياته ."[1]

فشبهت العرب القوافي بحوافر الفرس ؛ لما تتركه من قوة أثر في الصوت والشكل؛ فحوافر الفرس تترك أثرا بارزا في مكان جريانها ، وصوتا قويا متناغما ومتتابعا ، بالإضافة إلى أنها تستقيم خطوات الفرس وجريانه بها، كذلك هو الحال في القوافي فهي تترك أثرا بارزا بإيقاعها الموسيقي وبحروفها المتناسقة والمتناغمة ، وعليها يكون اعتماد الشعر وجريانه واستقامته .

وكان من تعليق المعاصرين على ذلك مارآه د. **مصطفى الجوزو** من أن (حوافر الشعر) فسرت بتفسيرات متعددة؛ فمنهم من قال إنها تعني أن القافية أشرف مافي البيت ؛ لأن حوافر الفرس أوثق ما فيه وعليها اعتماده . ومنهم من قال إن القافية مركز البيت الشعري، وسبيل الشاعرأن يعنى بتهذيبها ، ومنهم من قال إن ذلك يعني أن القافية عليها جريان الشعر واطراده؛ أي مواقفه ، فإن صحت استقامت جريته، وحسنت مواقفه ونهاياته.

ويبدو أنَّ الرأي الأخير هو أقرب للمعنى الذي قصده النقاد السابقون، وهو ما رجحه **د. مصطفى الجوزو** في كتابه نظريات الشعر، معللا ذلك بأنه لا علاقة بين الشرف والحوافر وإن كانت معتمد الفرس ، ولا بين الحوافر ومركز البيت وإن كانت مرتكز جسم الخيل ؛ فالحوافر لا تخيل لنا شيئا جامدا، بل شيئا متحركا، وهذا ما يناسب التأويل الثالث. [2]

---

(١) منهاج البلغاء، للقرطاجني (ص٢٧١)

(٢) انظر نظريات الشعر عند العرب ، للجوزو(٣٨/١).

فالقرطاجني لم يعتبر إلا موقع الحوافر في سيرها على الأرض ، وكذلك القوافي فهي ترسم مجرى الأبيات ، تتكرر في العروض والضرب (١).

وخلاصة الرأي أنه كما تترك حوافر الفرس أثرها على الأرض وفي السمع، كذلك هو الحال في القوافي التي تترك أثرها البارز في السمع والنفس .

وقلَّ من تناول عبارة (حوافر الشعر) من النقاد فلم تقع الباحثة إلا على هؤلاء الثلاثة من النقاد ، فتميز ذكرهم لها ونعتهم للقافية بها ، فالنعت كان بليغًا يوصل الغرض بصورة ملموسة محسوسة .

ومن أبرز الآراء التي تدارست أبعاد قضية تمكين القافية ، رأي بشر بن المعتمر حين أوصى بإحلال القافية ومشاكلتها مع معنى القصيدة فقال : "وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد"(٢).

فلم يُغفل بِشر(٢١٠هـ) القافية ولم يهملها، بل اهتم بمكانها ومركزها وبمشاكلتها ، ونهى عن إكراهها في اغتصاب الأماكن حين تكون قلقة نافرة من مكانها.

ووافقه الجاحظ(٢٥٥هـ) حين أبرز مكانة القافية وأهميتها عند قوله : " وحدثني صالح بن خاقان، قال: قال شبيب بن شيبة: " الناس موكّلون بتفضيل

---

(١) انظر: المصدرنفسه (٣٨/١).
(٢)البيان والتبيين، للجاحظ (١٣٠/١).

جودة الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع، وبمدح صاحبه. وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة، أرفع من حظ سائر البيت"(١)

ووافقهم في ذلك ابن قتيبة حين جعل التمكن من القوافي سمة من سمات المطبوع من الشعراء، وجُعلَ التمكن من القافية والاقتدار عليها، سمة من سمات المطبوع من الشعراء، و ذلك في قوله : " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته"(٢)

والشاعر حين يهم بنظم القصيدة يحرك المعنى الذي في فكره ثم يعدُّ له من الألفاظ ما يناسبه، و من القوافي ما توافقه ، ويقف عند المعاني ويرى ما يشاكل منها القوافي ويشغل فكره فيها ويعمل عليها ، فتمكن القافية شرط في الشعر يتحراه ويتقيد به كل شاعر ، والمُكْنة حس وشعور لابد أن توجد في ملكة الأديب، وإلا ما اقتدر على نظم القوافي وتمكنها .

فالقافية المتمكنة تكون في البيت كالشيء الموعود به المنتظر يتشوقها المَعْنِيّ ويتطلع إليه(٣).

ووافق **ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ)** بِشرا في قوله: " فإذاَ أَرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ مخَضَ المَعْنى .... "(٤) قد سبق ذكره .

وخلاصة رأي ابن طباطبا أن يشغل الشاعر فكره في وضع القوافي بما تناسب المعاني ونقل القوافي ووضعها في الأماكن التي تشاكلها .

---

(١)المصدر نفسه (١١١/١).

(٢)الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص٩١).

(٣) انظر أسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد بدوي(ص٣٤٦).

(٤)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٧).

ويوافق قدامة بشرا وابن طباطبا في " أن تكون القافية معلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه " (١) .

إذن لابد أن توافق القافية المعنى، وتطابق اللفظ، وتلائم الذوق، وتفي بالغرض.

كما يُذكرُ رأي أبي هلال العسكري في شأن القافية، والذي اتفق فيه مع بشر وابن طباطبا وقدامة بقوله : " وإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التى تريد نظمها في فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتّى فيه إيرادها وقافية يحتملها؛ فمن المعانى ما تتمكّن من نظمه في قافية، ولا تتمكّن منه فى أخرى، أو تكون فى هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه فى تلك " (٢).

وبمزيد من المشاركة والاختصاص للقافية تميزت عند بعض العلماء ، وصارت شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، فلا يسمون الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية .

وهذا ما أكده ابن رشيق في كتابه العمدة والذي سبق ذكره.

واختلف بهذا ابن رشيق عمن سبقه من القدماء ، في أنه جعل من القافية الفارق الذي بين الشعر والنثر فقط .

ومنهم من جعل القوافي كالسجع يختار منها ما كان متمكناً دالاً عليه الكلام بحيث لو سُمِع صدر البيت عُرِف قافيته، وأخذ بهذا ابن سنان الخفاجي، وجاء في كتابه قوله : " فأمَّا القوافي في الشعر فإنها تجري مجرى السجع، وإنَّ المختار منها ما كان متمكناً يدل الكلام عليه ، وإذا أنشد صدر البيت عرفت قافيته كما قال

---

(١)نقد الشعر، لقدامة بن جعفر (ص١٦٧).

(٢)كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص١٣٩).

ابن نباتة في وصف قصيدته " [١] . (بحر البسيط)

خُذْهَا إذَا أنْشِدَتْ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ... صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا [٢]

فأكد ابن نباتة في شعره أن القوافي متى استقرت في مكانها الصحيح وتمكنت من معانيها جيدا ، وجدت السامع للقصيدة يأتي بقافيتها بسماعه لصدر بيتها ، ومتى حصل هذا عرفت أن القافية قد تمكنت في ألفاظها وتمثلت معانيها فوقع الأثر فيمن حولها، وأيد رأيه ابن سنان الخفاجي .

فوافق بذلك بشرا وابن طباطبا وأباهلال العسكري .

كما أنَّ ابن سنان قد وصل باهتمامه بالقافية ما سبقه النقاد إليه في مشاكلة القافية للمعنى واللفظ .

وسمَّى **ابن أبي الإصبع(ت٦٥٤هـ)** ائتلاف القوافي ومشاكلتها مع الألفاظ بالتمكين وقال فيه :

" وهو، أن يمهد الناثر لسجعة فقرته، أو الناظم لقافية بيته تمهيداً، تأتي القافية به متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت من البيت اختل معناه واضطرب مفهومه"[٣] .

فيرى **ابن أبي الإصبع(ت٦٥٤هـ)** أن على الشاعر أن يمهد للقافية قبل أن يضعها في القصيدة؛ لتتمكن من مكانها، وتستقر في موضعها ، مطمئنة غير

(١)سر الفصاحة ،لابن سنان الخفاجي (ص١٧١).
(٢)لم أجده في ديوانه ووجدته في المثل السائر لابن الأثير (٣/٢٠٦).
(٣) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٢٢٤).

نافرة، يتعلق المعنى بها، ويختل عند غيابها. ويستشهد بأبيات المتنبي : (بحر البسيط)

يَامَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ عَدَمُ

إنْ كَان سَرَّكُم مَا قَالَ حَاسِدُنَا ...فَمَا لِجُرْح إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ (١) .

و أشاد بأبيات **النابغة** قائلا:" ولم نسمع لمقدم شعرا أشد تمكين قوافٍ من قول النابغة الذبياني": (بحر الكامل)

كالأقحوانِ ، غَداةَ غِبّ سَمائِه ... جفتْ أعاليهِ ، وأسفلهُ ندي

زَعَمَ الهُمامُ بأنّ فاها بارِدٌ ... عذبٌ مقبلهُ ، شهيُّ الموردِ (٢) .

ووافق **القرطاجني(ت٦٨٤هـ)** من سبقه من النقاد في ضرورة تمكن القوافي ومشاكلتها ، وبيّن في كلامه عن القوافي أنه مما يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها تمكن القوافي . (٣)

وسار ابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ) (٤) على منوال ابن أبي الإصبع و وافقه

(١) ديوان المتنبي (ص١٢٧) .

(٢) ديوان النابغة الذبياني(ص٩٥).

(٣) انظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني (ص٢٧١).

(٤)هو الشيخ تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، المعروف بابن حِجة ولد في حماة سنة ٧٦٧هـ ، كان من أعلام القرن التاسع الهجري، وذكر أنه كان رئيس الأدباء وإمام أهل الأدب في عصره ، هو زجّال، وشاعر جيد الإنشاء، طويل النفس في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، فيه شيء من الزهو والإعجاب، له من المؤلفات ما دلت على سعة اطلاعه وغزارة إنتاجه، وطول باعه في النظم والتأليف ، توفي سنة ٨٣٧هـ ، مقدمة كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال- =

في تمكين القوافي، ولم يضف إليه شيئا .

واستشهد بأبيات المتنبي والتي سبق ذكرها عند ابن أبي الإصبع .

وبيَّن ابن حجة أن " أكثر فواصل القرآن على هذه الصورة من التمكن ، والذي عقد البديعيون عليه الخناصر، قول أبي الطيب:

يامن يُعِزُّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقْهُمْ   وِجْدَانُنَا كل شَيْءٍ بَعْدُكَمْ عَدَمُ[(١)]

ووافق النُّواجي(٨٥٩هـ)، ابن أبي الإصبع في تمكين القوافي ، واكتفى بترديد نصه لموافقته له ولرأيه ،كما أشار إلى ما ذكره ابن حجة الحموي الذي عقد عليه البديعيون الخناصر، وعلَّق النواجي على استشهاد ابن أبي الإصبع في بيت المتنبي قائلا: "فإذا علم السامع أن القصيدة ميمية ، وسمع لفظة (وجداننا) تحقق أن القافية (عدم) "[(٢)].

وذكر استشهاد ابن أبي الإصبع بقول النابغة، والذي عدّه أشد تمكينا في القافية عن غيره وقد سبق ذكر تلك الأبيات في رأي ابن أبي الإصبع .

" ثم أشاد النواجي بأبياته التي قالها في القاضي شهاب الدين بن الكشكش : (بحر الكامل)

نَشْكو إلَيْكَ مِنِ الزَّمَانِ فَإنَّه   أمسَى بأهْلِ الفَضْلِ يَمشي القَهْقرى

= بيروت، دار البحار- بيروت.

(١)ديوان المتنبي (ص ١٢٧).

(٢)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي(ص٤٧).

فَترَى الجهُول بِجهْلِهِ متقدِّما   وتَرَى العَلِيْمَ بعِلْمِه متأخِّرا[١].

وقال إن بديع المطابقة يقتضي أن يقابل الجهول بالعليم ، والمتقدم بالمتأخر ، فإذا سمع المتأدب النصف الأول وهو (فترى الجهول بجهله متقدما) تنبأ للنصف الثاني وهو(وترى العليم بعلمه متأخرا) " [٢].

وهذا من شدة تمكن القافية في البيت فنجد السامع لها يتمكن من إكمال البيت بنفس القافية، كما استشهد النواجي بقول أبي نواس في تلطفه بتمكين القافية في قوله :

ما استَكمَلَ اللّذّاتِ إلاّ فتىً ... يشرَبُ ، والمردنداماه

هــذا يغنيــه ، وهــذا إذا ... نَــاوَلَهُ القَهْوَةَ حَيـاهُ

وكُلّـــما احتـــاج إلى قُبلَــةٍ ... مِنْ واحِــدٍ أَلْثَمَـهُ فاهُ

شكرًا لدهـر بت فيهِ لهـمْ ... مُعاشراً ، ما كانَ أهنـاه

نَشرَبُهـا صِرْفاً ، وممزوجة.. وشَرْطُنـا مَنْ نـامَ نِلْنَـاهُ[٣]

فالسامع حينها يتنبأ بالكلمة الأخيرة من خلال قافية القصيدة[٤] .

ويرى د. بدوي طبانة " أنَّ كل شاعر قبل أن يشرع في نظم قصيدته يختار القوافي الملائمة والمستقرة في مكانها غير نافرة أو مستكرهة، وبألفاظ ومعانٍ

---

(١) ديوان شهاب الدين الكشكش (ص١٣).

(٢) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٤٦).

(٣)ديوان أبي نواس (ص ١٦٢).

(٤) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٤٧).

تناسب ذوقه وموضوعه حتى تطاوعه "[١] .

وذكر ابن أبي الإصبع من التمكن ما جاء في فواصل القرآن، ومنه قوله تعالى: " قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد " فإن هذه الآية الكريمة؛ لما تقدم فيها ذكر العبادة والتصرف في الأموال فذكرت العبادة والتصرف بالأموال في الآية؛ تمهيدا للحلم والرشد [٢].

كما ذكر ابن حجة الحموي من تمكن القافية أن منشد البيت في الشعر، إذا سكت دون القافية، كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها. وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة [٣].

وأيد النواجي ابن حجة في رأيه، وقوله عن فواصل القرآن، ولم يضف إليه .

" وقد ذكر محمد بن أيدمر أنه ينبغي على الشاعر المجيد إذا اعتمد بناء قصيدة أنْ يتخير لها من القوافي أسهلها لفظاً، وأوضحها معنى ، وينفي الجافي عنها ، ويميز القلق منها ، ويسوق البيت إلى القافية سوقاً موافقاً حتى يكون ردفه وطبقه؛ فإذا أتى بذلك، وقعت القافية مستقرة غير قلقة ، ولا نافرة حتى لو أراد مُرِيدٌ تبديلها بغيرها لم يستطع ذلك"[٤] .

" ومن أحسن القوافي المستقرة قول زهير : (بحر الطويل)

---

(١) انظر – قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، د. بدوي طباتة . (ص٣٧).

(٢) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٢٢٤).

(٣) انظر: خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (٤٤٦/٢).

(٤) مقدمة كتاب الدّر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر (ص٢٨٧).

وَأعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ وَالأمْسِ قَبْلَهُ   وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي[١]

(عَمِ) وهو الأصح . فقولة (عَمِ) واقعاً موقعاً لطيفاً. "[٢] .

كذلك قول مجنون بني عامر : (بحر الطويل)

خليليّ لا واللهِ لا أملكُ الذي ... قضى اللهُ في ليلى ولا ما قَضَى لِيَا [٣] .

" والفاصلة القرآنية هي تلك النهاية أو الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن ، ولعلها مأخوذة من قوله تعالى ﴿ كتابٌ فُصِّلتْ آياتُهُ قُرْآناً عربيَّاً لقومٍ يعْلَمُون ﴾[٤].

وربما سميت بذلك ؛ لأن بها يتم المعنى ، ويزداد وضوحه جلاء وقوة ، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان ." [٥].

ويظهر من خلال التعريف السابق للفاصلة في القرآن ، أنَّها تحمل نفس مكانة القافية في البيت الشعري " فالقافية عنصرٌ متميز في البيت ،والفاصلة عنصر متميز في الآية ولكنها – كالقافية – تبقى جزءاً أصيلاً من الآية ، غير منفصلٌ عنها " [٦] .

والقرآن الكريم ينتهي بفواصل منسجمة بعضها مع بعض مثل :(تعلمون- تؤمنون- تتقون) وقد اعتنى القرآن بهذا الانسجام عناية واضحة لما في ذلك من

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص ٥).
(٢) مقدمة كتاب الدّر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر (ص٢٨٧) .
(٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، باب مجنون بني عامر (٢٦٥/١).
(٤) فصلت ، الآية: ٣.
(٥) من بلاغة القرآن(ص٦٤) .د. أحمد أحمد بدوي . نهضة مصر للطباعة والنشر –القاهرة-١٩٥٠م.
(٦)التعبير الفني في القرآن الكريم . (ص٢٠٩) د. بكري شيخ أمين . دار العلم للملايين . بيروت – ط٧- ٢٠٠٤-

التأثير على السمع ووقع الأثر في النفس(١) .

فمثلاً في قوله تعالى " قالوا ءامنا بربِّ العالمين،ربِّ موسى وهارون"(٢)

فقدَّم موسى على هارون؛ ليجعل نهاية الفاصلة هارون انسجاماً مع الفاصلة السابقة العالمين ، في حين أنه في موضع آخر يقدم هارون على موسى في قوله تعالى: " قالوا ءامنا بربِّ هارون وموسى"، فجعل موسى نهاية الفاصلة؛ لأنَّ الألف فيها هي التي تناسب فواصل الآيات في سورة طه " (٣).

وقد ذكر النقاد السابقون أن من علامة شدة تمكن القوافي من مكانها أننا نجد أن السامع يتنبأ بإكمالها في الشطر الآخر ، وهذا ما نلمسه في فواصل القرآن الكريم كذلك، من ذلك : " ما رُوي عن زيد بن ثابت أنه قال : أُملي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ (٤).

وهنا قال معاذ بن جبل : " فتبارك الله أحسن الخالقين "؛ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال: بها ختمت"(٥).

---

(١) انظر:التعبير القرآني (ص٢٢١)د. فاضل صالح السامرائي. دار عمار،عمان، الأردن، ط٦– ١٤٣٠هـ -

(٢) سورة الشعراء ، آية: ١٧-١٨.

(٣) انظر: التعبير القرآني، لفاضل السامرائي (ص٢٢١).

(٤) سورة المؤمنون ، آية: ١٢-١٤.

(٥)أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٥٦) وانظر: من بلاغة القرآن (ص٦٥)د. أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي المتوفى: ١٣٨٤هـ، نهضه مصر - القاهرة - ٢٠٠٥.

وقد يشتد التقارب في الفواصل ، حتى تتحد الفاصلتان في الوزن والقافية كما في قوله تعالى: " فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة "(١).

واختار الله ألفاظًا لكتابه الكريم مراعيًا فيها المعنى والسياق؛ فلما كان المعنى شريفًا تبعه اللفظ الشريف، وبهذا ارتقت ألفاظ القرآن الكريم عن الكلام العادي لتحتل مكانًا مرفوعًا متميزًا بحسن التماسك والانسجام.

واستأثرت القافية النصيب الأكبر من القصيدة العربية كيف لا؟!، وهي تبدو وكأنها " تاج الإيقاع الشعري، ولا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية ، بل هي جزء لا ينفصم عنه " (٢).

وتهذيب القافية ضرورة من ضرورات الشعر العربي أتى عليها بعض الشعراء، ولم يتحدث معظم من النقاد عنها ، وقد يكون ذلك لقناعاتهم أن تهذيب القافية ضرورة يجب الأخذ بها عند كل شاعر، أو لأن التهذيب أمرٌ مؤكدٌ يصير بطبيعة الحال عند اهتمام الشاعر بالقافية، أو قد يُعزى هذا الأمر لسليقة العرب، وتمكنهم من اللغة وفنونها؛ فهناك من الأمور التي قد يرونها ستأتي بطبيعة الحال، فلا يحتاج الأمر الإشارة إليها .

والعلامة النواجي(٨٥٩هـ) قد أشار إلى تهذيب القافية في كلامه قائلا : " وتهذيب القافية أن تكون سلسلة المخارج مألوفة ، فإن القوافي حوافر الشعر"(٣).

فتميز النواجي بتوضيحه لتهذيب القافية على أن تكون سهلة المخارج مألوفة مستساغة معللا ذلك بآراء من سبقوه كأسامة والقرطاجني، ووافقهم عليه من أن

---

(١) من بلاغة القرآن، د . أحمد أحمد بدوي . (ص٦٥)
(٢)القافية تاج الإيقاع الشعري . د/ أحمد كشك (ص٩) المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة . ١٤٠٥هـ.
(٣)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٢٩).

القوافي حوافر الشعر .

وكما ذُكِرَ سابقًا، أن هناك من الأمور التي عدّها الأوائل من ضرورات الشعر العربي الموجودة لدى كل شاعر، فلا داعي لذكرها والتفصيل فيها.

وشارك المعاصرون في الحديث عن تهذيب القافية ، فرأى د. بدوي طبانة " أن محاسن القوافي عند قدامة انحصرت في اثنتين :

- أن تكون عذبة الحروف ، سلسة المخارج .
- أن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة، ومثل قافيتها[(١)].

فاختلف رأي **الدكتور بدوي** عن **النواجي** في أنه جعل عذوبة الحروف وسلاسة المخارج من محاسن القوافي وصفاتها وليس من تهذيبها، وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا .

كما يرى **د. أحمد بدوي** أن عذوبة القافية وسلاسة مخرجها وموسيقيتها إنما هي من شروط جودة القافية كما جاء في كتابه قوله : " أن تكون عذّبة سلسة المخرج، موسيقية ،لا تختم بما يدل على رقة في مقام القوة والفحولة"[(٢)].

ورأى أن سلاسة المخرج وعذوبته من شروط جودة القافية .

وخلاصة القول في القافية أنها جسدت صوراً كثيرة في القصائد العربية؛

---

(١) انظر قدامة بن جعفر والنقد الأدبي (ص٢٣٥) ، د. بدوي طبانة ،ط٣،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

(٢)انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب (ص٣٤٦). د. أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر.

بسبب ذلك الانسجام والتمكن.

ولأن القصيدة العربية تنهض عليها فهي أصل فيها ومحرك لها ؛ فالواجب إنزالها في منازلها، وتحقيق التوازن بينها وبين معانيها، دون غصب أو إكراه؛ لتتمكن وتستقر وتطمئن فتعطي القصيدة من إيقاعها وإبداعها فتظهر القصيدة بثوب قشيب وإيقاع يصل أثره في نفس المتلقي وسمعه .

" والقافية قرار المعنى ، وهي الصوت الطبيعي الذي ينزل من الشعر منزلة الإشارة التي تصحب كلام المتكلم "(١).

(١) تاريخ آداب العرب(ص١٨) . مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي .

المبحث الثامن - قضية نثر المنظوم

نثر المنظوم من قضايا الشعر، والتي تناولها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

ونثر المنظوم نوع من أنواع السرقات، وهو من القضايا التي انتشرت منذ العصر الجاهلي ، وتعددت فيها المسميات لترجع كلها إلى السرقات ، والسرقات من أمهات القضايا التي أولاها النقاد عناية واهتماما .

وقد عُرِف نثر المنظوم في العصر الجاهلي تحت مسمى الانتحال، واشتهر به حماد الراوية، ثم جاء من يرى أنه لم يوجد شعر قط عند شاعر في تشبيه ، أو معنى غريب ، أو بديع مخترع ،إلا ويكون بين أمرين إما سارق للفظ كله أو بعضه ، أو استعان بمعناه وشارك فيه ، وهذا ما أكده به الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في مبحثٍ تناوله في كتابه الحيوان سماه بإغارة الشعراء على المعاني قال فيه: "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تامّ، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلّا وكلّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه. أو لعلّه أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطّ، وقال إنّه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بال الأوّل. هذا إذا قرّعوه به"(١).

فاتهم الجاحظ كلَّ مَنْ أخذ لفظاً أو معنىً من غيره يكون بين أمرين، إمَّا سارق ومدَّعٍ توارد الخواطر مع من سبقه ، أو سارقٌ منكرٌ سماع ما قاله من

(١)الحيوان،للجاحظ (١٤٩/٣).

قبله ، فهو في الحالتين سارق.

وخالف **ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)** الجاحظ ، بل وأنكر اقتصار العلم والشعر على أحد دون الآخر، بل جعله مشتركا بين الناس ، وأكد هذا في قوله :" ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا فى عصره، وكلّ شرف خارجيّة فى أوّله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدّون محدثين. وكان **أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ)**[١] يقول:

لقد كثر هذا المحدث وحسن؛ حتّى لقد هممت بروايته.

ثمّ صار هؤلاء قدماء عندنا، ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمىّ والعتّابىّ والحسن بن هانىء وأشباههم. فكلّ من أتى بحسن من قول أوفعل ذكرناه (له) ، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخّر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه. كما أنّ الرّدىء إذا ورد علينا للمتقدّم أو الشريف لم يرفعه عندنا، شرف صاحبه ولا تقدّمه"[٢] .

فحاصل كلامه أن العلم والشعر لم يقيده الله بزمن ولا قوم، وإنما جعله مشاعا بين الناس ، وكل قديم حديثٌ في عصره ، وكأن ابن قتيبة يخرج من أخذ من غيره شيئا من علم أو شعر من دائرة الاتهام التي نسبها الجاحظ إلى دائرة الفن؛ حيث يأخذ الشاعر المعنى فيزيد عليه أو ينقصه .[٣].

(١)زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة.ولدسنة: (٧٠هـ) بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة: (١٥٤هـ)انظر: وفيات الأعيان: (١/ ٣٨٦).

(٢)الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص٦٤).

(٣)النقد الأدبي في العصر المملوكي، لعبده قلقيلة (ص٣٧٠).

كما وافق **ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ)** رأي ابن قتيبة، بل وزاد عليه فضل الإحسان واللطف لمن أخذ ، فأشار إلى أن الشاعر إذا أخذ المعنى الذي سبق إليه وبرع فيه ، كان له فضل الإحسان واللطف ، وأكد هذا في كلامه :" وإذَا تَنَاوَلَ الشَّاعِرُ المَعَانِي الَّتِي سُبِقَ إليهَا فأبْرَزَهَا فِي أحْسَنَ من الكِسْوَة الَّتِي عَلَيْهَا لَمْ يُعبْ، بل وَجَبَ لَهُ فَضْلُ لُطْفِهِ وإحْسَانِهِ فِيهِ" (١).

كقَوْلِ أبي نُوَاس: (بحر الطويل)

وإنْ جَرَتِ الألْفَاظُ مِنَّا بِمدْحَةٍ ... لغَيْرِكَ إنْسَاناً فأنْتَ الَّذِي نَعْني(٢)

أخَذَه من الأحْوص(٣) حَيْثُ يَقُول: (بحر الطويل)

مَتَى مَا أقُلْ فِي آخر الدَّهْر مِدْحَةً ... فَمَا هِيَ إلاَّ لابِن لَيْلَى المُكَرَّم(٤)

كما يوصي بلطف الحيلة ودقة النظر لمن أخذ من غيره؛ ليتمكن من تغيير المعاني حتى تخفى على أصحابها، وأهل البصيرة بها.

وذكر هذا في كلامه، وأكد عليه بقوله: "ويَحتَاجُ من سَلكَ هَذِه السَّبيل إلَى إلطَافِ الحِيلة، وتَدْقيق النَّظر فِي تنَاول المَعَاني واستعَارتها وتَلْبيسِها حتَّى تَخْفَى على نُقَّادِهَا والبَصراءِ بهَا، ويَنْفَرد بِشُهرَتِهَا كأنَّهُ غَيُرُ مَسْبُوقٍ إلَيْهَا؛ فيَسْتْعْمِلُ المَعَاني المَأخُوذَةَ فِي غَيْر الجِنْسِ الَّذِي تَنَاولَهَا مِنهُ، فَإذا وَجَدَ مَعْنىً لطيفاً فِي تَشْبيبٍ أَو غَزَلٍ استعْمَلَهُ فِي المَديح، وإنْ وَجَدَهُ فِي المَديحِ اسْتَعْمَلَهُ فِي الهِجَاءِ،

---

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا (ص١٢٣).

(٢) لم أجده في الديوان، ووجدته في عيار الشعر (١٢٣/١).

(٣) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري انظر: الشعر والشعراء (ص: ١١٣).

(٤) ديوان الأحوص (ص: ١٩٠).

وإنْ وجَدَهُ فِي وَصْفِ ناقَةٍ أَو فَرَسٍ اسْتَعْمَلَهُ فِي وَصْفِ الإنْسَان، وإنْ وَجَدَهُ فِي وَصْفِ إنسانٍ اسْتَعْمَلَهُ فِي وَصْفِ بَهِيمَةٍ، فإنَّ عَكَس المَعَاني على اختلافِ وُجُوهِها غير مُتَعَذِّرٍ على مَنْ أحْسَنَ عَكْسَها واستِعمالها فِي الأبوابِ الَّتِي يُحتَاجُ إِلَيْهَا، وَإِن وَجَد المَعْني اللَّطيفَ فِي المَنْثُورِ من الكَلاَم، وَفِي الخُطَب والرَّسَائِلِ والأمثال، فَتَناوَلَهُ وَجعله شِعْراً كانَ أَخْفَى وأحْسَنَ"(١).

وأشار إلى من سلك هذا الأمر أن يغير جنس القول الذي وجده عليه ، فلو وجده في تشبيب استعمله في مديح، وإن وجده في هجاء استعمله في غزل، وهكذا ولو استطاع أن يغير من النثر إلى الشعر أو العكس كان أفضل وأحسن .

وحاصل كلام **ابن طباطبا** أن أخذ المعاني والألفاظ ممن سبقوا لاتُعدُّ أي مشكلة عنده، بل يوصي بإخفاء ذلك الأخذ وتغييره؛ فمن أخذ لفظًا أو معنى لغيره لزمه التحايل والتدقيق في عرضها حتى تخفى على أهلها وذوي البصيرة بها ، فينفرد بشهرتها.

وشبه تغيير تلك الألفاظ والمعاني وإعادة صياغتهما بالصباغ الذي يصبغ الثوب بما يراه جميلا فيظهره في شكل يخالف الشكل الذي كان عليه من قبل ، ويذكر هذا في قوله : " ويَكُونُ ذَلِك كالصَّائِغِ الَّذِي يُذيبُ الذَّهَبَ والفِضَّةِ المَصُوغَيْنِ فَيُعِدُ صِيَاغَتَهُمَا بأحْسَنَ مِمَّا كَانَا عليهِ، وكالصَّباغِ الَّذِي يَصبَغُ الثَّوْبَ على مَا رَأى من الأصباغِ الحَسَنةِ؛ فَإذا أبْرَزَالصَّائِغُ مَا صَاغَهُ فِي غَيْرِ الهَيْئة الَّتِي عُهِدَ عَلَيْهَا "(٢) .

---

(١)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص١٢٦).

(٢)المصدر نفسه (ص١٢٧).

ويظهر من تشبيه ابن طباطبا الدقة المتناهية في الوصف؛ فعمل الصائغ ليس بالأمر السهل المستساغ، والصباغ كذلك يحتاج إلى الدقة والحرص في عمله ، فهذا تقريب وإشارة من ابن طباطبا إلى من أخذ معاني غيره وبدلها لزمه الحرص والانتباه في التغيير .

وخلاصة ما سبق من كلام ابن طباطبا يتضح أنه لا حجر على الشاعر في أخذ معانيه من أي مصدر مع تغييرها [١].

أما قدامة فلم يهتم بالسرقات كثيرا ، رغم اهتمامه بالمعاني ، واهتمام نقاد عصره بها، وغالب الظن أن المُحدِّثين التقوا مع القدماء في كثير من المعاني ، وقد وافق **القاضي الجرجاني(ت٣٩٢ هـ)** ابن طباطبا وابن قتيبة وقدامة ؛ حيث توسع في السرقات الشعرية.

ويقول **الجرجاني**في السرق : " والسَّرَق - أيدك الله - داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق، وما زال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد الذي صدّرنا بذكره الكلام، وإن تجاوزَ ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غيرُ اختلاف الألفاظ، ثم تسبّب المحدثون الى إخفائه بالنقل والقلب؛ وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلّفوا جبْرَ ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل؛ فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله." [٢]

---

(١)انظر: النقد الأدبي العربي القديم، لشوقي ضيف(ص٤٢٦).

(٢) الوساطة، للجرجاني (ص٢١٤).

و ادّعى جرير على الفرزدق السَّرَق فقال: (بحر الوافر)

سيعلمُ منْ يكونُ أبوه فينا ... ومن عُرِفت قصائدهُ اجتلابا(١)

وادّعى الفرزدق على جرير فقال: (بحر الكامل)

إنّ استراقَك يا جريرُ قصائدي ... مثل ادّعاك سوى أبيكَ تنقُّلُ(٢).

إذن فقد استعرض **الجرجاني** أمر السرقات مبينا أنه داء وعيب عرف قديما، ومازال مستمرا فيأخذ الشاعر معنى غيره ولفظه، ثم يغير اللفظ فيظهر وكأنه تواردٌ للخواطر ، وأما المحدثون فيقلبون ويغيرون في المعاني .

"وقسم الجرجاني السرقات الأدبية على نوعين : سرقات معنى، وسرقات ألفاظ ، وجعل سرقات المعاني ثلاثة أقسام هي :

أ- معانٍ مشتركة : لا يحكم فيها بالسرقة؛ لأنها أمور مقررة في النفوس ، ومتصورة للعقول ، يشترك فيها جميع الناس؛ " لأن هذا مما لا يختص بمعرفته قوم دون قوم ، ولا يحتاج في العلم به إلى رؤية واستنباط وتدبر وتأمل ، وإنما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس، والقضايا التي وضح العلم بها في القلوب " .

وهذا النوع من المعاني منتشر ومشاع بين الناس، فلا يختص به أحد عن غيره؛ لأنه شيء مسلم به لا يختلف عليه اثنان ، كتشبيه الحسن بالبدر وغيره .

---

(١) ديوان جرير (ص: ٥٩).

(٢)دواوين الشعر العربي (٣٩/ ١٧٣).

ب- معانٍ مخترعة: سبق المتقدم إليها : وفاز بها، لكنها تداولت بعده حتى صارت كالمشتركة في الجلاء والاستفاضة على ألسن الشعراء . وهذه كالأولى لا يحكم فيها بالسرقة، وإن كان الأصل فيها لمن سبق إليها وانفرد بها . والقول بعدم السرقة في هذين القسمين ليس على إطلاقه؛ إذ يصح فيهما الأخذ إذا أضيفت إليهما صنعة لفظ أو وصلا بزيادة معنى .

ج- معانٍ مختصة : وهي التي حازها المبتدئ فملكها، وأحياها السابق فاقتطعها لكنها لم تبتذل بالاستعمال، بحيث تحمي نفسه عن السرق، وتدفع عن صاحبها مذمة الأخذ، ولهذا كان المعتدي عليها مختلسا سارقا والمشارك فيها محتذيا تابعا "[١].

والنوع الثاني وهي المعاني المخترعة تصبح كالأولى؛ لكثرة تداولها بين الشعراء فتصبح مشاعة ، فلذا لم يحكم الجرجاني عليها بالسرقة، ولكن وضع قيدا لذلك وهو أن يضيف إليها الآخذ زيادة لفظ أو معنى .

والنوع الثالث وهذه تكون معانيَ مختصة اختص بها الشاعر المبتدئ وأحياها فملكها ، ولهذا كان أخذها سرقة، ومن أخذها فهو سارق .

وعلى الرغم من معرفة الجرجاني للسرقات وتفصيله لها فإنه يلتمس العذر في ذلك لأهل عصره ، والعصر الذي يليه معللا ذلك ؛ بأن من تقدم من الأوائل قد أتوا على كل المعاني، ولم يبقَ منها إلا ما ترك رغبة عنها ، واستهانةً بها، أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها، وتعذّر الوصول إليها[٢].

---

(١)النقد الأدبي في العصر المملوكي، لعبده قلقيلة (ص٣٧٠).

(٢) انظر: الوساطة، للجرجاني (ص٢١٤).

وهنا إشارة لطيفة منصفة من الجرجاني في عدم التسرع في الحكم على أحد بالسرقة .

وخاصة أن أمر السرقات يداخلها توارد الخواطر؛ حيث إن القدماء أتوا على أغلب المعاني. وأكد ذلك بقوله : " ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمّة؛ لأن من تقدّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها؛ وإنما يحصل على بقايا: إما أن تكونَ تُرِكت رغبةً عنها، واستهانةً بها، أو لبعدِ مطلَبها، واعتياص مرامها، وتعذّر الوصول إليها" (١).

وكأن الجرجاني يعيش إحساس من يجتهد، يعمل فكره، يتعب خاطره وذهنه من أجل تحصيل معنى يظن أنه أول من سبق إليه اختراعه ، ثم ما إن يقرأ في كتب الأدب حتى يجده أمامه بعينه، وكأنه نقله ولم يخترعه أو يكون مشابها له في حسنه ، فمن هنا حظر الجرجاني على نفسه الحكم على غيره بالسرقة. وجرى هذا على لسانه في قوله :

" ومتى أجهَد أحدُنا نفسَه، وأعمل فكرَه، وأتْعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنّه غريباً مبتدَعاً، ونظم بيتا يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخطِئه أن يجدَه بعينه، أو يجد له مثالاً يغضّ من حُسنِه؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بتّ الحكم على شاعر بالسرقة " (٢).

---

(١) المصدر نفسه (ص٢١٤).
(٢)المصدرنفسه.

وأشار الجرجاني إلى التلطف عند ادعاء السرق على أحد ،بلفظ معين نقله عن **أحمد بن أبي طاهر**(١)؛ ليكسب بهذا فضيلة الصدق، ويسلم من عواقب التسرع . فقال مبينا ذلك :

وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجّة البحتري لما ادّعى عليه السّرَق قوله : (بحر البسيط)

والشعرُ ظهر طريقٍ أنت راكبه ... فمنه مُنشَعِب أو غيرُ منشعِب

وربما ضمّ بين الرّكب منهجه ... وألصَق الطُّنُبَ العالي على الطُنُبِ (٢)

إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول: قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان، فقال كذا، فأغتنم به فضيلةَ الصدق، وأسلم من اقتحام التهوّر (٣).

وهنا لمسة تأدب مع العلماء ظهرت من الجرجاني والتي أومأ إليها في استشهاده بطريق خفي؛ حيث التزام الأدب مع العلماء وتقدير علمهم وتجنب اتهامهم والخطأ في حقهم؛ لأن سلوك الأدب جمال للحياة واحترام للآخرين.

ووافق **أبوهلال العسكري(ت٣٩٥هـ)** ابن طباطبا وابن قتيبة والجرجاني في الأخذ بالمعاني ، وصرح أنه لا غنى عن تناول المعاني من الأوائل شريطة

(١)هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني، أبو الفضل: مؤرخ، من الكتاب البلغاء الرواة، أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد، كان مؤدب أطفال.توفي سنة: (٢٨٠هـ). تاريخ بغداد (٤/ ٢١١).

(٢)الوساطة، للجرجاني (٢١٥/١).

(٣) المصدر نفسه (ص٢١٤).

أن يغيروا ألفاظها ويبرزوها في معان أخرى من تأليفهم ، فمن فعل ذلك ، كان أحق ممن سبقه إليها .

وجرى هذا على لسانه في قوله : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممّن تقدّمهم، والصبّ على قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم- إذا أخذوها- أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم، ويوردوها فى غير حليتها الأولى، ويزيدوها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها؛ ولولا أنّ القائل يؤدّى ما سمع لما كان فى طاقته أن يقول؛ وإنما ينطق الطّفل بعد استماعه من البالغين." [١]

وعلل ذلك بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لولا أن الكلام يعاد لنفد)[٢].

كما أشار إلى أن المعاني مشتركة بين أجناس الناس على اختلافهم ، وإنما التفاضل بينهم يكون في الألفاظ ونظمها والاعتناء بها ، وذكر ما سبقه إليه الجرجاني من توارد المعاني فقد يأتي المتأخر بمعنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يعرفه ، وأكد هذا الأمر حين جرى على نفسه توارد معانيه مع غيره في قوله : " على أن المعانى مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيّد للسوقىّ والنبطى والزّنجى، وإنما تتفاضل الناس فى الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها. وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدّم من غير أن يلمّ به، ولكن كما وقع للأوّل وقع للآخر. وهذا أمر عرفته من نفسى، فلست أمتري فيه، وذلك أنّى عملت شيئا في صفة النساء:

---

(١) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص١٩٦).
(٢)ذكره أبو هلال العسكري في الصناعتين (ص ١٩٦) ولم أجده في الكتب .

(سفرن بدورا وانتقبن أهلّة) وظننت أنى سبقت إلى جمع هذين التشبيهين فى نصف بيت، إلى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين؛ فكثر تعجّبى، وعزمت على ألّا أحكم على المتأخّر بالسّرق من المتقدّم حكما حتما"[١] .

وهنا وقفة مع أبي هلال العسكري فيها من الحس الإسلامي الذي لمُس من قبلُ مع الجرجاني في الاحتراز من الحكم على الآخرين بالسرقة .

ولم يعب أبو هلال العسكري تداول المعاني ، بل اتفق المتقدمون والمتأخرون على ذلك شريطة أن لا يأخذ اللفظ كله برمته، ولا يأخذه فيفسده ويقصر فيه . وجاء هذا في قوله :

" وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم؛ فليس على أحد فيه عيب إلّا إذا أخذه بلفظه كلّه، أو أخذه فأفسده، وقصّر فيه عمّن تقدمه، وربما أخذ الشاعر القول المشهورولم يبال ، كما فعل النابغة فإنه أخذ قول وهب بن الحارث بن زهرة:

تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ... تَجرِى عَلى الكَاس منْه الصّابُ والمقرُ[٢]

وقال النابغة : (بحر البسيط)

تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ ... لا النور نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ "[٣]

ووافق أبو هلال العسكري ابن طباطبا في إظهار صور إخفاء السرق بنظم المنثور وبنثر المنظوم، أو في تغيير أوجه الوصف من مديح لهجاء ومن

---

(١)المصدرنفسه (ص١٩٦).
(٢)المصدرنفسه (ص ١٩٧).
(٣)ديوان النابغة الذبياني (ص ٨٣).

وصف لغزل وهكذا وبيّن هذا أبو هلال العسكري حيث يقول: " وأحد أسباب إخفاء السّرق أن يأخذ معنى من نظم فيورده فى نثر، أو من نثر فيورده فى نظم، أو ينقل المعنى المستعمل فى صفة خمر فيجعله فى مديح، أو فى مديح فينقله إلى وصف"(١).

واستنادا لما سبق يُتمثل قول **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)** هنا، "وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل"(٢).

فيظهر **ابن رشيق** مدى اتساع هذا الباب وكثرة حالاته فلا يسلم أحد منه ، مبررا الأشياء الغامضة التي بداخله، وقد لا تغيب على البصير ولا يفقهها إلا الحاذق بالصناعة، وأشياء فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل .

وأطلق ابن رشيق مسميات على من سرق " وقال بعض الحذاق من المتأخرين: من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً، فإن غير بعض اللفظ كان سالخا، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه"(٣).

وذكر ابن رشيق أنَّ من أجلّ السرقات وأعظمها نظم المنثور ونثر المنظوم، وسبقه إلى في هذا ابن طباطبا و أبو هلال العسكري؛ حيث جعلهما أحد أسباب إخفاء السرق.

(١) كتاب الصناعتين ،لأبي هلال العسكري (ص: ١٩٨).
(٢)العمدة ، لابن رشيق (ص٢٨١).
(٣)المصدر نفسه .

ويقول **ابن رشيق:** " وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر، وهذه لمحة منه، قال أرسطاطا ليس يندبه:قد كان لهذا الشخص واعظًا وبليغًا، وما وعظ بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته"(١)، وقال أبو العتاهية في ذلك: (بحر (بحر الوافر)

وَكَانتْ فِي حَيَاتِك لِي عِظَات فَأنَّت اليَومَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا (٢)

فاستشهد على عكس الحل وهو العقد.

وفيما يبدوأن للسرقات أنواعا كثيرة وجب الانتباه لها والحذر منها وإرجاعها لأهلها الذين اخترعوها وابتدعوها وكانوا السابقين لها ، وضعا للأمور في نصابها ؛ فقد تمادى الكثير في السرقات فاختلط صاحب النص بسارقه .

وقد اعتمد باب السرقات على فن من فنون اللغة وهو التورية؛ فيخفي ما أراد إخفاؤه دون أن يشعر أحد بذلك . ورأى ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) هذا الرأي، وأكده في قوله : " والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب، وأظرف من عنقاء مغرب في الإغراب"(٣).

ويميل ابن الأثيرلقولٍ وافقه وأيده من أنَّ ليس لأحدٍ من المتأخرين فضل الاختراع أو الابتداع؛ لأنَّ كلَّ المعاني في اللغة العربية قد طرقت ، وهذا القول الذي أيده هو: "وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل أن يقول: إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعا، فإن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية، وإنه

(١) العمدة، لابن رشيق(٢٩٣/٢).
(٢) ديوان أبي العتاهية (ص٦٧٩).
(٣) المثل السائر، لابن الأثير (٢١٨/١).

لم يبق معنى من المعاني إلا وقد طرق مرارا"(١) .

فالشعر موجود منذ العصر الجاهلي وإلى هذا العصر هذا وما زالت مؤلفات كثيرة موجودة توارثها المتأخرون من الأوائل، وكان العلم وما زال متناقلا بين العصور بألفاظه ومعانيه.

واستنادا لما سبق فتوارد المعاني وابتداعها غير مقيدة بزمن دون آخر ، أو بقوم دون غيرهم ؛ لأن المعاني ثابتة لكل إنسان ، ومتى ما اشتعل وقدح لهيبها عملت وأبدعت ، وقد تتقارب تلك المعاني وقد تتماثل ؛ لأن الأوائل أتوا على كل المعاني واستغرقوها .

وهناك من المعاني ماقل وجوده وليس له مثيل ، فأخذه من أقبح السرقات. وهذا ما جاء به القرطاجني في كلامه وأدلته ، ووافق بذلك الجرجاني.

حيث قسَّم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) المعاني على ثلاثة أقسام :

القسم الأول - هي المعاني التي يقال فيها إنها كثرت وشاعت .

القسم الثاني - ما يقال فيه إنه قلّ أو هو إلى حيز القليل أقرب منه إلى حيز الكثير.

القسم الثالث - هو المعنى الذي يقال فيه أنه ندر وعدم نظيره .

ومن باب نثر المنظوم وهو ضد المنثور ماذكره محمد ن أيدمر(ت٧١٠هـ) في قوله:

قال سعيد بن حميد: (بحر الطويل)

---

(١)المصدرنفسه (٢١٩/٣).

أرَى أَلْسُنَ الشَّكْوى إلَيْـكَ كَلِيلةً وفِيهنَّ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ فُتُورُ
مُقِيما على العَتْبِ الذي ليس نَافِعًا فَلَيْسَ لَـــهُ إلاّ إليْـكَ مَصِيــرُ
وما أنْتَ إلا كَالزَّمَـــانِ تَلَـوَّنَتْ نوائبُ مِنْ أحْدَاثِهِ وأُمُورُ
وإنْ قلَّ إنْصَافُ الزَّمَانِ وعَدْلُهُ فَمَنْ ذا الذِي مِمّا جَنَاهُ يُجِيرُ[1].

فنثر منظوم هذا بعض الكتَّاب فقال:

"قد كلَّت ألسن الشكوى إليك وفترت عن حسن الثناء عليك لإقامتك على العتب الذي ليس بنافع مع علمك بأنه لا مَعْدِلَ لنا عنك، ولا منتصف لنا منك، فما أنت إلا كالزمان يقل إنصافه، وتتلون نوائبه، وأحداثه، ولا منه مغيب، ولا مما جناه مجير"[2].

وأما **ابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ)** فقد عرّف الحل والعقد، وفصل العقد كابن رشيق، وضرب عليه أمثلة فقال:

"العقد ضد الحل؛ لأن العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم. ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، ومتى أخذ بعض المنثور دون لفظه كان ذلك نوعًا من أنواع السرقات، ولا يسمى عقدًا إلا إذا أخذ الناظم المنثور برمته"[3].

---

(١) زهر الآداب، القيرواني (١٠٥٧/٤).
(٢) مقدمة كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر(٣٦٦).
(٣) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي(٤٨٩/٢).

وأدلى النواجي(ت٨٥٩هـ) بدلوه ، واكتفى بالإشارة إلى نثر المنظوم من السرقات فقال :

" وإذا نثرت منظوما فغيِّر قوافي شعره عن قرائن سجعه ، وإذا سرقت معنى فغيِّرالوزن القافية ليخفى ، وإذا حذت شعرا فزد على معناه وانقض من لفظه ، واحترز فيما يطعن به عليك ، فحينئذ تكون أحق به من قائله "(١) .

فيوصي النواجي الشاعر أولاً بتغيير قوافي الشعر عن قرائن السجع حتى يحل النظم ويصبح نثرا فتخفى سرقته بهذا العمل .

وثانيًا - إذا أخذ الشاعر شعرا فيوصيه النواجي بالزيادة على معناه وإسقاط لفظه. فإن فعل الشاعر ذلك فقد كان أحق بالقول من قائله .

وربما خص النواجي هذا النوع من السرقات بالذكر؛ لأنه من أجل وأعظم السرقات كما قال ابن رشيق:" وأحد أسباب إخفاء السرق". كما صرح بذلك ابن طباطبا وأبو هلال العسكري .

ومن السرقات المذمومة عند النواجي ما ذكره من أن الشيخ برهان الدين القيراطي قال : (بحر الكامل)

ولقد سَريتُ بِلِيْل أسود شعرها   وحمدت عند صباح مَبْسَمِها السَّراء(٢)

فأخذه ابن حجة وقال :

سِرْنَا وليل شعرهِ مُنسَدِلٌ   وقَدْ غَدَا بيومنَا مُضفرًا

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٤٥).

(٢)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (٢/ ٢٣٢).

فقال صبح ثغره مبتَسمًا   عندَ الصَّبَاح يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرا [١]

فجعل معنى البيت الواحد في بيتين كاملين ، وأبدل لفظه (سريت) بقوله (سرنا) وهي مخلة بالمعنى ، فإن مصدرها السير لا السرى ، والفرق بينهما أن السرى لا يكون إلا في الليل فهو أخص من السير ، ولهذا قال **ابن سناء الملك(ت٥٤٤هـ)** : (بحر الكامل)

ما زار إلا في نهار جَبينِه ... فأقُول سَارَ ولا أقولُ له سَرَى[٢]

يقول النواجي : والظاهر أن ابن حجة لم يهتد إلى ذلك، وإلا لتحاشى عن وضع أحدهما موضع الآخر[٣].

ومن الآراء النقدية التي أفتى بها النواجي في السرقات الشعرية ، أنه في حالة وجود سرقة أدبية بين متعاصرين مع عدم معرفة الآخذ من المأخوذ منه ، وكان أحد العصريين المتعاصرين متمكنا من فن الأدب، وله اليد الطولى فيه حكم على الآخر بأنه أخذه منه لاسيما إن دلت عليه قرائنه ، وهو مقتد في هذا بابن أبي الإصبع وابن حجة[٤] .

ومن خلال ذلك التتبع عند النقاد في السرقات وفي عصور مختلفة ومتسلسلة تخلص الدراسة إلى :

- أن قضية السرقات من أهم القضايا في النقد الأدبي ،وباب كبير متسع لا يمكن لأحد ادعاء السلامة منه .

(١)المصدر نفسه.
(٢) تصحيح التصحيف و تحرير التحريف (٦٤/١).
(٣) انظرالنقد الأدبي في العصر المملوكي، لعبده قلقيلة (ص٣٨٦).
(٤) المصدر نفسه (ص٣٨٦)

- اتفق جميع النقاد أن الأوائل أتوا على أغلب المعاني، ولم يتركوا شيئا منها ، وليس لأحد من المتأخرين فضل الاختراع أو الابتداع .

اختلفت آراء النقاد في إطلاق السرقة على من :

- ففريق اتهم كل من أخذ بلفظ أو معنى فهو سارق، وهذا يوافق رأي الجاحظ ووافقه ابن رشيق في ذلك .

- وفريق جعل الشعر مقسوما بين العباد فلم يقصره الله على أحد ، كابن قتيبة وقدامة .

- وفريق صرّح بأنه من أخذ من غيره شيئا فأبرزها في أحسن صورة ليست بسرق كابن طباطبا وأبي هلال العسكري مع تغيير الألفاظ .

وفي مقابل كل هذه السرقات ، فإنَّ هناك من أطلق على بعضها ابتداعًا للمعاني وليس سرقة ، وغالب الظن أن في ذلك جانبا كبيراً من الصحة ؛ فالقدماء قد أتوا على معظم المعاني واستغرقوها وسبقوا إليها ، والمحدثون تداولوا تلك المعاني وغيروها، فأضافوا عليها، واستحدثوا منها الجديد وابتكروا مالم يكن فيها آنذاك ، فصبغت بقالب انفرد به المحدثون وتميزوا بمعانيه وألفاظه ، وهذا ما أكده الجرجاني في قوله: " ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه الى المعذرة، وأبعد من المذمّة؛ لأن من تقدّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها؛ وإنما يحصل على بقايا إما أن تكونَ تُرِكت رغبةً عنها، واستهانةً بها، أو لبعدِ مطلَبه ."

فالأدب علم واسع من علوم العرب ، وهو ينبوع لا ينضب، بل يزداد تدفقه بتتابع أجياله وتمسكهم به ،فلا حرج من تناول خواطر سابقة ومطروقة ، ما دام أنها ستصاغ بقالب جديد وجميل؛ فالأديب فنان يشكل لوحته كما يريد في

رسمه وألوانه، ولابأس في استعانته بعناصر قديمة ، قد توحي له بأشياء تجعل من لوحته مزيجا من الأصالة والحضارة . والعبرة دائما بجمال الإخراج؛ فمنهم من يبدع فيبهر ويلفت أنظار من حوله ، ومنهم من يبعد أبعد ما يكون عن الشعر وصناعته ،فكما أن الإنسان قد اختلف في لونه وشكله وطبيعته كذلك هو الشاعر قد خالف غيره في فكره وأسلوبه ، وهذا ما يسمى بالشخصية التي ينفرد كل واحد بها عن الآخر، ويعرف ويتميز بها .

وخلاصة الخلاصة : غالب الظن - والله أعلم - أن من أخذ المعنى وكساه بحلية جديدة من الألفاظ وأبرزها في أحسن هيئة وصورة فلا تعدّ سرقة؛ لأن الأوائل أتوا على كل المعاني فلا جديد فيها.

المبحث التاسع - قضية براعة التخلص

إن قضية (براعة التخلص) من القضايا الشعرية التي تناولها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

التخليص في اللغة : التنجية من كل منْشَب ، نقول : خلصته من كذا تخليصا؛ أي نجيته تنجية فتخلص ، وتخلصه تخلصا كما يتخلص الغزل إذا التبس . وخلصته: أي ميزته من غيره(١) .

أما في الاصطلاح : " فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض ،من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا "(٢).

ويعدّ حسن التخلص ملمحا من ملامح الإبداع الشعري في النص ، وفنًا من الفنون البديعية التي لا تتأتى إلا لحذاق الشعراء ، لانتقال الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى ما يريد مختلسا في ذلك دون أن يشعر به أحد ، وهذا ما يسمى ببراعة التخلص.

وجرى على لسان الجاحظ(ت٢٥٥هـ) التخلص، وكأنه منبهٌ لصنعته قائلا: "واعلم أن التخلّص من نزوات الدرهم وتفلته والتحرز من سكر الغنى، وتقلبه شديد، فلو كان إذا تفلت كان حارسه صحيح العقل، سليم الجوارح، لردّه في

---

(١)لسان العرب ،[مادة خلص].

(٢)براعة الاستهلال والتخلص وحسن الختام غي شعر الخنساء . (ص ٣١) دراسة بلاغية. إعداد د. محمد رضا بن عبد الله الشخص ، جامعة الملك سعود، عمادة البحث العلمي. مركز بحوث كلية الآداب.

عقاله، ولشده بوثاقه. ولكنا وجدنا ضعفه عن ضبطه، بقدر قلقه في يده. ولا تغتّر بقولهم: (مال صامت) فإنه أنطق من كل خطيب، وأنمّ من كل نمّام. فلا تكترث بقولهم: «هذين الحجرين وتتوهم جمودهما وسكونهما، وقلة ظعنهما، وطول إقامتهما، فإن عملهما وهما ساكنان، ونقضهما للطبائع، وهما ثابتان، أكثر من صنيع السّم الناقع ، والسبع العادي. فإن كنت لا تكتفي بصنعة حتى تفقده، ولا تحتال فيه حتى تحتال له، فالقبر خير لك من الفقر، والسجن خير لك من الذل"[١].

كما دعا عند التأليف إلى التوسط في فنون الكلام، وأوضح مذهبه في الكلام بقوله: " فالقصد في ذلك تجنب السوقي والوحشي، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني. وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة، وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه»[٢] .

فالتوسط والاقتصاد عند التأليف وصية الجاحظ ، فنهى عن الانصراف من التأليف إلى التخلص والتهذيب؛ فهما مرحلتان تأتي بعد التأليف الذي أوصى فيه بتجنب الألفاظ الوحشية والسوقية ، واختيار الألفاظ الصحيحة واضحة المعاني بعيدة عن التعقيد .

وسمّي حسن التخلص بحسن الخروج ، وثعلب أول من لقبه هذا اللقب، قال: "حسن الخروج من بكاء الطلل ووصف الإبل وتحمل الأظعان وفراق الجيران بغير "دع ذا" "عد عن ذا" و"اذكر ذا"، بل من صدر إلى عجز لا

---

(١) البخلاء (ص٢٢٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك.

(٢)البيان والتبين، للجاحظ (١ /١٩).

يتعداه إلى سواه "[١].

وذكر أمثلة عليه في كتابه قواعد الشعر :

ختمها بقول ذي الرمة : (بحر البسيط)

حنَّتْ إلى نعمِ الدَّهنا فقلتُ لها ... أمّي هلالاً على التَّوفيقِ والرَّشَدِ [٢]

فالبيت فيه انتقال من وصف الناقة إلى المديح .، واشترط ثعلب أن يكون الخروج عن بكاء الطلل ، ووصف الإبل ، وتحمل الأظعان ، وفراق الجيران بغير (دع ذا) و(عدِّ عن ذا) و (اذكر ذا)، ، بل من صدر إلى عجز لا يتعداه إلى سواه ، ولا يقرنه بغيره .

و أورد **ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)**بعضا من محاسن الكلام والشعر ، ونفى الإحاطة بجميعها، ويرى أنه لا ينبغي لأي عالم ادعاء ذلك[٣].

و سار على نهج أستاذه ثعلب في اللقب (حسن الخروج) ، وعرفه بأنه حسن الخروج من معنى إلى معنى . . واستشهد له بقول الطائي : [٤] (بحر الكامل)

لا والذي هوَ عالمٌ أنَّ النوى...صَبِرٌ وأنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ [٥]

---

(١) قواعد الشعر (ص٥٦) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب المتوفى (٢٩١هـ) تحقيق: رمضان عبد التواب .

(٢) ديوان ذي الرمة (ص ٢٠٣).

(٣) البديع ،لابن المعتز، (ص٦٠).

(٤) المصدر نفسه (ص١٥٥).

(٥) لم أجده في ديوانه، البديع في البديع لابن المعتز (١٥٦/١).

وأولى **ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ)** التخلص عناية كبيرة، وخصَّه بباب سمَّاه التخلص وافق فيه ابن المعتز وأستاذه ثعلب ، وذكر له طرقا شتى سلكها المحدثون فيه ، وأورد في ذلك أمثلة عدة ، أما الأوائل فلهم في ذلك مذهب واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافي، وقطعها بسير الفيافي ، وحكاية ما عانوا في أسفارهم : إنَّا تجشَّمْنَا ذَلِك إِلَى فُلانٍ؛ يَعْنُونَ المَمْدوحَ .

وختم شواهده التي أوردها بقول أبي تمام : (بحر الكامل)

وَلَقَد بَلَوْنَ خَلائقي فَوَجدْنَنِي ... سَمْحَ اليَدَيْنِ بَبذْلِ وُدٍّ مُضْمَر

يُعْجَبنَ منِّي أنْ سَمَحْتُ بمُهْجتي ... وكذَاكَ أعْجَبُ من سَمَاحَةِ جَعْفَرِ [١]

وميَّز ابن طباطبا أحسن الشعر بخُرُوجُ الشَّاعرِ من كُلَّ مَعْنىً يضيفهُ إِلَى غَيرهِ من الْمعَانِي خُروجاً لطِيفاً، على مَا شَرَطناهُ فِي أوَّلِ الْكتاب، حَتَّى تَخْرُجَ القَصِيدةُ كأنَّها مُفْرغةُ إفْراغاً "[٢].

وأبدع الشعراء المحدثون في التخلص إلى المعاني التي أرادوها ولطفوا في صلة ما بعدها فصارت غير منقطعة عنها بخلاف القدماء الأوائل ، كان مذهبهم واحدا .

ومثال ذلك قول محمد بن وهيب[٣] في تَخَلُّصِهِ من وَصْفِ الدِّيارِ إِلَى

---

(١) ديوان أبي تمام (ص: ٨٦٦)

(٢)عيار الشعر، لابن طباطبا (ص٢١٣)

(٣)هو محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر،شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيع، وله مراث في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، وكن تياهاً شديد الزهاء بنفسه، عاصر دعبلا الخزاعي وأبا تمام، توفي سنة: (٢٢٥هـ). الأعلام (٧/ ١٣٤).

وَصْفِ شَوقِهِ: [١] (بحر الكامل)

طَللاَنِ طَالَ عَليهما الأمَدُ ... دَثَرَا فَلَا عِلْمٌ وَلَا نَضَدُ

لَبِسَا البِلَى فكأنَّمَا وَجَدَا ... بَعْدَ الأحِبَّةِ مثل مَا أجِدُ[٢]

وأشار إلى أهم ما يميز المحدثين وقصائدهم الحديثة عن الأوائل وقصائدهم القديمة ، وهو ارتباط عناصر بناء القصيدة الفني بعضها ببعض ، وتلاحم أبياتها ، فالوحدة الفنية ، قيمة فعالة وحيوية ترنو إلى تحقيق القيمة الجمالية للقصيدة ، فتبدو بنية القصيدة العربية متماسكة مرتبطة أجزاؤها ببعض:

" فالقصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب، أصبح في الجسم عاهة تسيء لمحاسنه، وتفسد معالم جماله ." [٣]

ويميل أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) برأيه إلى ابن المعتز وابن طباطبا في التخلص فقال : إنَّ العرب كانت في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت: (بحر الطويل)

فدَعْها، وسَل الهَمَّ عنكَ بجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إذا صامَ النَّهارُ وهَجَّرا [٤]

وسمَّاه بالخروج، وبيّن فيه أن الخروج المتصل بما قبله قليل في أشعار

(١) انظر: عيار الشعر، لابن طباطبا (ص١٨٨).

(٢) ديوان المعاني (ص ١١٤)

(٣) انظر مقدمة كتاب الدر الفريد، محمد بن أيدمر (ص١٨٥).

(٤) ديوان امرئ القيس (ص٥٦)

الأوائل ، أما المحدثين فقد أكثروا من هذا النوع ، ثم ذكر أمثلة على الأوائل والمحدثون [١].

و مثال الأوائل قول زهير : (بحر البسيط)

إِنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ول ... كِنَّ الجَوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ[٢]

أما مثال المحدثين قول البحتري : (بحر الوافر)

كأنّهَا، حِينَ لَجّتْ في تَدَفّقِهَا...يَدُ الخَليفَةِ لَمّا سَالَ وَادِيهَا
شَقَائِقُ يَحمِلْنَ النّدَى، فكأنّهُ...دُمُوعُ التّصَابي مِنْ خُدودِ الخَرَائِدِ
كأنّ يَدَ الفَتحِ بنِ خَاقَانَ أقْبَلَتْ...تَليهَا بتِلْكَ البَارِقَاتِ الرّوَاعِدِ [٣]

والتخلص من الأساليب الفنية البديعية التي تستعطف الحضور و تستميل قلوبهم ، لذا نجد الجرجاني قد أكد على هذا بقوله :

والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تستعْطِف أسماعَ الحضور، وتستميلهم الى الإصغاء، ولم تكن الأوائل تخصّها بفضْل مراعاة ، كما أشار إلى أن أبا تمام والمتنبي قد ذهبا في التخلص كلَّ مذهب، واهتمّا به كل اهتمام، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد، وأحسن وزاد[٤].

---

(١) انظركتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٤٥٤).
(٢) ديوان زهير (ص١٠٠) .
(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٦٦٦/٣).
(٤) انظر: الوساطة، للجرجاني (ص٤٨).

فأفرد الجرجاني التخلص بهذه الصفة، وانفرد بها عمن سبقه من النقاد ، ووافق ابن المعتز وابن طباطبا وأباهلال العسكري في أن الأوائل لم تخص التخلص بمزيد عناية .

ووافق **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)** أباهلال، وسمّى التخلص بالخروج، بل وزاد عليه في أنه خصص له بابا، وليس فصلا أسماه (باب المبدأ ،والخروج ، والنهاية)، وشبهه بالاستطراد فقال عنه: " وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به؛ لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه "(١) ، كقول حبيب في المدح: (بحر البسيط)

صبَّ الفراق علينا صبّ من كثبٍ ... عليه إسحاق يوم الرَّوع منتقما
سيفُ الإمام الذي سَمَّتْهُ هيبتُه ... لما تَخَرَّمَ أهلَ الأرضِ مُخْترِما(٢)

وأشاد ابن رشيق باهتمام أبي الطيب بالتخلص كالجرجاني في قوله :

" إن أكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب؛ فإنه ما يكاد يفلت له، ولا يشذ عنه "(٣).

وأشار كغيره إلى تخلص القدماء الأوائل، وكيف كان مذهبهم فيه، وقد سبق ذكر هذا عند من سبقه من النقاد في البحث، ولعله يكتفى هنا بذلك .

---

(١)العمدة، لابن رشيق(ص٢٣٤).
(٢)كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص ١٣٨).
(٣)العمدة ، لابن رشيق (ص٢٣٤)

ثم قال " ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوسلاً" [١]،وينشدون أبياتاً منها: (بحر الطويل)

إذا مَا اتَّقى الله الفَتَى وأطَاعَه ... فَلَيْسَ بِه بَأسٌ ولَو كَان من جُرم[٢]

وكأن ابن رشيق يضع تعريفا للتخلص في قوله :

" وأولى الشعر أن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره. ثم رجع إلى ما كان فيه" [٣].

كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر[٤]: (بحر الطويل)

فكَفْكَفْتُ منّي عَبرَةً فَرَدَدْتُها . . . على النَّحْرِ ، منها مستهلّ ودامعُ
على حينَ عاتبْتُ المشيبَ على الصِّبَا . . . وقلتُ : أَلَمَّا أَصْحُ والشيبُ وَازِعُ

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال: (بحر الطويل)

وقَدْ حالَ هَمٌّ دُونَ ذلكَ شاغِلٌ ... وُلُوجَ الشّغاف تَبْتَغِيهِ الأَصابعُ
وَعِيدُ أَبِي قابُوسَ في غَيْرِ كُنْهِهِ ... أَتانِي، ودُونِي راكِسٌ فالضَّواجعُ [٥]

---

(١)المصدرنفسه .
(٢) العمدة، لابن رشيق (ص: ١٢١).
(٣) المصدر نفسه (٢٣٧/١).
(٤) هوالنعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس: من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية،كان داهية مقداما،وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي. توفي(نحو ١٥ ق هـ). الأعلام (٨/ ٤٣).
(٥) ديوان النابغة الذبياني (ص ٥٧).

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال: (بحر الطويل)

فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ... مِنَ الرُقشِ في أَنيابِها السُمُّ ناقِعُ
يُسَهَّدُ مِن لَيلِ التَمامِ سَليمُها... لِحَليِ النِساءِ في يَدَيهِ قَعاقِعُ
تَناذَرَها الراقونَ مِن سوءِ سُمِّها... تُطَلِّقُهُ طَورًا وَطَورًا تُراجِعُ
أَتاني أَبَيتَ اللعنَ أَنَّكَ لُمتَني ....وَتِلكَ الَّتي تَستَكُّ مِنها المَسامِعُ(١)

فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه ما شاء، ثم تخلص إلى الاعتذار الذي كان فيه فقال:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستك منها المسامع

إذن انفرد ابن رشيق عمن سبقه هنا في تشبيهه التخلص بالاستطراد ووافق أباهلال في تسميته بالخروج .

وها هو ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ) يؤكد كلام من سبقه في مدح تخلص المحدثين دون الأوائل، ويشارك في التخلص بهذا المسمى، وبآخر وهو الخروج فيقول فيه:

" ومن الصحة: صحة النسق والنظم وهو أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه، ومن هذا الباب خروج الشعراء من النسيب إلى المدح؛ فإن المحدثين أجادوا التخلص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقاً بكلامهم في المدح لا ينقطع عنه، فأما العرب المتقدمون فلم يكونوا يسلكون هذه الطريقة، وإنما كان أكثر خروجهم من النسيب إما منقطعاً وإما مبنياً على وصف الإبل التي ساروا إلى الممدوح عليها، ومما يستحسن من خروج المحدثين قول أبي

(١)المصدر نفسه.

عبادة البحتري يصف الروض "[١] .

واستشهد بأبيات البحتري فيما يستحسن من خروج المحدثين، وقد سبق ذكرها عند أبي هلال العسكري . واتفق رأيه مع أبي هلال العسكري في أحسن الخروج عند العرب قول البحتري .

وتناول الخفاجي(ت٤٦٦هـ) التخلص بمقارنة بين المحدثين والمتقدمين، والذي أظهر فيه تميز المحدثين وبراعتهم عن الأوائل ، وكأنه أعاد ما ذكروه من قبله من النقاد ، فوافق بذلك من سبقه.

وجُمع بين المصطلحين ، التخلص والخروج في مسمى واحد ، وهذا عند **أسامة بن منقذ**(ت٥٨٤هـ) في كتابه فخصص بابا فيه سماه التخلص والخروج قال فيه: " اعلم أن التخلص والخروج يستحب أن يكون في بيت واحد، وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين، وأحسن الخروج في العرب قول زهير:

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ول ... كِنَّ الجَوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ[٢]

واتفق أسامة بن منقذ مع من سبقه الرأي في التخلص عند المحدثين والمتقدمين ، كما اتفق رأيه مع ابن سنان في أحسن الخروج عند العرب قول زهير.

ويميل أسامة بن منقذ في الرأي بقوله: " فالاستطراد قريب من التخلص " إلى رأي ابن رشيق حين قال التخلص شبيه بالاستطراد [٣].

(١) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص٢٦٨).

(٢) ديوان زهير (ص١٠٠) .

(٣) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ (ص٣٦).

والتخلص في الشعر مقيد بخلاف النثر؛ لذا كان على الشاعر أكثر صعوبة من الناثر؛ لذا يشق على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر ، واتصف الشاعر الذي يأتي بالتخلص بأنه من الحذاق المهرة؛ لأن مواضع الكلام يضيق عليه ، والتزامه بالوزن والقافية يقيده ، بعكس الناثر الذي يطلق عنانه حيث يشاء في كلامه ، وجاء بهذا ابن الأثير في قوله :

" أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه؛ إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه، من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته، وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث شاء، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر" (١).

واتفق ابن الأثير مع الجرجاني في وصفه للشاعر الذي يأتي بالتخلص من الحذاق المهرة، لكن اختلفا في التبرير؛ فالجرجاني يقول سبب ذلك؛ لأنه يستعطف أسماع الحضور، ويستميلهم إلى الإصغاء ، بينما ابن الأثير يبرر الحذاقة بأن الشاعر يكون مقيدا بقاقية ووزن فلا تواتيه حسب إرادته، لذلك كان حذقا ماهرا لعمل التخلص .

وأبان **ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)**- كغيره ممن سبقه - عن طريقة المحدثين في التخلص وتفننهم في الإتيان بذلك؛ لبراعتهم وتمكنهم منه .

" وأما المحدثون فإنهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا وأظهروا منه كل

---

(١)المثل السائر،لابن الأثير (١٢١/٣).

غريبة "[١]؛ فمن ذلك قول أبي تمام: (بحر البسيط)

يقُولُ في قُومَسٍ صَحْبي وَقدْ أَخَذَتْ ... مِنَّا السُّرَى وخُطَى المَهْرِيَّةِ القُودِ

أَمَطْلِعَ الشّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَؤُمَّ بنَا؟ ... فَقُلتُ: كلاّ، ولكنْ مَطْلِعَ الجُودِ [٢].

وعرّف يحي العلوي(ت٧٤٥هـ) التخلص في كتابه قائلا : " ومعناه فى ألسنة علماء البيان، أن يسرد الناظم والناثر كلامهما فى مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه، ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود، بينه وبين الأول علقة، ومناسبة، وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعا لقصيدته بالغزل، حتى إذا فرغ منه خرج إلى المدح على مخرج مناسب للأول، بينهما أعظم القرب والملاءمة بحيث يكون الكلام آخذا بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ فى قالب واحد "[٣].

وفاضل العلوي بين الناس بالتخلص؛ فعلى قدر التمكن في النظم والنثر يكون حسن التخلص ، وجاء هذا في كلامه قائلا: " يتفاضل الناس فى التخلص؛ فعلى قدر الاقتدار فى النظم والنثر يكون حسن التخلص، والتخلص فى النثر أسهل منه فى النظم؛ لأن الناظم يراعي القافية والوزن، فيكون فى ذلك صعوبة بخلاف الناثر، فإنه لا يراعى قافية ولا يحافظ على وزن، بل هو مطلق العنان يضع قدمه حيث شاء، فمن أجل ذلك كان أشق على الناظم منه على الناثر"[٤].

(١) المصدرنفسه (١٢١/٣).
(٢)ديوان أبي تمام (ص ٣٩٨).
(٣)الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي (٢ /١٧٣).
(٤)المصدر نفسه.

فوافق العلوي أسامة بن منقذ وابن الأثير حين أشار إلى أن عمل الناظم أو الشاعر أشق من عمل الناثر لالتزامه بالوزن والقافية .

و أورد أمثلة كثيرة منها :

قول أبو الطيب المتنبي يمدح الغيث بن علي بن بشر العجلي : (بحر البسيط)

مَرّتْ بنا بَينَ تِرْبَيْها فقُلتُ لَها...من أينَ جانَسَ هذا الشّادِنُ العَرَبَا

فاستَضْحَكَتْ ثمّ قالتْ كالمُغيثِ يُرَى...ليثَ الشَّرَى وهوَ من عِجْلٍ إذا انتسبَا[١]

وتناول ابن حجة الحموي(ت٧٣٨هـ) التخلص، ووافق فيه ابن طباطبا وابن الأثير؛ حيث عرّفه بقوله :

" هو أن يستطرد الشاعر المتمكن، من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل يختلس اختلاسًا رشيقًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد"[٢].

واستشهد ابن حجة على أحسن التخاليص لأبي تمام، ورأى أنها من التخاليص الفائقة قوله في قصيدة يمدح بها أحمد بن ماهويه : (بحر الكامل)

ومَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أتَيْتُها...ثَبْتَ الجَنانِ كأنّني لم آتِهَا

---

(١)شرح ديوان المتنبي (ص: ٨٠).

(٢)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (ص٣٣٠).

أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّما ... أَيْدي بَني عِمْرَانِ فِي جَبَهَاتِهَا(١)

ومن تخاليصه القبيحة قوله: (بحر البسيط)

عَلّ الأميرَ يَرَى ذُلّي فيَشْفَعَ لي...إلى التي تَركَتْني في الهَوَى مَثَلا(٢)

وسبب قبح هذا المخلص، كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته في الوصال، ولا خفاء في دنو هذه المرتبة، وقد سبقه أبو نواس إلى ذلك، ولكنه أقل شفاعة، مع أن الكل قبيح، حيث قال: (بحر الطويل)

سأشكُو إلى الفَضْلِ بنِ يحيَى بن خالدٍ...هَواكِ لَعَلَّ الفَضْلَ يَجْمَعُ بيْننا(٣)

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن الذريح حين طلّق لبنى وتزوَجت غيره؛ فندم على ذلك، وشبب بها في كل مغنى ، فرحمه ابن أبي عتيق وسعى في طلاقها من زوجها وأعادها إلى قيس؛ فقال يمدحه :

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يَجُازِي ... على الإحسان خيراً من صديق

فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً ... فما أَلْفَيْتُ كابنِ أبي عتيق

سعى في جمع شَمْلِي بعد صَدْعٍ ... ورَأْيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق

وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتْني حرارتُها بريقي(٤)

---

(١)الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (ص: ١٠٤).

(٢)ديوان المتنبي (ص ١٢٤).

(٣)ديوان أبي نواس (ص ٤٧٤).

(٤)الأغاني (٩/ ٢٥٣).

فلما سمعه ابن عتيق ، قال : يا حبيبي أمسك عن هذا المدح ، فما يسمعه أحد ، إلا ظنني قوادا "(١) .

كما أشار ابن حجة كغيره ممن سبقه إلى اهتمام المتأخرين بالتخلص وعنايتهم به دون الأوائل، وذكر أحسن تخلص في العرب وهو قول زهير، واستشهد به مَنْ قبله مِن النقاد فقال : " اعتنى به المتأخرون دون العرب، ومن جرى مجراهم من المخضرمين، ولكنه لم يفتهم.

واختلف ابن حجة عمن سبقه من النقاد في أنه نظر إلى تخلص القدماء كتميز؛ حيث تمكنوا من ذلك على قلة الاعتناء منهم به ، وكأنه يشير إلى أن كل فن برع فيه المحدثون قد أتى عليه القدماء من قبلهم، وإن لم يولوه عناية .

وأكد ذلك بقوله : " انظر إلى هذا العربي القديم، كيف أحسن التخلص من غير اعتناء، في بيت واحد، وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به " (٢).

فالأصل عنده أن كل فن من فنون اللغة لم يكن جديدا استحدثه المحدثون، بل قد جرى على ألسنة الأوائل قبلهم، وأكملوه، وبرع فيه المحدثون .

كما قال : " وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن، فإنهم ولاة هذا الشأن، لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف، ولا يرتكبون من فنون البديع إلا ما خلا من التعسف . " (٣)

---

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (ص٣٣٢).

(٢)المصدر نفسه.

(٣)المصدر نفسه.

وذكر النُّواجي(ت٨٥٩هـ) التخلص، ومال رأيه فيه إلى ابن حجة، وعرّفه بقوله : " وأما براعة المخلص – وسمَّاه بعضهم" حسن التخلص" فهو – أن يتخلص الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر ، يتعلق بممدوحه بمخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول ، إلا وقد وقع في الثاني؛ لشدة الممازجة والملاءمة بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، سواء كان المتخلص منه نسيبا أو غزلا ، أو فخرا، أو وصف روض ، أو وصف طلل بال ، أو ربع خال ، أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجو، أو وصف حرب ، أو غير ذلك"[١].

ووافق النواجي في نعت التخلص (بالبراعة) كابن أبي الأصبع.

وذكر أن أحسن التخلص ما كان من الغزل إلى المدح ، و استشهد بقول أبي الطيب المتنبي ، في ذلك .

" ولكن الأحسن أن يتخلص من الغزل إلى المدح . وأحسن ما سمعت في المخالص قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران بن ماهوية "[٢] : (بحر الكامل)

ومَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أتَيْتُها...ثَبْتَ الجَنانِ كأنّني لم آتِهَا

أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأنَّما ... أَيْدي بَني عِمْرَانِ فِي جَبَهَاتِهَا[٣]

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٥٩).

(٢)المصدر نفسه.

(٣)المثل السائر، لابن الأثير (١٢٥/٣).

وحذَّر النواجي من المخالص التي لا يراها مناسبة أو قبيحة، واستشهد عليها وذكر العلة في قبحها ، وعُرض هذا عند ابن حجة الذي سبقه إليها .

واختلط مصطلح (التخلص) بمصطلح آخر يطلق عليه (الاستطراد)؛ "فابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد، والحاتمي يسمي الخروج استطرادًا اتساعًا - كما يقول **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)**- وعلى أي حال فالاستطراد قريب من التخلص ،أما الاستطراد فقط ، فأشار إليه الجاحظ في بيانه، ولم يلقبه هذا اللقب ، وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيعن له آخر فيأتي به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغزاه، وقد أكثر المحدثون منه. [(١)]"

واستنادًا لما سبق فابن المعتز جعل حسن الخروج يعني التخلص والاستطراد ، كذلك الحاتمي يتفق معه في الاستطراد ، وعلل ابن المعتز جمعهما في حسن الخروج بأن الاستطراد قريب من التخلص.

وهذا على خلاف ما جاء به الجاحظ ، فقد أفرد الاستطراد بتعريف خاص به سبق ذكره، أما ابن رشيق فعرّف الاستطراد، وقال فيه : " وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء، وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً، والصواب ما بينته"[(٢)].

فيبدو من تعريف **ابن رشيق(ت٤٦٣هـ)**أن التخلص والاستطراد يكادان يتماثلان إلا أن الاستطراد يقطع وصف الشيء في حين أن التخلص يستمر في

---

(١)البديع في البديع، لابن المعتز (ص٣٥).
(٢)العمدة، لابن رشيق (ص ١٢٢).

ذلك الوصف ، والله أعلم .

وأضاف ابن رشيق أن أكثر الناس يسمون التخلص والخروج استطرادا .

أما ابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ) فقد عرّف الاستطراد لغة واصطلاحا ، ثم بين الفرق بين التخلص والاستطراد، وذكر أمثلة على ذلك .

" الاستطراد في اللغة : مصدر استطرد الفارس من قرنه في الحرب، وذلك أن يفر من بين يديه يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة، وفي الاصطلاح، أن تكون في غرض من أغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه، ثم تخرج منه إلى غيره؛ لمناسبة بينهما، ولابد من التصريح باسم المستطرد به، بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر، ثم ترجع إلى الأول وتقطع الكلام، فيكون المستطرد به آخر كلامك، وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص، فإن الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به، والأمران معدومان في المخلص، فإنه لا يرجع إلى الأول ولا يقطع الكلام، بل يستمر إلى ما يخلص إليه "(١).

ولعل من أوضح الأمثلة على الاستطراد قول السموأل بن غريض بن عاديا(٢) في لاميته المشهورة : (بحر الطويل)

---

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (١/ ١٠٢).

(٢)السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق، أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر، وفي علماء الأدب من ينسبها لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي، هو الذي أجار امرأ القيس الشاعر من الفرس.توفي سنة: (٦٤ ق. هـ). معجم المؤلفين (٤/ ٢٨٠).

وإنّا لَقَوْمٌ لا نَرى القتلَ سُبّةً ... إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ (١)

فانظر إلى خروجه الداخل في الافتخار إلى الهجو، وحسن عوده إلى ما كان عليه الافتخار بقوله: (بحر الطويل)

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجالَنا لنَا ... وَتَكْرَهُهُ آجالُهُم فَتَطُولُ
وَما مَاتَ مَنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ... وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ(٢)

وقد استطردالنواجي عند تناوله للقضايا النقدية في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر؛ حيث يتكلم في قضية ثم ينتقل إلى قضية أخرى ثم يرجع مرة أخرى إلى نفس القضية الأولى .

ويذكر البلاغيون ،أيضا (الاقتضاب) ، والذي قد شبهه بعضهم بالتخلص كذلك، وقد عرّفه **العلوي (ت٧٤٥هـ)** وفرق بينهما بقوله : " ويعني انتقال الشاعر من موضوع إلى غيره من مديح ، أوهجاء ، أوغير ذلك من أفانين الكلام لا يكون بين الأول والثاني ملاءمة ولا مناسبة ، بخلاف (التخلص) حيث يقطع الشاعر كلامه الذي هو بصدده ، ثم يستأنف كلاما آخر، وذلك كثير في شعر المتقدمين من العرب كامرئ القيس ، والنابغة ، وطرفة ولبيد"(٣).

ومن الأمثلة التي توضح الاقتضاب ما قاله أبو نواس في مدح محمد الأمين وقد انتقل فيها من وصف الخمرة إلى المديح من غير مناسبة تلائم بينهما ، ومنها قوله :(بحرالرمل)

فاسْقَني كأساً على عَذَلٍ ... كَرِهَتْ مَسْموعَهُ أُذُني

---

(١) لم أجده في ديوانه، نقد الشعر، قدامة بن جعفر (٧٤/١)
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي (١٨١/٢).

مِنْ كُمَيْتِ اللّوْنِ ، صافيَة ...خيرِ ما سَلْسَلْتَ في بَدَني
ما اسْتَقَرَّتْ في فؤاد فَتى ...فَدَرى ما لَوْعَةُ الحَزَنِ
مُزِجَتْ مِنْ صَوْبِ غاديَة ...حَمَلَتْها الرّيحُ من مُزُنِ
تَضْحَكُ الدّنيا إلى مَلِكٍ ...قامَ بالأحْكامِ والسّنَنِ(١)

ويبدو أن في البيت الأخير انقطاعاً للمعنى عما قبله ، حيث انتقل الشاعر من وصف الخمر للمديح ، ولا يوجد تناسب بين الغرضين ، وهذا هو الفاصل بين التخلص والاقتضاب ،وقد أشار إلى هذا الفرق ابن القيم الجوزية في قوله : "فالفرق بينه وبين الاقتضاب أن التخلص لا يكون إلا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه ، وأما الاقتضاب فليس شرط أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل ، يكون كلاما مستأنفا منقطعا عن الأول " (٢).

ولعل خلاصة الرأي في التخلص أن المحدثين قد برعوا فيه ، وأبدعوا في التنقل من معنى إلى آخر، بخلاف الأوائل ومن تبعهم من المخضرمين ؛ فقد كان مذهبهم قول أحدهم : دع ذا وسل الهم عن ذا ، موجودة عندهم قد لا يكون بقصد بقدر سليقتهم وطبعهم السليم الذي أعانهم في ذلك .

" لذا فقد اختص به المتأخرون لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع ،وتفننهم في أشعارهم "(٣) .

---

(١)لم أجده في ديوانه، ووجدته في المثل السائر (١٤١/٣) .

(٢)ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان (ص : ١٥٨-١٥٩). ، القاهرة :مكتبة المتنبي.

(٣)مقدمة كتاب الدر الفريد، لمحمد بن أيدمر (ص١٨٦).

إذن فالمحدثون من النقاد قد أولوا التخلص شديد عناية فأجادوا وأبدعوا بل وبرعوا فيه ، ففاق عملهم الأوائل من قبلهم .

المبحث العاشر- قضية التشبيه القبيح

قضية التشبيه القبيح هي من قضايا الشعر، وهي جزء من التشبيه الذي تناوله النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

جاء في لسان العرب : الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ.
وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله.

وشَبَّهه إياه وشَبَّهَه به مثله[١].

والتشبيه هو الرباط الذي يضم المعاني والصور بوشاح ظاهر، والبيئة التي عاشها العربي وسكنها كانت معينة له على ذلك التشبيه ، فالتصق بالطبيعة وعبَّر عنها بما يلمسه ويحسه. فكان التشبيه بتلك الصور التي يختلقها الشاعر والتي رسمها في ذهنه، ثم انتقاها وحوَّرها بألفاظ ومعانٍ وتشبيهات، جعلتها أقرب ما تكون إلى الحقيقة فتأثر بها وأثر فيمن حوله .

والتشبيه الذي نحن بصدد الدراسة ،هو تشبيه على وجه الخصوص، وهو التشبيه المكروه أو القبيح أو الرديء ، والذي يعرضه الشاعر بصور بديعية لكنها كريهة تنفر منها النفس وتنصرف عنها الطباع والأذواق السليمة لاستنكارها .

وهذا النوع من التشبيه تطرق إليه المؤلف وعرضه ضمن قضاياه .

ولم يقع البحث عليه عند جل النقاد، فتناولت الدراسة ما كان موافقا للتشبيه المطلوب.

---

(١) لسان العرب، مادة (شبه).

وبداية يرى أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) " أن التشبيه يقبح عند إخراج الظاهر فيه إلى الخافي، والمكشوف إلى المستور، والكبير إلى الصغير"[(١)]

فخروج التشبيه من المعنى الظاهر الواضح إلى المعنى الخافي ، ومن المعنى المكشوف إلى المعنى المستور، ومن الكبير إلى الصغير ، يُعدُّ تشبيها قبيحا عند أبي هلال ؛ لأنه على غير المعتاد، وضرب على ذلك مثالا قول ساعدة بن جؤية قوله :

كَسَاهَا رَطِيب الرِّيشِ فَاعْتَدَلَتْ لَهُ ... قَدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الظِّبَاءِ الْفَوَارِقِ [(٢)] .

فشبه ساعدة السهام بأعناق الظباء ، وليس بينهما شبه.

ويعلق أبو هلال بقوله : لو وصف الشاعر بالدقة لأصاب ، وكان أولى[(٣)] .

وذكر مثالا على التشبيه الرديء في اللفظ قول أوس بن حجر:

كأنَّ هرّاً جَنيباً تحتَ غِرزتِها ... والتفَّ ديكٌ برجليها وصيدينِ [(٤)]

ومن رديء التشبيه قول **ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)**:

أرَى لَيْلاً مِنَ الشَّعَرِ ... عَلَى شَمْسٍ مِنَ النَّاس [(٥)] .

الجمع بين الليل والناس رديء. وقد وقع هاهنا باردا. "[(٦)] .

---

(١) كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٢٥٩).

(٢) لم أجد ديوانه ووجدته في عيار الشعر، لابن طباطبا (ص: ٢٧) .

(٣) انظركتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري (ص٢٥٧).

(٤) ديوان أوس بن حجر (ص٤٢).

(٥) لم أجده في ديوانه ووجدته في الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٢٥٩) .

(٦)المصدر نفسه (ص٢٥٧).

وتناول ابن رشيق(ت٤٦٣هـ) هذا النوع من التشبيه ، ووافق فيه أبا هلال العسكري ، وقسمه على ضربين : تشبيه حسن، وتشبيه قبيح .

وعرّف التشبيه الحسن بقوله : هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً.

أما التشبيه القبيح فهو ما كان على خلاف ذلك ، وفسر ذلك أن المشاهد أوضح من الغائب ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد(١) .

ومُراد ابن رشيق واضح في ذكر أمثلته ؛ فما يخالف العادة والطبع ، ولا يلامس الذوق الصحيح تجد النفس تنفر منه ولا تستطيبه .

وقد عاب ابن رشيق على بعض شعراء عصره قوله :

صدْغهُ ضِدَّ خَدِّه مِثْل مَا الوعْ ... د إذَا مَا اعتبرَت ضِدَّ الوعِيْدِ(٢) .

فشبه الأوضح بالأغمض الوعد بالوعيد .

وكذلك قوله:

لَهُ غرّة كَلونِ وصَالٍ ... فَوقَهَا طرَّة كَلونِ صدودِ(٣).

---

(١) العمدة ،لابن رشيق (ص٢٨٧).
(٢)المصدر نفسه (١/ ٢٨٧).
(٣)المصدر نفسه (١/ ٢٨٧).

واستبشع قوم قول الشاعر يصف روضاً:

كأنَّ شقائقَ النعمانِ فيه . . . مُحَضَرة شقَائقُ مِن عَقِيق(١)

وإن كان تشبيهاً مصيباً فإن فيه بشاعة ذكر الدماء، ولو قال من العصفر أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الأنس" (٢).

وذكر ابن رشيق ما عابه الأصمعي على قول النابغة بين يدي الرشيد : (بحر الكامل)

نَظرَتْ إليْكَ بحَاجة لم تَقْضِها...نَظرَ السَّقيمِ إلى وجُوهِ العُوَّدِ (٣)

ولم يطعن ابن رشيق البيت بشيء بل مدح صاحبه إلا أنه أخذ عليه في تشبيهه للمحبوبة بالمريض.

وأيضا من ذلك قول أبي عون الكاتب: (بحر الطويل)

يُلاعبُها كَفّ المزاحِ محبةً لها وليجر- الآن – بَينهُما الأنْس

فَتزَيد من تيه عليه كَأنها عَزيزَة حذر قد تخبطها المسّ(٤).

فالتشبيه هنا مصيب، ولكن كيف تطيق النفس شرب زبد المصروع، وقد تخبطه الشيطان من المس؛ فالشبه غير طيب في النفس، ولا مستقر على

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (١/ ٣٩٨).
(٢)المصدر نفسه (ص٣٠٠).
(٣) ديوان النابغة الذبياني (ص ٩٢).
(٤) المصدر نفسه.

القلب.[١]

وإن أصاب الشاعر في اللفظ والأسلوب إلا أن الأثر في النفس معدوم؛ لأنه من الأمور التي لا تطيقها النفس فلا تتصورها، بل تنفر منها .

ووافق ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) أباهلال العسكري وابن رشيق في التشبيه القبيح ، واختلف عنهم في المسمى، وسمّاه بالمعيب، واستخدم القبيح في تعليقاته، وقال فيه: قد بيَّنا المحمود من أقسام التشبيه، والذي ينبغي اقتفاء أثره، واتباع مذهبه، فلنتبعه بضده، مما ينبغي اجتنابه، والإضراب عنه[٢] .

ثم ضرب مثالا على ذلك قوله : ومن أقبح ما سمعته من ذلك قول أبي تمام: (بحر الكامل)

وَتَقَاسَمَ النَّاسُ السَّخاءَ مُجَزَّأً ... وَذَهَبْتَ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ

وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الإِهَابَ وَمَا بَقَى ... مِنْ فَرْثِهِ وَعُروقِهِ وَعِظَامِهِ [٣].

فالقبح الفاحش في البيت الثاني كما قال ابن الأثير؛ فالشاعر هنا، كأن يقول: ذهبت بالحسن والأفضل، وتركت الأدنى للناس .

ووافق العلوي(٧٤٥هـ) أباهلال العسكري وابن رشيق وابن الأثير في هذا النوع من التشبيه، وسمّاه بالتشبيه القبيح ، وقسم التشبيه باعتبار حكمه إلى قبيح وحسن، وبدأ بابه بالقبيح مبررا ذلك لأجل قلته وندوره، وأكثرها جارٍعلى اللطافة والرقة ، وجعل التشبيه القبيح على وجهين؛ الوجه الأول :

---

(١) العمدة، لابن رشيق (٣٠١/١).

(٢) انظر: المثل السائر، لابن الأثير (ص١٢٢).

(٣) ديوان أبي تمام (ص٢٦٠).

ما كان مظهر الأداة من ذلك قول أبى نواس فى وصفه الخمر:

كأَنَّ يَوَاقيتاً رَواكِدُ حَوْلَها ... وزُرْقَ سَنَانِيرٍ تُدِيرُ عُيُونَها (١) .

ويعلّق العلوي على تشبيه أبي نواس بأن فيه بُعدًا وركاكة ونوعًا من الغثاثة والسخف والبشاعة في لفظه(٢) .

وأيضا مما أساء فيه من التشبيه قوله:

وإِذَا مَا المَاءُ وَاقَعَهَا ... أَظْهَرَتْ شَكْلاً مِنَ الْغَزَلِ
لُؤْلُؤَات يَنْحَدِرْنَ بِهَا ... كَانْحِدَارِ الذَّرِّ مِنْ جَبَلِ(٣)

فشبه حبب الخمر فى انحداره بنمل صغار ينحدرن من جبل .

كما أيد العلوي رأي ابن الأثير في تشبيه أبي تمام، وتقاسم الناس السخاء مجزأ....

واستنادا لما سبق نجد أن هناك من التشبيهات مايكون مصيبا لكنه شنيع وصوره رديئة ينفر منها كل ذي طبع وذوق سليم .

والنواجي حين تناول هذا النوع من التشبيه كأنه يرشد الشاعر المبتدئ إلى مراعاة الأدب واللياقة والذوق في التشبيه والوصف والتصوير .

وتناول النواجي التشبيه القبيح مظهرا كرهه وإنكاره لهذا التشبيه، ومدعما ذلك بأمثلة ومعلقا عليها، و وافق فيه أبا هلال العسكري وابن رشيق والعلوي.

---

(١) لم أجده في ديوان أبي نواس، ووجدته في المثل السائر لابن أثير (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: أسرار البلاغة، للعلوي(ص١٥٣).

(٣) لم أجده في ديوان أبي نواس، ووجدته في المثل السائر لابن أثير (١/ ١٤٥).

فحذَّر النواجي مبتدأ من أن يُطعن في صفات المحبوب عند تشبيهه بقول النابغة الذي عابه عليه الأصمعي بين يدي الرشيد قوله، وقد ذكر سابقًا.

وقال الأصمعي : " يكره تشبيه المحبوب بالمريض " (١) .

وأيّد النواجي الأصمعي في الكراهة للتشبيه. كما أيد ابن رشيق في استشهاده بقول النابغة، في الكراهية؛ ليؤكدوا جميعا، النهي عن ذلك الأسلوب الذي لايراعى فيه الأدب والذوق، وليجتنبوا تلك الأشعار التي جاءت بهذا التشبيه، ولينصرفوا عنها .

ومن هؤلاء الشعراء الحاجري الذي صور شق المرائر على خد محبوبته، والحلبي الذي صور شَعْرُ محبوبته، بالعقرب والثعبان .

فقال الحاجري (٢):

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتاً وإنَّما ... لكثرةِ ما شُقَّتْ عليهِ المَرائِرُ(٣) .

وقد مدح النواجي شعرالحاجري وقال: إنه بديعٌ إلا أنه أخذ عليه صورة التشبيه التي وضع فيها المحبوبة ، وهي بشاعة شق المرائر على خد المحبوبة ، حتى يصير مجزرًا ومسلخا "(٤) .

ويعلق النواجي على الصورة السابقة التي رسمها الحاجري للمحبوبة

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٦٢).

(٢)هو أبو يحيى أبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين الإربلي، المعروف بالحاجري الملقب حسام الدين؛ هو جندي، ومن أولاد الأجناد، وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة وفيه معانٍ جيدة وهو مشتمل على شعر الدوبيت والموالية. شذرات الذهب (٥/ ١٥٧).

(٣)معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٤٤٦).

(٤)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٦٢).

بقوله: " إنّ بعضهم لم يكتفِ بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء " فقال :

وما احمرَّ ذاكَ الخدّ واخْضرَّ فَوقَهُ عذارك ، إلا مِن دمٍ ومَرائِرُ [(١)]

فالحاجري صور خد المحبوبة بشق للمرائر، وأما الآخر فجعل الدماء تسير عليها. فكره النواجي هذا النوع من التشبيه وهذه الصورة التي وضع الشاعر فيها محبوبه ، والكراهية للأمر لاستبشاع الصورة التي يصورها الشاعر وإن كان قد وصل بأسلوبه إلى البديعية إلا أن النفس تنفر منها والطبع ينبذها لعدم موافقتهما .

كذلك ذكر تشبيه الشَّعْر بالثعبان أو بالحية ، وقال النواجي : " وتشبيه الصدغ بالعقرب وهو واقع في كلامهم ، كقول الحلي في مطلع قصيدته : (بحر الكامل)

دَبَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ في خَدِّهِ... وسعى على الأردافِ أرقمُ جعدهِ[(٢)] .

ثم قال وما كفاه حتى قال بعده :

وبَدا مُحَيّاه، فَوّقَ لَحظُهُ...نبلاً يذودُ بشوكه عن ورد [(٣)] .

فبيّن النواجي في البيت الأول كراهيته لتشبيه الشَّعْر بالثعبان أو الحية ، وتشبيه الصدغ بالعقرب ، وفي البيت الثاني أظهر تقبله للنبل في حدقة العين، ولكن أنكر على الشاعر لذكره للشوك [(٤)].

---

(١) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (٣٩٩/١).

(٢)ديوان صفي الدين الحلي (ص: ٢٠٣)

(٣)ديوان صفي الدين الحلي (ص ٢٠٣).

(٤)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي(ص٦٣).

لقد أظهرت تلك الصور بشاعة التشبيه وبعده، وقد يتساءل أحدهم هل يصور الشاعر تلك الصور في ذلك التشبيه؛ ليمارس تمكنه في تطويع الألفاظ والمعاني كيفما يشاء، أو لأنه أراد بالفعل إظهار هذا التشبيه بتلك الصورة فيعكس بذلك لمن حوله ملمحا من ملامح شخصه .

وقد أنكر النواجي تشبيه الشاعر للمحبوب بالصنم ، وذكر أنه كثير في كلامهم؛ حتى أنه وقع للشيخ جمال الدين بن نباتة مرارا .

وتعقيبا على كلام النواجي في أنَّ أقبح تشبيه هو تشبيه المحبوب بالصنم؛ فقد يردُ سؤالاً كيف يصور الشاعر الكائن الحي بحجر أو تمثالٍ، وإن صوره بذلك، فماذا يجد فيه من صور تشبيهية ليقل شعرا فما نطقوا الشعر عليه إلا ليصفوه في ملامحه أو كلامه أوحركاته ، لكن عندما يجعلونه صنما فماذا سيجنون من صور بليغة ؟!

إذن فهو تشبيه تحكمه الأهواء والتخيلات التي لا يقبلها فكر عاقل ، لذا وصفه النواجي بأنه أقبح تشبيه ، وقد يرجع ذلك إلى النزعة الدينية التي امتلكها النواجي .

ونبه النواجي الشاعر إلى " أن يتجافى عن الألفاظ المستهجنة التي يتحاشى العاشق عنها أن يقع منه في حق محبوبه "[(١)] .

وأقام النواجي مقارنة بين البيتين :

يقول الشاعر : (بحر الكامل)

---

(١) المصدر نفسه (ص٦٣).

ولَقَدْ هَمَمْتُ بقَتْلها مِنْ حبِّها كي ما تَكون خَصِيمَتي في المحْشَر [١].

وقال **السباط صدر الدين بن الوكيل** : (بحر البسيط)

يا سيِّدي إنْ جَرَى من مَدْمَعِي ودَمِي ... للعينِ والقلبِ مسفوحٌ ومَسْفُوكُ
لا تخْشَ من قَوَدٍ يُقْتَصُّ منكَ بهِ ... فالعينُ جارِيَةٌ والقَلْبُ مملوكُ [٢]

فالشاعر في البيت الأول من شدة عشقه لا يطيق فراق محبوبته في الدنيا ولا في الآخرة فأدّاهُ تصوره الفاسد إلى قتلها، وأنها بذلك تتعلق به في الآخرة ، وتخاصمه . فوقع فيما لا يليق[٣].

"فاشتركا القولين في وصف المحبوبة إلاَّ أن أولهما تجرد من الوصف اللائق به والثاني اشتمل عليه"[٤].

وسَلِمَ جمال الدين بن نباتة(٧٦٨هـ)[٥] بالإجادة وحسن السبك للمعاني في أحسن القوالب مما انتقد به من سبقه بقوله :

وطُولى مِنْ عَذَابي في هَواكِ عَسَى يطولُ في الحشْر إيقَافي وإيَّاك[٦]

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٢/ ٢٢١)القلقشندي- دار الكتب العلمية-بيروت.

(٢) لم أجده في ديوانه، خزانة الأدب ،لابن حجة الحموي (٢/ ٦٩)

(٣) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٦٤).

(٤) نظرية الإبداع الشعري عند النواجي، للبنداري(ص٨٩).

(٥)هومحمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين، شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. معجم المؤلفين (١١/ ٢٧٣).

(٦)ديوان ابن نباتة المصري (ص ٤٠٦ ١).

ويعلّق النواجي عليه بقوله : " فإنه تجافى عن قتل محبوبه بقوله: " وطولى من عذابي " كما هو عادة الأحباب مع المحبين، وبه يتعين بلوغ غرضه في الآخرة . فإنها إذا طولت عذابه صار الحق له ، فيلازمها في الآخرة ، ولا كذلك الأول . فإن الحق لها ، ومن الجائز أنها تعفو عنه ؛ لتستريح من رؤياه "(١).

إن تخيل الأمر الذي قصده الشاعر ليس مستساغا أو محببا؛ فالقتل أولا، أمر تخافه النفس ولا تبتغيه، بل تنفر من فاعله ، وثانيا، تخيل الشاعر وقوفه أمام محبوبته في المحشر لتخاصمه في قتلها فيلذ بالنظر إليها؛ فيهون - عنده - بعد ذلك كل عذاب ، أمر لا يتخيله العقل - وإن كان مسوغ للشاعر لقاءه بمن يحب – فلا يتقبله أيضا؛ لأنها صورة نسجها الشاعر من خياله دون أدنى اعتبار للمحشر ويومه، وما يكون عليه حال الناس آنذاك .

فحاصل الكلام أن صور هذا النوع من التشبيه تبقى بعيدة لا يتقبلها العقل، ولا ترتضيها النفس فهي لا تتسم بالأدب ولا المراعاة للوصف أو التصوير.

ومازال النواجي يحذر الشاعر في التصوير والوصف من وضع المعاني فيما لا يناسبها،"واحذر مما يطعن عليك في غير ذلك من الأغراض الشعرية"(٢).

واستشهد بقول الشاعر :

كأنَّ شقائقَ النعمانِ فيه . . . مُحَضَرة شقَائقُ مِن عَقِيق (٣) .

---

(١)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٦٥).

(٢) المصدر نفسه (ص٦٥).

(٣)المصدر نفسه (ص ٩٩).

فهو وإن كان تشبيها مصيبا ، إلا أن فيه بشاعة كثرة الدماء "(١)

ويبرر النواجي بقوله (وإن كان تشبيها مصيبا) سبب تحذيره للمتلقي بأن فيه بشاعة .

وقد سبق ابن رشيق النواجي إلى هذا، ووافقه النواجي في رأيه وأيده في أن التشبيه فيه بشاعة كثرة الدماء، وزاد عليه أن هذه الصورة تأبى الأنفس الكثيفة رؤيتها ، فضلا عن اللطيفة .

وأشنع من هذا ذكر النواجي **قول ابن النبيه(ت٦١٩هـ)** (٢) في وصف الخمر :

غدرا واقعها المزاج أما ترى   منديل عذرتها بكَفّ سُقاة (٣)

معلقا عليه بقوله : " فالتشبيه وإن كان من المعاني المخترعة ، إلا أنه في غاية البشاعة ، فكيف يسوغ شرب كأس حيا به ساق بيده منديل عذرة "(٤) .

إن استخدام الشاعر لمعانٍ مخترعة لا يبرر له استخدامها في تشبيهات بشعة تأباها النفس وتنفر منها؛ لرداءتها وقبحها .

وختم النواجي باستشهاد أبي عون الكاتب (يلاعبها كف المزاح محبة)، والذي ذكره ابن رشيق من قبل، ووافق رأي النواجي رأي ابن رشيق .

ومما سبق فإن هذا النوع من التشبيه تناوله العلامة النواجي؛ ليظهر جانبا

---

(١) المصدر نفسه (ص٦٥).

(٢)هو علي بن محمد بن الحسن بن يوسف، أبو الحسن، كما الدين بن النبيه: شاعر، منشئ، من أهل مصر. انظر: شذرات الذهب (٥/ ١٢٨).

(٣)ديوان ابن النبيه (ص ٢٣).

(٤)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٦٦).

من جوانب التشبيه القبيح والذي لم يلتفت إليه الكثير من النقاد ، كما حرص النواجي على تدعيم هذا التشبيه باستشهادات وأمثلة كثيرة تبين وتؤكد مدى قبح وكراهية تلك الصور ، وإن بدا بعض ذلك التشبيه بديعا، لكنه بشعٌ لا يتصوره العقل، ولا تطيقه النفس. وفي المقابل فكما بين النواجي هذا الجانب من القبح فإنه دعا إلى التأدب ومراعاة اللياقة في التشبيه والتصوير والوصف.

وجميع ما ذكره المؤلف عن هذا التشبيه وافق فيه ما ذكر عند النقاد.

وخلاصة ذلك أن النواجي دعا إلى التأدب في التصوير، والمراعاة في الوصف. وحذَّر من التشبيه القبيح والشنيع؛ لأنه يصف الصور بشعة قبيحة لا يتصورها العقل، وتأباها النفس، وينفر منها الطبع والذوق السليم .

وهذا النوع من التشبيه لمحة أضافها المؤلف في هذا المبحث إلى الشاعر المبتدئ ليعلم كيف يتأدب في التصوير والوصف ويراعي كلا منهما عند العمل عليهما . وليدرك الشاعر كيف يستطيع تطويع ألفاظه ومعانيه كما يريد .

وكما نبه النواجي من التشبيه القبيح؛ ففي المقابل دعا إلى المديح النبوي والتأدب في صوره ومراعاته ، وقال في هذا : " وينبغي للشاعر إذا أراد أن يأتي بمديح نبوي أن يحتشم فيه ، ويتبارى ويتحمس ، ويشبب بذكر (سلع) و (رامة) و (السفح) و (العتيق) و (العذيب) و (بارق) و (والنوير) و (لعلع) و (لبنى) و (أكفان) و (حاجر) "[(١)] .

فالشاعر حين يأتي بمديح نبوي فليحتشم فيه وليتأدب ، وليذكر في قصيدته تلك بعض ما ذكر من أماكن، لكونها تحمل رموزا لأماكن لها في النفس إجلال

---

(١)المصدر نفسه (ص٦٨).

واحترام .

ثم يكمل النواجي قوله : " ويطرح ذكر محاسن المرد ، والتغزل في ثقل الردف ، ورقة الخصر ، وبياض الساق ، وحمرة الخد ، وخضرة العذار . وما أشبه ذلك"(١).

فدعا الشاعر إلى طرح وتجنب الأمور أو الصفات التي قد تذهب اللياقة والتأدب مع المديح النبوي؛ لعدم مناسبة أسلوب التغزل بصفات المرأة مع المديح النبوي ، بل ويخرج عن الأدب والمألوف ، كما يجعل المتلقي يستنكر لهذا الأمر وتلك الصفات في مديح نبوي فينصرفون عن القصيدة .

وذكر النواجي مثالا على الغزل الذي لا يليق إيرادها في مديح نبوي قصيدة السري الرفاء؛ عندما مدح بها الفاطميين جدهم صلى الله عليه وسلم . وجرح القلوب بندبه الحسين - رضي الله عنه - فإنه قال فيها :

مَهْلاً فَمَا نَقَضُوا آثَارَ وَالِدِهِ وإنّمَا نَقَضُوا فِي قَتْلِهِ الدُّنيَا (٢)

فلا ينبغي أن يكون مطلع القصيدة، وهي تشتمل على مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وندبه الحسين أن تكون براعتها وبدايتها :

نَطوي اللّيالِيَ عِلْماً أَن سَتَطوِينا ... فشَعشِعِيها بماءِ المُزنِ واسقِينا (٣)

وما كفاه ذلك حتى قال :

وَ تَوِّجِي بكؤوسِ الراحِ أَيدينَا... فإنما خُلِقَتْ للرَّاحِ أَيدينا

---

(١) المصدرنفسه (ص٦٩) .
(٢) ديوان السري الرفاء (ص: ٨٨٢).
(٣) المصدر نفسه

قامت تَهُزُّ قَواماً ناعماً سَرَقت ... شَمائلَ البانِ من أَعطافِه لِينا

تَحُثُّ حمراءَ يَلقاها المِزاجُ كما ... أَلقيتَ فَوقَ جَنِيِّ الوَردِ نِسرينا

فلستُ أدري أَتَسقِينا وقد نَفحَت ..روائحُ المِسكِ منهاأو تُحيِّينا (١)

وختاما لهذا العرض يتضح أنه يجب التأدب والمراعاة في قصائد المدائح النبوية، وأن تطرح جميع أساليب التغزل بصفات النساء وما شابهها ، ولابأس من ذكر بعض الأماكن التي لها احترام وتقدير في ذهن الناس.

---

(١)المصدر نفسه.

الفصل الثاني

قضايا نقد النثر

وفيه مبحثين:

- المبحث الأول: قضية السجع.
- المبحث الثاني: قضية البلاغة والفصاحة.

المبحث الأول - قضية السجع.

إن قضية السجع هي القضية الأولى من قضايا النثر والتي تناولها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

لازم السّجع اللغة العربية منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاضر ، وهو محسن من المحسنات البديعية التي أضفت على اللغة العربية شيئا من التميز في لفت انتباه السامع وجذبه .

وجاء في لسان العرب : سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأَشبه بعضه بعضاً.

وقال ذو الرمة: (بحر الطويل)

قَطَعْتُ بها أَرْضاً تَرَى وَجْه رَكْبها إذا ما عَلَوْها، مُكْفَأً غَيْرَ ساجِعِ[١]

أَي جائراً غير قاصد.

والسجع الكلام المُقَفَّى ،والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع.

وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، قال ابن جني: " سمي سَجْعاً لاشتباه أَواخِره وتناسب فَواصِلِه"[٢].

(١) ديوان ذي الرمة (ص: ١٩٣)

(٢) لسان العرب، مادة [سجع].

وعدّ البلاغيون السجع من المحسنات اللفظية ، والتي يرمي إليه الكثير في كلامهم بقصد التحسين والتزيين .

ومن أبرز تعريفات السجع تعريف الجاحظ(ت٢٥٥هـ) له في قوله: " الكلام المزدوج على غير وزن "(١) ، وقد دافع عنه ضد من قالوا تحريمه، كما استحسنه إذا جاء مطبوعاً.

واختلف **المبرد(ت٢٨٦هـ)**(٢) عن الجاحظ بقوله : " السجع هو ائتلاف أواخر الكلام على نسق، كما تأتلف القوافي" (٣).

فالمبرد لم يقيد الكلام بالمزدوج كالجاحظ، وإنما حدد السجع اتفاق أواخر الكلام .

وحدّ ابن سنان(٤٦٦هـ) السجع بقوله: " تماثل الحروف في مقاطع الفصول "(٤).

والتماثل كالائتلاف فوافق ابن سنان المبرد بذلك .

---

(١)البيان والتبيين للجاحظ (١٥٨/١).

(٢)المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي أبو العباس الثمالي المبرد. حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر. وما رأى المبرد مثل نفسه. مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومئتين. تاريخ بغداد(٣٨٠/٣).

(٣)الكامل (٣٨٢/١)، لأبي العباس المبرد، علق عليه محمد أبوالفضل إبراهيم/ دار الفكر العربي القاهرة.

(٤) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص١٧١).

وبرز السجع عند ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) وعرفه قائلا : " السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد " (١).

ويقول ابن الأثير: " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أثر منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر" (٢)

ووافق العلوي(ت٧٤٥هـ) في تعريفه للسجع وتأييده في الرأي، ابن الأثير؛

وقال : " إن هذا النوع من علوم البلاغة كثير التّدوار، عظيم الاستعمال فى ألسنة البلغاء، ويقع فى الكلام المنثور، المنظوم الموزون فى الشعر، ومعناه فى ألسنة علماء البيان: «اتفاق الفواصل فى الكلام المنثور فى الحرف أو فى الوزن أو فى مجموعهما» " (٣)

واشتقاقه من قولهم: (سجعت الناقة) إذا مدت حنينها على جهة واحدة، ومنه سجع الحمامة إذا هدرت. "(٤)

كما عرّف **القلقشندي(ت٨٢١هـ)** (٥) السجع في اللغة بقوله : مشتق من الساجع: وهو المستقيم لاستقامته في الكلام، واستواء أوزانه، وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حدّ واحد، يقال منه سجعت الحمامة تسجع

---

(١) المثل السائر، لابن الأثير (٢١٠/١).
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الطراز للعلوي (١٢/٣).
(٤) المصدر نفسه (١٢/٢).
(٥)هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي : المؤرخ الأديب البحاثة. الضوءاللامع(٢/ ٨).

سجعا فهي ساجعة.

و سمّي السجع في الكلام بذلك؛ لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازية متماثلة، فأشبه ذلك الترجيع.

وأما في الاصطلاح، فقال : هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن ، وذكر نحوه في " المثل السائر" فقال: هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد(١).

كما اتفق القلقشندي مع الجاحظ في التعريف حين حدده من غير وزن .

ووافق العلوي في اشتقاق السجع من سجع الحمام .

وخصَّ ابن حجة باباً في كتابه سماه السجع، وابتدأه بهذا البيت :

سَجَعِي ومنتظمي قد أظهَرا حكمِي ... وصِرْت كَالعَلم في العربِ والعُجم(٢)

ثم عرّفه موافقا للقلقشندي والعلوي في سجع الحمام بقوله :

"السجع: مأخوذ من سجع الحمام"(٣) .

فالسجع في كلام العرب هو دعاء الحمامة.

وختام التعريفات للسجع بالعلامة النواجي(ت٨٥٩هـ)، والذي اكتفى بقوله

---

(١) انظرصبح الاعشى للقلقشندي (٣٠٢/٢)
(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة (٢/ ٤٣٢)
(٣) المصدرنفسه (٤١١/٢).

فيه أنه مأخوذ من سجع الحمام، وهو هديره[1] .

فوافق بذلك من سبقه بهذا الرأي كابن حجة والقلقشندي والعلوي في سجع الحمام، وزاد عليهم بتفسيره حين قال " وهو هديره " .

وتوقف النواجي على سجع الحمام في تعريفه؛ فمن المعروف أن سجع الحمام هو ترجيعه الصوت على حدّ واحد وهذا ما نجده في السجع، فاكتفى النواجي بسجع الحمام؛ لأنه أبلغ في بيان الأمر ووصول الفهم . فهو من تميز بالأسلوب السهل السائغ.

وخلاصة ما سبق بالجمع بين النقاد في تعريفاتهم ، من أن السجع :

ائتلاف الكلام وتماثل الحروف وتواطؤ الفواصل في الكلام المنثور .

واختلف العلماء هل يقولون في فواصل القرآن أسجاع أم لا ؟

ويجيز أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) لفظة السجع في فواصل القرآن ويقول: إنَّ جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء ، لما يجري مجراه من كلام الخلق ، ألا ترى قوله عز اسمه :

﴿والعَادِيَاتِ ضَبحًا* فالمُورِيَاتِ قَدحاً *فالمُغِيرَاتِ صُبحًا﴾[2]

وفصّل ابن سنان(ت٤٦٦هـ) في المسألة فقال : أما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل، ولم يسموها أسجاعاً، وفرقوا فقالوا: إن السجع هو

---

(١) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٧٥).
(٢) سورة العاديات : ١-٣.

الذي يقصد في نفسه، ثم يحمل المعنى عليه .

والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها .

والأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول .

والفواصل على ضربين؛ ضرب يكون سجعاً ، هو ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وضرب لا يكون سجعاً ، وهو لما تقابلت حروفه في المقاطع ، ولم تتماثل .

ولا يخلو كل من هذين القسمين ـ أعني التماثل والتقارب – من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً ، وتابعاً للمعاني ، وبالضد من ذلك؛ حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى . فإن كان من القسم الأول ، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . وإن كان من الثاني ، فهو مذموم مرفوض .

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم الأول المحمود؛ لعلوه في الفصاحة ، وقد وردت فواصل متماثلة ومتقاربة " والطور وكتاب مسطورٍ ، في رقٍّ منشور ، والبيت المعمور "[(١)]

أما ابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ) فقال: واختلف في السجع ، هل يقال في فواصل القرآن أسجاع أو لا؟؛ فمنهم من منعه؛ ومنهم من أجازه، والذي منع تمسك بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [(٢)]، فقال: قد سماه فواصل، وليس لنا أن نتجاوز ذلك[(٣)].

---

(١) انظر: سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص١٧٢).

(٢) سورة فصلت: الآية١٧٠.

(٣) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (٤١١/٢).

ورأى النواجي(ت٨٥٩هـ) رأي ابن حجة في هذا، وأيده وحرره، ولم يزد عليه .

وخلاصة الرأي أن سور القرآن والأحاديث النبوية ملئت بالسجع المحمود والغير متكلف وبما يناسب مقام كلام الله وسنة نبيه ، وإن تحرزنا في قولنا إن القرآن فيه سجع فهو من باب التأدب مع القرآن والسنة .

ويميل العلاّمة النواجي ومن قبله ابن حجة لرأي الممانعين في إطلاق السجع على القرآن وحجتهم في ذلك قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ فقالوا سماه الله فواصل. فالتزما بذلك تأدبا مع قول الله بقولهما " وليس لنا أن نتجاوز ذلك ". وبذلك يكونان قد اختلفا عن أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي.

والحديث عن فواصل القرآن هنا، لا تعدو أن تكون لمحة عرضت لبلوغ المراد في الرد على تساؤل المؤلف في اختلاف إطلاق مسمى السجع على فواصل القرآن أم لا.

والجاحظ(٢٥٥هـ) من أبرز النقاد الذين لا يتصنعون في كتابتهم ، وإذا ورد فيها شيء من السجع أو الصنعة البيانية، فإنما يرد عفو الخاطر دون أن يقصد إليه قصدا ، ويقول الجاحظ عن نفسه متأدبا بأدب طالب العلم، وهو عالم فذّ : " أستحي من الكتابة، وأستنكف بأن أنسب إليها في البلاغة، وأن أعرف بها في غير موضعها، ومن السجع أن يظهر مني، ومن الصنعة أن تعرف في كتبي، ومن العجب بكثير ما يكون مني "(١)

---

(١) انظر: الرسائل الأدبية، للجاحظ (٣٩/١).

وهناك من كره السجع وتركه ؛ لما فيه من تكلف في الألفاظ، وتصنع في الكلام ، وبعضهم استحسنه وعمل به؛ لاقتناعهم بجماله وتحسينه للكلام الذي يرد فيه ، ولولا ذلك لما ورد في كلام الله، والنبي صلى الله عليه وسلم(١) .

فظاهر الكلام انقسمت الآراء في السجع على مذهبين :

المذهب الأول - بيَّن العلوي(٧٤٥هـ) أن هناك من علماء أهل البيان من جوز استعمال السجع واستحسانه ، وحجتهم في ذلك أن كتاب الله والسنة النبوية مملوء بالسجع، وكلام البلغاء أيضا .

المذهب الثاني - هناك من علماء البيان من استكره السجع واستعماله ، وقد أرجع العلوي هذا الرأي إلى ابن الأثير(٦٣٧هـ)، وأنه هو من حكاه، ولم يعرف العلوي قائله ، ولم يجده في كتب البلاغة، وبين أن الشبهة في استكراهه ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، في حديثه عندما نهى عن سجع الكهان ، وكغيره العلوي أبدى رأيه، وبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم ينكر السجع مطلقا، وإنما أنكر سجعا مخصوصا، وهو سجع الكهان؛ لأن أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية، والأوهام الظنية، ولو لم يكن جائزا فى البلاغة؛ لما أتى عليه أفصح الكلام وهو التنزيل، ولما جاء فى كلام سيد البشر(٢).

ونسب ابن الأثير العجز وعدم التمكن من الإتيان بالسجع لمن سلك المذهب الثاني من الآراء؛ مبررا ذلك بحجة قوية، وهي وروده في أكثر سور القرآن ، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، ولم تخل منه سورة من السور(٣).

---

(١) انظر : سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص١٧١).

(٢) انظر: الطراز، للعلوي (١٣/٣).

(٣) انظر: المثل السائر، لابن الأثير (ص٢١٠).

منه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١).

أما مذهب الكراهة والترك فقد جعلوا حجتهم في ذلك، إنكار الرسول صلى الله عليه وسلم، على الرجل ، حين قال له : "أسجعًا كسجع الكهان" ؟ (٢).

وفي هذا رد ابن الأثير بقوله : " فإن قيل: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لبعضهم منكرًا عليه، وقد كلَّمه بكلام مسجوع: "أسجعًا كسجع الكهان"؟

ولولا أنَّ السجع مكروه لما أنكره النبي - صلى الله عليه وسلم؟

وفيما يبدو أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لو كره السجع مطلقًا لقال: أسجعًا؟، ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل على هذا الوجه، فلمَّا قال: "أسجعًا كسجع الكهان"، صار المعنى معلقًا على أمر، وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه.فعلم أنه إنما ذمّ من السجع ما كان مثل سجع الكهان، لا غير، وأنه لم يذمّ السجع على الإطلاق، وقد ورد في القرآن الكريم"(٣) .

وخلاصة الرأي في هذا أن نهي الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يكن مطلقا، بل كان مقيدا بإنكاره بالتشبيه؛ فالنهي كان عن سجع الكهان وليس السجع عامة؛ لأن القرآن الكريم احتوى على السجع وفي سور كثيرة.

وانضم ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) للمذهب الثاني في كراهيته للسجع والزهد فيه بقوله :

---

(١)سورة الأحزاب، آية: ٦٤.

(٢)أخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ١٠٩).

(٣)انظر: المثل السائر، لابن الأثير (ص٢١١)

" ولا تجعل كلامك مبنياً على السجع كله، فتظهر عليه الكلفة، ويبين فيه أثر المشقة، ويتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ النازل، وربما اشتد عيب كلمة المقطع رغبة في السجع، فجاءت نافرة من أخواتها، قلقة في مكانها، بل اصرف كل النظر إلى تجويد الألفاظ، وصحة المعاني، واجتهد في تقويم المباني، فإن جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد، وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان، وإن عز ذلك فاتركه وإن اختلفت أسجاعه، وتباينت في التقفية مقاطعه، فقد كان المتقدمون لا يحلفون بالسجع ولا يقصدونه بتة، إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام، واتفق عن غير قصد ولا اكتساب "(١).

فجعل ابن أبي الإصبع من السجع تكلفا ومشقة بل أن الكاتب قد يأتي باللفظ الساقط والكلمات النافرة من أجل تحقيقه وكما زعم أن المتقدمين لا يقصدونه ولا يأتون به البتة، إلا ما جاء من غير قصد ، وهذا كله يرجع إلى كراهيتهم له وانصرافهم عنه .

ومتى استخدم السجع بمقدار جيد، وبشكل لائق حلا منظره، وزهى نوره، ومتى خالف ذلك دخل في السجع المنهي عنه، وصار من سجع الكهنة والمستعربين، وهذا ما أدركه **أبوحيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)**(٢) أو حكى عنه وصفه للسجع، فقد ذهب فيه مذهب التوسط بين المذهبين فقال : " أن يكون السجع في الكلام كالملح في الطعام، فإنه متى ظفر منه بمقدار الرتبة، وحسب الكفاية، حلا منظره، وبهر بهاؤه، وسطع نوره، وانتشر ضياؤه، ومتى زاد على المقدار ضارع كلام النسأة والكهنة من العرب، أو كلام المستعربين من

---

(١)تحرير التحبير، لابن أبي الأصبع (ص٤١٥).

(٢)هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان: فيلسوف، متصوف معتزلي، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء. الأعلام (٤/ ٣٢٦)

العجم"(١).

كما تميز **أبوحيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ)** بأسلوب دقيق في تشبيهه للسجع، ووصفه الدقيق لعمله وأثره في الكلام، فجعل السجع كالملح في الطعام، والملح عنصر أساسي في الطعام، بل ويعطيه نكهة متميزة به، شريطة أن يكون بمقدار معين، ومتى زاد ذلك المقدار أو نقص ذهبت نكهته ، كذلك الحال في السجع متى كان معتدلا في الكلام أضفى جماله وزهت ألوانه ومتى زاد ذهب جل بهائه ، بل وصار من كلام الكهنة والنسأة ، لذا كان لزاما أن يكون السجع بمقدار معتدل في الكلام فيكون كالطراز في الثوب بمقدار يجمله ويكسبه تميزا وكالخال في الوجه حين ينفرد في العدد يخص الوجه بشكل، ويظهره بجمال منفرد ، وذكر أبوحيان صورا كثيرة في ذلك بقوله : " الذي يجب أن يعتمد من ذلك هو مقدار يجري مجرى الطراز من الثوب، والعلم من المطرف، والخال من الوجه، والعين من الإنسان، والسواد من الحدقة، والإشارة من الحركة، وقد علمت أنه متى كثرت الخيلان في الوجه وغمرته كان ترادف أجزاء السواد ذاهباً ببهجة تمام الحسن " (٢).

كما نهى أبوحيان عن الولوع بالسجع والكثرة منه، ونهى كذلك، عن هجرانه وتركه؛ حتى لا يفقد الكلام جانب الحسن منه؛ لذا فالاعتدال منه خير سبيل إليه. وهذا ما جاء في كلام أبي حيان مؤكدا على ذلك " فلا تلهجن بالسجع، فإنه بعيد المرام إذا طلب الواقع موقعه والنازل مكانه، ولا تهجرنه

---

(١) البصائر والذخائر (٢ /٦٨)، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: د. وارد القاضي-دار صادر بيروت، ط١١، ١٩٨٨م.
(٢) المصدر نفسه (٢ /٦٨).

أيضاً، كله فإنك تعدم شطر الحسن "[١] .

ومن ذلك يُدرك أن "السجع في الأصل حلية وزينة، وإنما يعاب عند الغلوّ والإغراق"[٢]، وهذا عند القدماء.

أمَّا المذهب الأول ومن جوز استعمال السجع فقد أجاز **أبو هلال العسكري** السجع، وجعله على **وجوه**، وعرّف كلا منها على حدة :

فمنها : أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه. وهو كقول الأعرابي: " سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جمدت، فرحم الله من رحم، فأقرض من لا يظلم "، فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان، والفواصل على حرف واحد .

وهذا الوجه ظهر فيه التوازي والتعادل واضحا لأن الألفاظ المسجوعة من جنس واحد، واتفقت على حرف بعينه الدال والتاء .

ومنها : أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فيكون الكلام سجعا فى سجع، وهو مثل قول البصير: " حتى عاد تعريضك تصريحا، وتمريضك تصحيحا "

فالتعريض والتمريض سجع، والتصريح والتصحيح سجع آخر، فهو سجع فى سجع؛ وهذا الجنس إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع.

ووصف أبوهلال العسكري(ت٣٩٥هـ) هذين الوجهين من أعلى مراتب الازدواج والسجع.

---

(١) المصدر نفسه (٦٨/٢).

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، للقيرواني(١٤/١).

ثم ذكر ما دونهما وهو: أن تكون الأجزاء متعادلة، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد، كقول بعض الكتّاب:

" إذا كنت لا تؤتى من نقص كرم، وكنت لا أوتى من ضعف سبب؛ فكيف أخاف منك خيبة أمل، أو عدولا عن اغتفار زلل، أو فتورا عن لمّ شعث، أو قصورا عن إصلاح خلل. فهذا الكلام جيّد التوازن، ولو كان بدل (ضعف سبب) كلمة آخرها ميم؛ ليكون مضاهيا لقوله: " نقص كرم " لكان أجود"(١).

والسجع من الألوان الجميلة في المحسنات البديعية فهو يكسو الكلام لطافة وحسنا فيبدو بثوب قشيب ينال به إعجاب من سمعه .

وقسم **ابن الأثير** السجع من حيث الطول والقصر على ضربين :

أحدهما: يُسَمَّى "السجع القصير"، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلَّفة من ألفاظ قليلة، وكلما قلت الألفاظ كان أحسن؛ لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع. وهذا الضرب أوعر السجع مذهبًا، وأبعده متناولًا، ولا يكاد استعماله يقع إلّا نادرًا.

وأحسنه ما كان مؤلفًا من لفظتين لفظتين، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ

---

(١) انظركتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري(ص٢٦٣).

(٢) سورة المرسلات ١-٢.

فَاهْجُرْ﴾ (١).

والضرب الآخر: يسمَّى "السجع الطويل"، وهو ضد الأول، لأنه أسهل متناولًا.

وإنما القصير من السجع أوعر مسلكًا من الطويل؛ لأنَّ المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة، والسجع الطويل درجاته تتفاوت في الطول:

" فمنه ما يقرب من السجع القصير، وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة لفظة، وأكثره خمس عشرة لفظة، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (٢) فالأولى إحدى عشرة لفظة، والثانية ثلاث عشرة لفظة "(٣)

وأيّد **شهاب الدين** النويري(٧٣٣هـ) السجع، وقسمه وفقا لأنواعه على أربعة أنواع وهي :

الترصيع والمتوازي والمطرّف والمتوازن، وعرّف كل واحد منهم.

أما الترصيع :

- فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متّفقة الأعجاز، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١)سورة المدثر، ١-٥.

(٢) سورة هود، آية: ٩-١٠.

(٣) المثل السائر، لابن الأثير (ص٢٥٨).

إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ ﴾[١]

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[٢]

وقول النبي صلّى الله عليه وسلم: «اللهم اقبل توبتي، واغسل حوبتي»[٣]

أما المتوازي :

- فهو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منهما، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾. [٤]

وقول الحريرىّ: " ألجأنى حكم دهر قاسط، إلى أن أنتجع أرض واسط "

وأما المطرّف :

- هو اختلاف عدد الحروف في كلمتي الفاصلتين، و يراعى الحرف الأخير فى كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن، كقوله تعالى: ﴿ ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً ﴾[٥]

وقولهم: " جنابه محطّ الرحال، ومخيّم الآمال" .

وأما المتوازن :

---

(١) سورة الغاشية آية:٢٦.

(٢) سورة الانفطار: ١٣-١٤

(٣) أخرجه أبوداود في سننه (٤/ ٣٠٧) كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ(١٢٩١) والحديث صحيح .انظر: صحيح سنن أبي داود (٤/ ١٠) للألباني.

(٤) سورة الغاشية آية:١٣-١٤.

(٥) سورة نوح، آية:١٣-١٤.

- فهو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما، كقوله تعالى: ﴿ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾(1).

وقولهم: " اصبر على حرّ القتال، ومضض النّزال ، وشدّة المصاع، ومداومة المراس "(2) .

ووافق العلوي شهاب الدين النويري قي تقسيمه للسجع وفقا لنوعه، وأيّده في الأنواع الثلاثة الأولى، وهي : المتوازي والمطرف والمتوازن .

ووافق كذلك العلوي ابن الأثير في تقسيمه للسجع من حيث الطول والقصر، وزاد عليه العلوي في تقسيمه للفقرات على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول- ما تكون فيه الفقرتان متساويتين لا تزيد إحداهما على الأخرى .

وما هذا حاله فهو أعدل الأسجاع قواما، وأجودها اتساقا وانتظاما وأعلاها مكانا، وأوضحها بيانا، وأمثاله فى القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ (3)

الضرب الثاني- أن تكون الفقرة الثانية أطول من الأولى بغاية قريبة .

فإن طالت فهو غير محمود، وهذا كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ ِالسَّاعَةِ سَعِيراً، إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً،

---

(1) سورة الغاشية آية:15-16.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب ، للعلوي(7 /104).

(3)سورة الضحى/ 9-10.

وَإِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً ﴾ (١) .

فالفقرة الأولى عدتها ثماني كلمات، والفقرة الثانية والثالثة كل واحدة منهما تسع كلمات .

الضرب الثالث- أن تكون الفقرة الثانية أقصر من الأولى .

وهذا عكس ماذكر في الضرب الثاني ، وهو فن فنون السجع المعيب عند أهل هذه الصناعة ،فالضرب الأول هو أعدلها، والضرب الثالث أبعدها، والضرب الثانى أوسطها فى التعديل، ولا يكاد يوجد الضرب الثالث فى القرآن، وإنما الكثير فيه هما الضربان الآخران؛ لما فيهما من العيب الذي ذكر سابقا، وكتاب الله تعالى منزه عنه(٢).

وقسم ابن حجة الحموي السجع كغيره وفق نوعه على أربعة أقسام؛ وافق اثنين منهما شهاب الدين النويري والعلوي، وهي : المطرف والمتوازي ، وخالفهما في المشطر والمرصع .
وعرف **المشطر**: بأن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير، وهذا القسم مختص بالنظم، كقول أبي تمام:

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ...للهِ مرتقبٍ في الله مُرتغبِ(٣)

و**المرصع** : عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت، أو فقرة النثر، بلفظة على وزنها ورويها، وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (٤).

---

(١)سورة الفرقان/ ١١-١٣.

(٢)انظر الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي (٣ /١٦).

(٣)ديوان أبي تمام (ص ٢٠).

(٤)سورة الانفطار ١٣-١٤ ، خزانة الأدب وغاية الأرب (ص٤١١).

أما المطرف والمتوازي فقد سبق تناولهما عند شهاب الدين النويري .

ولم يشر ابن حجة(ت٨٣٧هـ) إلى التقسيم الآخر من حيث الطول والقصر على أنه تقسيم، بل ذكره في كتابه منوها برأي علماء فن السجع في قصر الفقرات واختلافها فلم ينهج بذلك سبل من سبقه في تقسيمهم أمثال ابن الأثير ، فقال يدل قصر الفقرات على قوة المنشئ، وأقل ما يكون من كلمتين، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (١).

وأمثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر، وكان بديع الزمان يكثر .

واستشهد بقول **بديع الزمان** " كميت نهد ، كانت راكبة في مهد ، يلطم الأرض بزبر ، وينزل من السماء بخبر"، ثم علق بأن علماء فن السجع قالوا: التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر؛ لتشوقه إلى ما ورد منه متزايدًا على سمعه.

أما بالنسبة للفقر المختلفة، فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر غير كثير، لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة، وإن زادت القرائن على اثنتين، فلا يضر تساوي القرينتين الأوليين، وإن زادت الثانية على الأولى يسيرًا، والثالثة على الثانية، فلا بأس، ولا يكون أكثر من المثل. ولا بد من الزيادة في آخر القرائن.

مثاله في القرينتين: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ

(١)سورة المدثر/١-٤.

السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (١).

فالثانية أطول من الأولى ، ومثاله في الثالثة قوله تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا، إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (٢) .

ثم ختم ابن حجة كلامه بذكر فائدة الإنشاء التي يطول بها باع المنشئ ، وهي أن السجع مبني على الوقف، وكلمات الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفا عليها ؛ لأن من المفترض أن يعمل المنشئ على مجانسة القرائن ويزاوج، وهذا لا يحصل إلا بالوقف ، ولو أعربنا الكلمات لذهب القصد والغرض مثل قول : ما أبعد ما فاتَ، وما أقرب ما هو آتٍ، للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة منونة فيذهب الاتفاق .

وتُذيّل التقسيمات بالتنويه عن تقسيم العلاّمة النواجي(ت٨٥٩هـ) للسجع وفق نوعه على قسمين : المطرف والمواز ، وافق فيهما ابن حجة والعلوي والنويري ، وقد سبق تناولهما عند النويري (٣).

ويميل النواجي إلى رأي ابن حجة في الحديث عن قصر الفقرات واختلافها في السجع، وسار على نهجه في الحديث عنها، واكتفى بها، ولم يزد عليها؛ لموافقته وتأييده لها .

---

(١)سورة مريم، آية: ٨٨-٨٩-٩٠

(٢)انظر: خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (٤١٢/٢). الآية من سورة الفرقان ١١-١٣.

(٣) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٧٣).

وكذلك ذكر من فوائد الإنشاء، والتي يطول بها باع المنشئ والتي نوه عنها ابن حجة من قبل فوافقه فيها[١] .

واستدل النواجي بقول **الصاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ)** [٢]في جوابه عن أحسن السجع؛ حيث قيل له : ما أحسن السجع فقال : " ما خف على السمع " قيل : مثل ماذا؟ قال : مثل هذا، أي: مثل قولي لكم: ما خف على السمع " [٣].

وكأن النواجي يبرز بعضا من صفات السجع من سهولة في العبارات، وقصر في الألفاظ، وحلاوة في المعاني ، فجواب الصاحب كان مختصراً ومحققاً للقصد .

وأشار النواجي في كتابه إلى قول **أبي علي الفارسي**[٤] : " اعلم أن الدلائل إذا دلت على شيء ، فلا يضرك أن لا يكون له نظير " ،فقال تلميذه أبو الفتح ابن جني[٥] : " يا سيدي ألهذا نظير ؟ قال : " قد قلت لك لا يضرك أن لا

(١) المصدر نفسه.

(٢)هوإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني: وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي. وفيات الأعيان (١/ ٢٢٨).

(٣)مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٧٥).

(٤)هو يحيى بن خالد بن برمك الوزير الكبير، أبو علي الفارسي، من رجال الدهر حزماً ورأياً، وسياسة وعقلاً، وحذقاً بالتصرف، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد؛ ليربِّيه ويثقِّفه، ويعرِّفه الأمور، فلما استخلف رفع قدره، ونوّه باسمه، وصيّر أولاده ملوكاً، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، مات سنة تسعين ومائة في سجن الرقة.سير أعلام النبلاء (٨٩/٩-٩١).

(٥)هوعثمان بن جني الموصلي النحوي صاحب التصانيف أبو الفتح بن جني من أئمة الأدب والنحو، وله شعر.ولد بالموصل وتوفي ببغداد،تاريخ بغداد (١١ / ٣١١، ٣١٢)

يكون له نظير" (١).

وذكر أمثلة عدة على السجع من ذلك : ما كتبه عبد الحميد عند ظهور جيوش الخراسانية بشعار السواد :

" فاثبتوا ريثما تتجلى هذه الغمرة ، وتصحو هذه السكرة ، فينصب السيل وتمحى آية الليل "(٢).

ومنه قول أبي نصر العتبي : " دب الفشل في تضاعف أحشائهم ، وسري الوهل في تفارق أعضائهم ، فجيوب الأقطار عنهم مزرورة ، وذيول الخذلان عليهم مجرورة، ومنه قول بديع الزمان: " كتابي إلى البحر ، وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث إن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره "

ومن قول الفاضل : " وافينا قلعة نجم، وهي نجم في سحاب، وعقاب في عقاب ، وهامة لها الغمامة عمامة ، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة. "

وأجاد الشاب محمود في وصف مقدم سرية كشف؛ حيث قال : " لازال في مقاصده أخف من وطأة ضيف ، وفي مطالبه أخف من زروة طيف ، وفي تنقله أسرع من سحابة صيف ، وأروع للعدا من سلة سيف . " ومثله في الحسن قوله في صدور مثال شريف سلطاني: " أصدرناه والسيوف قد أنفت من الغمود ، ونفرت من قربها ، والأسنة قد ظمئت إلى موارد القلوب ، وتشوقت إلى الارتواء من قبلها . والكماة ما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته ، وقوة إمكانه .

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي(٤١٣/٢).

(٢)المصدر نفسه.

والأبطال ليس فيهم من يسأل عن عدوه ، بل عن مكانه "[١] .

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (٢/٤١٤).

المبحث الثاني - قضية البلاغة والفصاحة.

إن قضية (البلاغة والفصاحة) هي ثاني قضايا النثر التي تناولها النواجي في كتابه مقدمة في صناعة النظم والنثر.

بلغ العرب من البلاغة والفصاحة مالم يبلغه أحدٌ قبلهم ، وقد ذُكر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان﴾(١).

وكانت معجزة نبي الأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- في الفصاحة والبلاغة وهي القرآن الكريم، وما جعل الله تلك المعجزة بين العرب إلا لعلمه بفصاحتهم وقدرتهم على صياغة الكلام وحوكه وبلاغتهم في التعبير بها .

وهذا ما قد عرف عن العرب منذ العصر الجاهلي؛ فقد كانوا يتبارون بالأشعار والأمثال والأقوال ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ)) (٢) .

ومعنى الحديث :(إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)؛ أي إن بعض البيان (سِحْرٌ)؛ لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال (بِالسِّحْرِ)، وقال بعضهم لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حدّ يكاد يشغله عن غيره شبه (بِالسِّحْرِ) الحقيقي، وقيل هو (السِّحْرُ) الحلال(٣).

---

(١)سورة الرحمن، آية: ٤.

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/ ٦١) كِتَاب الطِّبِّ، بَاب إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا(حديث رقم(٥٣٢٥) وانظر: البيان (٣٤٩/١) خصائص التراكيب (ص١٠).

(٣)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٦٨).

"وما تُرِك من آثار للعرب حمل بين طياته ما يدل على بلاغة قولهم، وفصاحة وذلاقة منطقهم ، وما كان ذلك إلا لشديد عناية منهم حتى أن الواحد منهم كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كاملا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره .." [١].

فهذا ما ورثه العرب لأبناء العربية من فصاحة وبلاغة في اللغة ، وعناية في اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وازداد الأمر بظهور صاحب البيان الرسول الكريم، والذي قال فيه الجاحظ(٢٥٥هـ):" لم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة "[٢] .

كيف لا وقد كان صلى الله عليه وسلم، يُعنى أشد العناية بتخير لفظه. ودرجت البلاغة والفصاحة أدراج العصور الأدبية ، وبدأت قوية وفصيحة بقوة فصاحة أهلها وبلاغتهم إلى أن تداخلت بين العصور الأدبية، عناصر غير عربية نتجت عن تحضر العرب البدو واستقرارهم في المدن والأمصار فكان اللحن في اللغة والألفاظ الغريبة، بل والنافرة في اللغة العربية . وتقسمت اللغة وتفرعت بعد أن كانت أمرا واحدا وعلما واضحا ينشده كل طالب علم أحب العربية، وسعى في تعلمها، فأصبحت اللغة العربية تنقسم إلى فنون الشعر والنثر والبلاغة والفصاحة وغيرها من العلوم الأخرى. وها هو علم البلاغة يلمع في سماء العربية فتشرف به وبصاحبه ، وتعددت البلاغة في تعاريفها في العربية لكنها تصل في النهاية إلى معنى واحد .

---

(١)البيان والتبيين (١٧/٢) .

(٢)المصدر نفسه.

وجاء في لسان العرب:

"والبَلاغُ: ما يُتَبَلَّغُ به ويُتَوَصَّلُ إلى الشيء المطلوب ، والبَلاغُ ما بَلَغَكَ. والبَلاغُ الكِفايةُ؛ ومنه قول الراجز: تَزَجَّ مِنْ دُنْياكَ بالبَلاغِ.

والبَلاغُ الإِبْلاغُ. وأَمرٌ بالغ: جيد.

والبَلاغةُ الفَصاحةُ، والفصاحة عند ابن سنان الخفاجي " عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار" [١]

والبَلْغُ والبِلْغُ: البَلِيغُ من الرجال.

ورجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ: حسَنُ الكلام فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمعُ بُلَغاءُ، وقد بَلُغَ، بالضم، بَلاغةً؛ أَي صار بَلِيغاً.

وقولٌ بَلِيغٌ: بالِغٌ وقد بَلُغَ. "[٢] .

وقال الخليل بن أحمد **(ت١٧٠هـ)**: " البلاغة كلمة تكشف عن البقية " [٣].

وقد أوجز الخليل بن أحمد في تعريفه الذي بيّن فيه أن البلاغة قد تكون في كلمة تفسر وتوضح المعنى والمقصد .

كما عرّفها بقوله: " البلاغة ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه" [٤] .

وقصد من هذا الاختصار في الألفاظ معاني كثيرة.

---

(١) سر الفصاحة لابن سنان (ص ٩٥)

(٢) لسان العرب ، مادة [بلغ].

(٣) العمدة، لابن رشيق(ص٢٤٢).

(٤) المصدر نفسه (ص٧٩).

وقال **المفضل الضبي(ت١٦٨هـ)**[١]: " قلت لأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل[٢].

فقصد العرب الإيجاز والاختصار في الكلام بدون نقص أو عجز، والزيادة بدون فساد للفظ ومعناه .

وعرّف **خلف الأحمر(ت١٨٠هـ)**[٣] البلاغة بقوله: "البلاغة لمحة دالة"[٤].

فشابه تعريف الخليل أحمد؛ حيث أراد خلف الإيجاز والاختصار؛ ليبين معنى البلاغة فاختار من الألفاظ أخصرها وأدقها فجعل البلاغة عنده إشارة سريعة.

وسئل بعض البلغاء: "ما البلاغة؟ فقال : قليل يفهم، وكثير لا يسأم"[٥].

ويتكرر معنى البلاغة عند الخليل بن أحمد حين قال : ماقرب طرفاه .. في هذا التعريف.

وسئل آخر فقال: "معان كثيرة، في ألفاظ قليلة " [٦] .

---

(١)هو المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس: راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب.من أهل الكوفة. أوثق من روى الشعر من الكوفيين. تاريخ بغداد (١٣/ ١٢١).

(٢)العمدة، لابن رشيق (٧٩).

(٣)خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. معجم المؤلفين (٤/ ١٠٤).

(٤)العمدة، لابن رشيق (٧٩).

(٥)المصدر نفسه .

(٦)المصدر نفسه.

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي[١] إلى عمرو بن مسعدة(ت٢١٧هـ)[٢] : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً[٣].

وسئل ابن المقفع[٤]: ما البلاغة؟ فقال: اسم لمعان تجرى في وجوه عدة كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً..... والإيجاز هو البلاغة[٥].

وقال بعض المحدثين: البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" [٦].

ولصاحب البلاغة هدف فهي عنده تكشف عن معنى ومقصد الكلام، وتقرب المعنى، وتقوّم ما اعوجّ من اللسان، وتصلح ما فسد من الذوق، وتصقل الملكة الأدبية والنقدية .

والإيجاز أهم ما تتميز به البلاغة ، بل هو عنوانها دون خلل أو عجز .

---

(١)انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٣٤٢).

(٢)هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٠٣).

(٣)العمدة، لابن رشيق (ص٧٩).

(٤)عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ١٥١).

(٥)العمدة، لابن رشيق (ص٧٩).

(٦)المصدر نفسه (ص ٨٠).

والبلاغة تحقق سمة من أهم وأجلّ سمات اللغة العربية ؛ فهي تُظْهر وتُبدي معاني كثيرة بين ألفاظ قليلة، وهو ما قد يقال عنه الإيجاز.

وخلاصة التعريفات السابقة للبلاغة : الإيجاز والاختصار في الكلام بألفاظ قليلة ومعانٍ كثيرة دون عجز أو خلل.

ومن الصعب الإلمام بتطور مفهوم البلاغة منذ بدَأ مرورا بكل العصور، وفي العصر الأموي سأل معاوية صحارا العبدي الذي راع معاوية بخطابته ، فسأله ما تَعُدُّون البلاغة فيكم ؟قال : الإيجاز، فقال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صحار :" أن نجيب فلا نبطئ ، ونقول فلا نخطئ "(١).

وعند تتبع تعريفات البلاغة لدى النقاد ومنذ القرن الثالث؛ حيث كانت البداية التاريخية للبلاغة العربية كفن مستقل عن بقية العلوم عند الجاحظ ومدرسته في العمل الأدبي وموسوعته البيان والتبيين، فوضع للبيان خطوطا ترتكز على الذوق والفن ، وتأثر بذلك كثير من دارسي البلاغة ، كما كان للسكاكي دور مهم في البلاغة ونشأتها، اختلف ذلك الدورعن الجاحظ بنظرة السكاكي العقلية (٢).

وعدّ كثير من الباحثين الجاحظ(٢٥٥هـ) مؤسسا للبلاغة العربية؛ حيث استعرض مختلف التعريفات للبلاغة، وقارن بينها وبين مفاهيمها عند الفرس والهنود واليونان والعرب ، وهذا دليل على شمول ثقافته وبُعد نظرته ، وقد أخذ مفهوم البلاغة عند الفرس من الفارسي الأصل سهل بن هارون ، واستقى من

---

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٧).

(٢)انظرمجلة دعوة الحق، العدد ٢٥، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية الرباط.

صحيفة بهلة الهندي[١] الذي عاصره مفهوم البلاغة عند الهنود ، وأمّا مفهومها عند العرب فقد أخذه من صحار ابن عياش العبدي قال : " قال ابن الأعرابي: قال معاوية بن أبي سفيان لصحّار ابن عياش العبديّ ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بالبسر والرطب، أبصر منهم بالخطب. فقال له صحار: أجل والله، إنا لنعلم أن الريح لتلقحه، وأن البرد ليعقده، وأن القمر ليصبغه، وأنّ الحر لينضجه. وقال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطىء، وتقول فلا تخطىء.

فقال له معاوية: أو كذلك تقول يا صحار؟ قال صحار: أقلني يا أمير المؤمنين، ألا تبطىء ولا تخطىء " [٢] .

ويفضل الجاحظ تعريف البلاغة بقوله: " وقال بعضهم- وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك . ومعنى ذلك أن الكلام البليغ هو الكلام الذي يبلغ المعاني التي في رأس المتكلم إلى عقل السامع. ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان واضحا، وعلى أقدار المعاني"[٣].

إذن علق الجاحظ اللفظ بالمعنى وجعل كلا منهما يسابق الآخر .

وتأثر بالجاحظ ابن قتيبة وأبو هلال العسكري وابن سنان الخفاجي وابن

---

(١) http://iucontent.iu.edu.sa/Shamela/Categoris/%D.

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٧).

(٣)المصدرنفسه .

رشيق، واتخذوا من آرائه في بلاغة البيان منهجا للبحث .

وجعل بعض النقاد البلاغة حقًا في فهم معاني الكلام وإحاطة القول بالمعنى وتقريب البعيد وتقارب الكلمات من بعضها وحذف الدخيل منها .

ووافق **المبرد(ت٢٨٦هـ)** الجاحظ في تعريفه حيث قال : " إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ، ومعاضدة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد ، ويحذف منها الفضول "[(١)] .

وشارك قدامة(٣٣٧هـ) في علم البلاغة، وبذل فيها جهدا ورأيا كان محط اهتمام لدى القدماء. كما يُعدُّ من رواد البلاغة العربية ، فشارك في علومها، وله جهود بلاغية كثيرة في علم المعاني (في التتميم والإيغال ، والمساواة والإشارة)، وكذا في علم البيان ، فتكلم في التشبيه والاستعارة والتمثيل والإرداف)، أما علم البديع فدرس في فنونه التصريع والسجع والترصيع واعتدال الوزن والجناس والمطابقة وغيرها من فنون البديع .

وأخذ عنه النقاد وتأثروا به، و هاهو **شهاب الدين النويري(ت٧٣٣هـ)** ينقل قول قدامة في البلاغة قائلا: " البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا ولا ناقصا؛ والإشارة وهو أن يكون اللفظ كاللّمحة الدالّة؛ والدليل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد؛ ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه "[(٢)] .

فجعل قدامة البلاغة منحصرة في ثلاثة مذاهب :

---

(١)البلاغة تطور وتاريخ (ص١٨)تأليف: د.شوقي ضيف .نشر دار المعارف ط١١.

(٢)نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (ص٨).

- المساواة وهو مطابقة اللفظ للمعنى . ووافق بها الجاحظ
- الإشارة ، وهو أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة ، وهو بهذا يوافق خلف الأحمر في تعريفه للبلاغة .
- الدليل هو إعادة الألفاظ المترادفة لفهم الجاهل بها، وتأكيد العالم بها .

والبلاغة علم جليل به يُعرف كتاب الله عزوجل، وإعجازه وخصائصه، فهو أولى العلوم معرفة وأقربها صلة، وأكد أبو هلال العسكري عند قوله: " واعلم- علّمك الله الخير ودلّك عليه- أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ." (١)

و عرّف البلاغة بقوله: البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلّغتها غيري. ومبلغ الشىء منتهاه. والمبالغة فى الشىء: الانتهاء إلى غايته. فسمّيت البلاغة بلاغة؛ لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسمّيت البلغة بلغة؛ لأنك تتبلّغ بها، فتنتهى بك إلى ما فوقها، وهى البلاغ أيضا. ويقال: الدنيا بلاغ؛ لأنها تؤدّيك إلى الآخرة(٢).

والبلاغ أيضا: التبليغ، فى قول الله عزّ وجل: ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ (٣)؛ أي: تبليغ(٤).

وخصّ **ابن رشيق(ت٦٠٨هـ)** في كتابه العمدة باباً سمّاه باب البلاغة ، وأورد فيه أقوالاً كثيرة في شأن البلاغة، وبدأها بقوله : تكلم رجل عند النبي

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٦).
(٢)المصدر نفسه (ص٢).
(٣)سورة إبراهيم/٥٢.
(٤) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٦).

صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي، وأسناني، فقال له : " إن الله يكره الانبعاق في الكلام، فنضر الله وجه رجل أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته "(١).

كما ذكر أقوالاً عدة للكثير من العلماء والبلغاء، سبق ذكرها والاستشهاد بها وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: فيم الجمال؟ فقال: (في اللسان) ، يريد البيان(٢).

و ذكر **ابن رشيق(ت٦٠٨هـ)** أقوالا عدة لكثير من العلماء والبلغاء ، سبق ذكرها والاستشهاد بها .

واستعرض **ابن سنان(ت٤٦٦هـ)** مفاهيم البلاغة عند غيره، ورسم لها معلما ، غير أنه لم يأت بتعريف جامع مانع ، كما نحى منحى آخر عن أدباء عصره ، وخالف بعض من تناول تعريف البلاغة بالنقد ، فخطّأ بعضها وأفسد الآخر منها في قوله:" كقول بعضهم : " البلاغة أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع فلا تبطئ "، فعلق ابن سنان عليه بقوله: فهذا يصلح لكل الصنائع وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها ، ثم إنما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله .

فخطأ تعريف خلف الأحمر، والذي أيده قدامة " البلاغة لمحة دالة "معلقا عليه بقوله :" لقد حدّ الناس البلاغة بحدود إذا حققت كانت كالرسوم والعلائم ،

---

(١)العمدة ، لابن رشيق (ص: ٧٩).

(٢)يريد البيان.والحديث أورده الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان(٧٠/٤) المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة : الأولى.دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

وليست بالحدود الصحيحة ، فمن ذلك قول بعضهم : " لمحة دالة "، وهذا وصف من صفاتها ، فأما أن يكون حاصرا لها وحداً يحيط بها فليس ذلك بممكن"[١].

فيرى ابن سنان أن هذا التعريف قيدٌ للبلاغة بعكس مفهومها وبين أن اللمحة الدالة من الممكن عدّها صفة من صفاته، وليس حاصرا لها .

أما **ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)** فعرّف البلاغة ووافق في التعريف أبا هلال العسكري قائلا : " أمّا البلاغة فإن أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء، يقال: بلغت المكان، إذا انتهيت إليه، ومبلغ الشيء منتهاه، وسميّ الكلام بليغًا من ذلك؛ أي: إنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية[٢].

وأشار إلى أن البلاغة لا تكون في اللفظة المفردة، ولا توصف الكلمة بها، فمثلا لا نقول كلمة بليغة، بل فصيحة؛ لذلك كان من شرط البلاغة التركيب، وأن تكون بين اللفظ والمعنى، فوافق بهذا قدامة.

وهناك من العلماء من حلّق في سماء البلاغة وأبدع في علومها، كالبديع مثلا، و كانت مؤلفاته دليلا واضحا على بلاغته وآثاره ، وهو **ابن أبي الإصبع** ولاسيما كتبه (تحرير التحبير، وبديع القرآن ، والخواطر السوانح في أسرار الفواتح) فجمع آراء من سبقه عند التأليف في البديع، وزاد عليها ، ورتب ألوانها ، وصنف فيها مصنفات قيمة[٣].

---

(١)سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص٥٠).
(٢)انظر: المثل السائر، لابن الأثير (ص٩٤).
(٣)انظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٦).

ولا تحصل البلاغة، ولا يُتمكن منها في وقت وجيز، بل لابد من الاجتهاد والصبر، وهناك من الأوائل السابقين من قضى عمره ونفذ وهو مازال يصيب ويخطئ في علمه الذي اشتهر فيه، وهذا حاصل كلام القرطاجني، والذي انفرد به في قوله: " وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتّى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها ! وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه "(١) .

فشبه البلاغة بالبحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته؛ لسعته وطول امتداده، كذلك هو الحال في البلاغة فهي علم واسع، وغذاء للفكر والروح، وتربية وإصلاح وتهذيب، وهي جمال في الشكل والمضمون. لذا فقد يستنفد العمر، ولم يأت الإنسان بعد على جل البلاغة وأسرارها.

ثم ضرب **القرطاجني(ت٦٨٤هـ)** مثالا على كلامه ذلك، قول أبو الطيب المتنبي، والذي كان إماماً في الشعر، ولم يستقم شعره إلا من مزاولة الشعر عشرين سنة ، وتوفي وهو يصيب فيه ويخطئ وهذا ليس مختصا به وحده"(٢).

كما بين أن هناك من الناس من يتعلم علما من العلوم، ويمكث عليه فترة قصيرة، ثم يأخذ بعد ذلك، في التحدث باسم هذا العلم، وهو لم يحصل له في هذا القدر من الزمان من هذه الصناعة ما يعتد به. فيشبه حال من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها - في وقت وجيز- بحال الصديق الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرر وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي، كما قال، أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم خلال شهر أو عام، شيئا يعتد به في ذلك العلم، وليس ذلك

(١)منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني (ص٨٨).

(٢)المصدر نفسه (ص٨٨).

ممكنا في علم البلاغة، "إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع"[١] .

وعرّف البلاغة في موضع آخر بقوله " علم كلي يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب. "[٢]

فالبلاغة فن وإبداع جمعت بين البيان والبديع، وقامت على أسس ذوقية تُعنى بالفن، فهي كنسيج جُمعت خيوطه من أصول عربية متنوعة، فمزجت الفكر والفن والجمال في قالب واحد، واتخذت البلاغة وسيلة إلى تذوق الأدب والشعر، وتذوق بلاغة القرآن، وتلمس إعجازه، فهي تلون النص بألوان بيانية وجمالية.

" ومخض زبدة البيان ورتب أبوابه " **أبو يعقوب السكاكي(ت٦٢٦هـ)** [٣] كما قال **ابن خلدون(ت٨٠٨هـ)**. ولم يكن بوسع الذين جاءوا من بعده إلا أن يلخصوا آراءه في بلاغة المعاني أو قواعد الإنشاء. البلاغة العربية بين الفن والفلسفة[٤].

وتمتاز البلاغة العربية بقوة الأسلوب وجمال اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال فأعان ذلك في توضيح أساليب العرب ونصوصهم .

(١) انظر محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول (مقدمة الكتاب والفصل الأول منه (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مقال .

(٢)المصدر نفسه.

(٣)يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب،مولده ووفاته بخوارزم. معجم المؤلفين (١٣/ ٢٨٢).

(٤) مجلة دعوة الحق العدد ٢٥.

و للبلاغة عمل جلي محمود في بيان إعجاز القرآن، ويؤكد ذلك **ابن خلدون** في مقدمته التي قال فيها : " واعلَمْ أنَّ ثَمرة هذا الفن، إنَّما هي فَهْم الإعجاز مِن القرآن"[(١)] .

وعرّف **ابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ)** البلاغة قائلا: " والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال ، وإطالة من غير إملال"[(٢)]

ووافق النواجي ابن حجة في تعريف البلاغة، وأيده برأيه، واكتفى به [(٣)].

ومِلاك الأمر في البلاغة كله فهم المعاني وبلوغها لدى السامع بوضوح معانيها وسهولة ألفاظها، وهذا ما نادى به الجاحظ وغيره عند تعريف البلاغة .

وهذا حال البلاغة والبليغ العربي؛ فمن اكتسب البلاغة العربية وعرف طريقها الصحيح فقد فاز وكسب؛ لأنها حملت بين طياتها أريجا فواحا عطرت به اللغة العربية، وهي تاج شرفٍ للعربية وأهلها، وقد برزت بصور بلاغية وبأبعاد دلالية إيحائية، فعمقت المعاني في النفوس وصاغت الألفاظ وصبغتها بقالب اليسر والسهولة والجمال، فحرضت بذلك ذويها لدراستها والاشتغال بها، وأظهرت البراعة الفنية التي جمعت بين الأدب والبلاغة، وبرز التخييل وتجسدت الصور وتعددت الإيحاءات، كل ذلك كان في اتساق واحد، فضلا عن توظيف التشكيلات الجمالية مؤكدة بذلك امتلاك الشاعر العربي لناصية البلاغة وفنون الكلام.

---

(١)مقدمة ابن خلدون باب البيان (ص٥٢١). مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، نهضة مصر للطباعة والنشر،ط٤، ٢٠٠٦م.

(٢) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (ص٤١٤).

(٣) مقدمة في صناعة النظم والنثر، للنواجي (ص٧٤).

ورديف البلاغة الفصاحة ، فالفصاحة لغة: "البَيان؛ فَصُحَ الرجلُ فَصاحة"

أي : أبين مني منطقا ، وأظهر مني قولا.

وأَفْصَح عن الشيء إِفصاحاً إِذا بَيَّنه وكَشَفَه.

وأَفْصَحَ الصُّبحُ: بدا ضوؤه واستبان، ومنه المثل: أفصح الصبح لذي عينين (١).

" الفصاحة لغة: لها معانٍ متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة، فيقال:

١- فصح اللبن وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة، قال نضلة السلمي:"وتحت الرغوة اللبن الفصيح"(٢).

٢- يوم مفصح وفصح لا غيم فيه ولا قر.

٣- أفصح الأعجمي بالعربية، وفصح لسانه بها إذا خلصت لغته من اللكنة، وفي التنزيل: ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ (٣) أي : أبين مني قولا.

والخلاصة من تلك التعريفات البيان والظهور.

ويعرف الجوهري الفصاحة في "الصحاح" بقوله : "الفصاحة البلاغة."(٤).

---

(١)لسان العرب ، مادة [فصح].

(٢) المصدر نفسه .

(٣)سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٤)علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»(ص١٣) أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).

" ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب، وجعل لسانه عربيّا، وأنزل عليه قرآناً عربيّا، كما قال الله تعالى: ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١).

فلم يخصّ اللسان بالبيان، ولم يحمد بالبرهان إلّا عند وجود الفضل في الكلام، وحسن العبارة عند المنطق، وحلاوة اللّفظ عند السّمع ، والنبي أفصح العرب "(٢).

فأدرك الجاحظ أن لفضل الفصاحة وحسن بيانها جعل الله معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، في فصاحة اللغة العربية، وأنزل القرآن الكريم به.

وأبان الجاحظ عن حاجة البيان وهي :

" وأنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وإن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني، وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام "(٣) .

وعند النظر إلى كلام الجاحظ ونصوصه نجد بين أيدينا علاّمة احتوت كتبه على العلم الزاخر، وبخاصة كتاب البيان والتبيين، والذى حوى بين طياته فوائد كثيرة ومنافع جمة، فهو مصدر فياض خصب للقدماء والمحدثين ، يفيض ببلاغته وبيانه وفصاحته.

---

(١) الشعراء(ص١٩٥).

(٢) الرسائل الأدبية، للجاحظ (ص ٣٠٥).

(٣)البيان والتبيين، للجاحظ (ص٣٦).

فالجاحظ إذن ينادي بالبيان، والذي هو أصل الفصاحة في معناه ، فكما أن البيان يحتاج إلى تمييز وسهولة المخرج وتكميل الحروف كما ذكر؛ فالفصاحة هي أصل الإبانة والظهور والوضوح.

ولأن الفصاحة هي البيان والظهور فقد استخدم القدماء لفظ الفصاحة في النعت والوصف، وكان هذا واضحا في كلام قدامة حين نعت اللفظ، فقال :" أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة" (١) .

ومقياس الفصاحة في نظر الجاحظ ، القرآن وكلام الأعراب؛ إذ فيهما تحققت الفصاحة بأعلى مستوياتها فاعتبرا المثال الأعلى للكلام الفصيح .

فكل كلام أشبههما عدّ فصيحا ، وكل كلام اختلف عنهما نأى عن الفصاحة(٢) .

ومن النقاد من رأى الفصاحة في خلو اللسان من عيوب النطق، ووصول المتكلم إلى منتهاه. وذكر هذا أبو حيان التوحيدي عن قول العلماء في الفصاحة "الفصاحة خلوص اللسان من التعقيد و النغنغة، والبلاغة تناهي المتكلم إلى الإرادة، فقد يخلص ولا ينتهي، وقد ينتهي ولا يخلص، فإذا جمع بينهما كان فصيحاً بليغا"(٣).

ووافق **أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)** الجاحظ في أن الفصاحة البيان بقوله: " فأما الفصاحة فقد قال قوم: إنها من قولهم: أفصح فلان عما فى نفسه إذا أظهره، والشاهد على أنها هى الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء،

(١)نقد الشعر، لقدامة بن جعفر (ص٨).

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ (ص١٦).

(٣)البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي (٥ /١٢١).

وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر. وفصح أيضا. وأفصح الأعجميّ إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين؛ وفصح اللحان إذا عبّر عما فى نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ .

وإذا كان الأمر على هذا " فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأنّ كلّ واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له(١)".

وتميزت اللغة العربية عن سائر اللغات بمميزات شتى افتقرت إليها اللغات كثيرا من ذلك المجاز والذي يكثر استعماله عند العرب بل ويفخرون به ويعدونه دليلا على فصاحتهم وبلاغتهم ، فتميزوا به عن غيرهم من اللغات .

ويرى ابن رشيق(٤٦٣هـ) أن المجاز دليل فصاحة اللغة العربية فاختلف بهذا الرأي في الفصاحة عمن سبقوه، وانفرد بهذا الرأي فقال :

" والعرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات" (٢) .

وهناك من الأدباء من كانت الفصاحة وأسرارها سببا بل أساسا في تأليف كتابه أو مؤلفاته فيظهر أهميتها وعظيم ثمارها ، من هؤلاء الأدباء **ابن سنان الخفاجي**، والذي قال في مقدمة كتابه سر الفصاحة : " اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرها، فمن الواجب أن نبين ثمرة ذلك،

---

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٧).
(٢)العمدة ، لابن رشيق (ص٢٦٥).

وفائدته لتقع" [١].

ووافق ابن سنان الجاحظ وأبا هلال العسكري في تعريفه الفصاحة بقوله: "والفصاحة عند ابن سنان تعني الظهور والبيان ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح قال الشاعر: (بحر الوافر)

وتحت الرُّغوةِ اللَّبنُ الفصيح[٢].

ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوؤه وأفصح كل شيء إذا وضح وفي الكتاب العزيز: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾[٣] وفصح النصارى عيدهم، قد تكلمت به العرب.

قال حسان بن ثابت: (بحر الخفيف)

ودنَا الفصح فَالولائِدُ ينظمـ ... ـن سِراعًا أكِلَّة المرْجَانِ "[٤].

وقصَر ابن سنان الفصاحة في كتابه على الألفاظ وحدها دون المعاني، ولكن بشروط معينة فقال: "الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ "[٥].

ويقول في مكان آخر من الكتاب: "الفصاحة نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ"[٦].

---

(١)سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص١٣).

(٢)البيت لنضلة السلمي، كما في اللسان (فصح). انظر: البيان والتبيين (٣/ ٣٣٨).

(٣)سورة القصص،الآية: ٣٤.

(٤)سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ص٥٨)،

(٥)المصدرنفسه (ص٤٩)

(٦)المصدرنفسه (ص٥٤)

ويوافق **الجرجاني(ت٣٩٢هـ) ابن سنان** في اختصاص الفصاحة باللفظ فقال : "ولو كانَ قولُ القائل لك في تَفْسير الفصاحةِ: "إنها خصوصيةٌ في نَظْم الكَلِم، وضَمِّ بَعْضِها إلى بعضٍ على طريقٍ مخصوصةٍ، أو على وُجوهٍ تَظْهَرُ بها الفائدةُ، أو ما أشبَهَ ذلكَ منَ القولِ المُجْمَل، كافياً في مَعْرفتها، ومُغْنياً في العِلْم بها"(١).

وحين تكون اللغة دقيقة خالصة من التعقيد قادرة على الإفصاح عن المعاني المقصودة ، مرتكزة على انتقاء العبارات القوية ، فصيحة الكلمات، عربية الأصل، كانت هذه اللغة عربية فصيحة، وهذا ما ذهب إليه أغلب الأدباء، بل واشترطه بعضهم من أن فصاحة اللفظ تكمن في عربية الكلمة، وعلى لسان عربي فصيح .

و **السكاكي(ت٦٢٦هـ)** أحد هؤلاء الأدباء الذين أشاروا إلى هذا الأمر بقوله : " والفصاحة قسمان: قسم راجع على المعنى، وهو خلوص الكلام عن التعقيد ،وقسم راجع على اللفظ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم " (٢) .

وجعلت الفصاحة معيارا يصحح بها الألفاظ ويدقق فيها عند **السكاكي** ، فيخرج منها الزائف والمبهرج، ويبقى الصحيح والفصيح، وقد ذهب **السكاكي** إلى هذا في كتابه مفتاح العلوم من وصف **الجوهري** للكلام فقال : "أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة، ونضد جوهر معانيه في سموط

(١) دلائل الإعجاز عبد القاهرالجرجاني . (ص٣٦) عبد القاهر الجرجاني،تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي.

(٢) السكاكي مفتاح العلوم(ص ٤١٦) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ضبط وشرح: نعيم زرزور، ط:١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ألفاظه؛ فحملته نحور الرواة، ووصف الصبر في خير الكلام ما نقدته يد البصيرة، وجلته عين الروية، ووزنته معيار الفصاحة؛ فلا ينطق فيه بزائف، ولا يسمع فيه ببهرج "(١) .

وقد عرَّف **ابن الأثير**(٦٣٧هـ) الفصاحة بأنها علم صعب الولوج إليه، فهناك من يظن أن الوحشي من الألفاظ، والغموض في المعاني أصل الفصاحة وعنوانها، وهذا لا يمت للفصاحة بشيء ، فالفصاحة هي الظهور، والبيان وليس الغموض والخفاء، وأكد هذا في قوله : " اعلم أن هذا باب متعذر على الوالج، ومسلك متوعر على الناهج، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه، والبحث عنه، ولم أجد من ذلك ما يعوَّل عليه إلّا القليل (٢)".

ويقول : " وقد رأيت جماعةً من مدَّعي هذه الصناعة يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يعز فهمه، ويبعد متناوله، وإذا رأوا كلامًا وحشيًّا غامض الألفاظ يعجبون به، ويصفونه بالفصاحة، وهو بالضد من ذلك؛ لأن الفصاحة هي الظهور والبيان، لا الغموض والخفاء "(٣) .

وأما ابن أبي الإصبع(٦٤٠هـ) فقد استعرض للفصاحة تعريفات عدة، وافق فيها أغلب من سبقه من النقاد كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وأبي هلال العسكري في قوله :

"وأما الفصاحة فمختلف فيها؛ فمن قائل بأنها جزالة اللفظ، وحسن المعنى، وقيل: الاقتدار على الإبانة عن كل معنى كامن في النفس، بعبارات جليلة،

---

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي (ص٢٥٦).

(٢)المثل السائر، لابن الأثير (ص٩٠)

(٣)المصدرنفسه (ص١٨٥).

ومعان نقية بهية، والذي صح في تعريفها: أنها خلوص الألفاظ من التعقيد المبعد عن إدراك معانيها، وعن العيوب التي تعرض فيها ، فإن اشتقاقها من الفصيح، وهو اللبن الذي خلص من رغوته أو لبئه" (١)

وتمر الفصاحة بعهد مضى، وعهد حديث، وهي مازالت تدور حول البيان الذي هو" ترجمان اللسان، وروض القلوب "(٢)

وقصر **شهاب الدين النويري**(٧٣٣هـ) الفصاحة على العرب موافقا في هذا **السكاكي**؛ لزعمه أن الفصيح لا يسمى فصيحا إلا إذا خلص لسانه من اللكنة الأعجمية. لذا قصر العربية على العرب ، وأكد ذلك في كتابه نهاية الأرب بقوله : " أما الفصاحة فهى مأخوذة من قولهم: أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرّغوة، وقالوا: لا يسمّى الفصيح فصيحا حتى تخلص لغته عن اللّكنة الأعجميّة، ولا توجد الفصاحة إلا فى العرب. وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة فى الألفاظ، والبلاغة فى المعانى، ويستدلّون بقولهم: لفظ فصيح، ومعنى بليغ"(٣).

واللفظ حين يكون خاليا من التعقيد، بعيدا عن الوحشية والغموض يصبح فصيحا.

ووافق **ابن حجة الحموي(٨٣٧هـ)** أبا حيان التوحيدي السكاكي وابن الأثير وابن أبي الإصبع والنويري ووافقهم في ذلك أيضا العلامة النواجي في

---

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص٤٢١).

(٢)غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة (ص١٨٣) أبو إسحق برهان الدين إبراهيم بن يحيى الوطواط، ط الأدبية ـ القاهرة، ١٣١٨هـ.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (٧/٦).

تعريفه الذي ينص على أن الفصاحة: "خلوص الكلام عن التعقيد"(١)

ووازن بعض النقاد بين الفصاحة والبلاغة، ومنهم :

أبوهلال العسكري(ت٣٩٥هـ) الذي رأى أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

كما جعل الفصاحة مختصة بالألفاظ والبلاغة بالمعنى ، فقال: " إنّ الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى؛ والبلاغة إنما هى إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى"(٢).

ووافقه في هذا الفرق **ابن سنان الخفاجي(٤٦٦هـ)** حيث قال : " إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني ، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا "(٣) .

وخالفهما **ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)**؛ حيث أشار إلى أن البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخصّ من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسانٍ حيوانٌ، وليس كل حيوان إنسانًا، وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغًا"(٤) .

وكرر **ابن الأثير(٦٣٧هـ)** قول **ابن سنان الخفاجي.**

---

(١) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (٤١٤/٢).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سر الفصاحة،لابن سنان الخفاجي(ص٤٩).

(٤)انظر: المثل السائر،لابن الأثير (ص٩٤).

وفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاصِّ والعام، وهو أنها لا تكون إلّا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة؛ إذ يوجد فيها وصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن، وأمَّا وصف البلاغة فلا يوجد فيها؛ لخلوِّها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلامًا.

وفرق **ابن حجة** بين الفصاحة والبلاغة بخلاصة أخذها عنه **العلامة النواجي** ووافقه وأيد رأ يه فيها:

والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده، مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال.

والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد. وقيل: البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ، فيقال:

لفظ فصيح ومعنى بليغ. والفصاحة خاصة تقع في المفرد، يقال كلمة فصيحة، ولا يقال كلمة بليغة، وأنت تريد المفرد، فإنه يقال للقصيدة كلمة، كما قالوا: كلمة لبيد. ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف، والفصاحة أعم من البلاغة؛ لأن الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام، يقال: كلمة فصيحة وكلام فصيح. والبلاغة لا يوصف بها إلا الكلام، فيقال: كلام بليغ، ولا يقال: كلمة بليغة. واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال: متكلم فصيح بليغ(١).

ووافق النواجي ابن حجة في تفريقه بين الفصاحة والبلاغة، وأيد رأيه واكتفى به ولم يضف إليه شيئا .

---

(١) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (٢/٤١٤).

وقال **الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ)**(١) في نهاية الإيجاز: وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما.

ويشهد لذلك قول **الجوهري(ت٤٠٠هـ)**(٢) في الصحاح: والبلاغة: الفصاحة(٣).

وتقدمه إلى هذا أبو هلال في الصناعتين كما سبق ذكره.

وهكذا مهما بعدت الفروق وتقاربت تظل البلاغة والفصاحة أمرين أساسين يعينان القارئ والسامع - للغة العربية عامة وللقرآن الكريم خاصة – على

(١)محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر.
أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته. مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية، والحكمية، والرياضية. وفيات الأعيان(١/ ٦٠٠ – ٦٠٢)

(٢) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام علم اللغة والأدب، أصله من بلاد الترك من فاراب، رحل إلى العراق، وتلقى العلم من شيخين عظيمين من شيوخ العربية هما: أبوعلي الفارسي ت ٣٥٦هـ، وأبو سعيد السيرافي المتوفى ٣٦٨هـ، ثم سافر إلى الحجاز، وطاف ببلاد ربيعة ومضر، ثم عاد إلى خراسان وألف صحاحه في نيسابور، وتوفي في حدود٤٠٠هـ. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة،(١/١٠) لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي:، تحقيق د/ محمد المصري - مطبعة الفيصل الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (١/٤٤٦) لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦٤/١٣٨٤.

(٣)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣١٦) - دار العلم للملايين.

استشعار حلاوة اللغة وإيجازها وجزالتها، والتي تزداد جمالا وتأثيرا بمعرفة وفهم ألفاظ القرآن الكريم .

الفصل الثالث

مصادر المؤلف

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول - كتاب نقد الشعر.
- المبحث الثاني - العمدة في محاسن الشعر وآدابه.
- المبحث الثالث- كتاب تحرير التحبير.
- المبحث الرابع - كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب.

* * * ** * * *

المبحث الأول- كتاب نقد الشعر.

عنوانه : نقد الشعر.

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ).

موضوعه : نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه . وقد زعم قدامة أنه لم يجد أحدا وضع كتابا في نقد الشعر، وأن الناس قصروا في ذلك ، فوضع كتابه نقد الشعر .

ملخص محتواه : افتتح قدامة كتابه بالكلام عن حد الشعر وتعريفه ، ثم تكلم عن صناعة الشعر وصفاته ومعانيه ، ثم فصّل النعوت في اللفظ والمعنى والوزن ،ونعت القوافي والمدح ، ونعت التشبيه والوصف والنسيب ، وتكلم في المعاني الشعرية وصحة التقسيم والمقابلات والتفسير ، ثم ذكر أنواع نعوت المعاني كالتتميم والمبالغة والتكافؤ والالتفات وغيرها .

ثم أورد نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى وأنواعه : المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل وغيره .

ويكمل بعد ذلك ، فيورد نعت ائتلاف اللفظ والوزن ، ونعت ائتلاف المعنى والوزن ، ونعت ائتلاف القافية .

وحذر من عيوب الشعر، وذكر أنواعها ، ثم عيوب اللفظ .

وتكلم في عيوب الوزن ومنها : الخروج عن العروض والتخليع والزحاف، كما أورد عيوب القوافي كالتجميع والإقواء والإيطاء والسناد .

ويعود ويتكلم عن العيوب العامة للمعاني من فساد القسم والتكرير وفساد المقابلات وغيرها.

وقد كان قدامة أوسع أهل زمانه علما ، وأغزرهم مادة ، وأحسنهم معرفة

وبراعة في اللغة والأدب ، والفقه ، والكلام[1].

وقد أخذ النواجي هذا الكتاب قضية حد الشعر وقضية اللفظ والمعنى.

(١) انظر: نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، ومقدمة الكتاب.

المبحث الثاني - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

عنوانه : العمدة في محاسن الشعر وآدابه .

المؤلف: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣هـ)

المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد .

موضوعه : ويظهرمن عنوان الكتاب أنَّ موضوعه في الشعر ومحاسنه وآدابه .

ملخص محتواه : جمع المؤلف في الكتاب أحسن ما قاله كل واحد ممن صنف في معاني الشعر ومحاسنه وآدابه .

كما عوّل مؤلفه فيه على قريحة نفسه ، ونتيجة خاطره ، خوف التكرار ، وتميز بسلامة الطبع ، ورقة المعاني ، ولطف مواقعها ، وسرعة تأثيرها في النفوس ، وهو أديب وشاعر .

وتقيد ابن رشيق فيه برأي العلماء القدامى لا يخرج عنهم ، فقد احتوى كتابه على خلاصة آراء النقاد الذين سبقوه في النقد الأدبي .

وهو الكتاب الذي خلد اسمه وشهرته من بين آثاره، فهو موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها، وما لابد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وملوكها وخيولها وبلدانها، وفيه ٥٩ باباً في فصول الشعر وأبوابه، و٣٩ باباً في البلاغة وعلومها و ٩ أبواب في فنون شتى. ومن أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر وأنواعها: كالسلخ والاصطراف والانتحال والإغارة والغصب والمرادفة والاهتدام والإلمام والاختلاس والمواردة(١).

(١)انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق ، ومقدمة الكتاب.

قال ابن خلدون: (وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة ، وإعطاء حقها ، ولم يَكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله) [١] .

وقد أخذ النواجي من هذا الكتاب قضية التشبيه القبيح وقضية عمل الشعر وتهذيبه والمبادئ والمقاطع وبراعة الاستهلال.

(١)تاريخ ابن خلدون (٧٩١/١).

المبحث الثالث- كتاب تحرير التحبير

عنوانـه : هو "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن "" لابن أبي الإصبع المصري " (ت٦٥٤هـ)

موضوعه : ومن عنوان الكتاب يظهر أن موضوعه في الأدب العربي شعره ونثره عامة ، وبيان اعجاز القرآن الكريم خاصة ، كما للكتاب نصيب من اسمه في تحرير وتقويم الشيء ؛ حيث أزال ما أسقط منه ، وقوّم معوجّه .

ملخص محتواه : افتتح ابن أبي الإصبع كتابه بعد التحميد بذكرمحاسن الكلام والألوان البلاغية التي وجدت في عصره ، واستشهد لها بالمنظوم والمنثور؛ ليثبت بذلك إعجاز القرآن الكريم فهو غاية الدراسة البلاغية .

وقد جمع المؤلف في كتابه ألوان البديع التي جاء بها ابن المعتزفي بديعه قدامة في نقده.

وجعلها أصولا ثم أورد الألوان التي اكتشفها العلماء من بعد ابن المعتز، وقدامة وسماها الفروع.

ثم يأتي بالأنواع البديعية ، ويعرفها تعريفا اصطلاحيا متفقا مع مسماه ، وإن رأى الغريب منها تعرض للمعنى اللغوي ، ثم يناقش السابقين في آرائهم ، ويذيل المناقشة برأيه ، ويفرق بين الملتبس من الألوان البديعية ويدعم ذلك بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ؛ ليثبت وجودها في القرآن ، ويتبعها بالشواهد الشعرية ، ثم أثبت حسن الخاتمة في السور والآيات ، وما يدل عليه سائر الكلام ،كذلك أشار إلى تقارب الجمل في القرآن والانسجام بين ألفاظها مفردة ومجتمعة ، وكأنها تجري على وزن خاص.

وذكر المؤلف بابًا في التهذيب وبين أهميته، وكيف يتخير الشاعرألفاظه ويهذبها ، كما أثبت المؤلف أن القرآن قد حوى صفات الأدب الخالدة ، وقد

استشعرها الناس وأدركوها في إعجازه وصفاته .

وبيَّن تعاليم القرآن ومثله العليا وقيمه الأخلاقية التي ملأت ألفاظه ومعانيه .

وسلك المؤلف في تأليفه للكتاب الأسلوب العلمي الذي يعتمد على أداء الحقائق ، والدقة في البحث ، والأسلوب الأدبي الذي غايته التأثير ، كما يتناول آراء من سبقه ويناقشها .

وقد اختصر من كتاب تحرير التحبير بديع القرآن(١) .

وقد أخذ النواجي من هذا الكتاب قضية عمل الشعر ووصايا للشاعر وقضية تمكين القوافي، وقضية التخلص وقصية نثر المنظوم ، وقضية الفصاحة.

(١)انظر: كتاب تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ومقدمة الكتاب.

المبحث الرابع- كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب.

عنوانه : " خزانة الأدب وغاية الأرب "

ابن حجة الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ).

موضوعه : وعند النظر في اسم الكتاب يتبادر إلى أذهاننا سعة علمه ، وكثرة فنونه التي طرقها فكان كموسوعة امتلأت بشتى فنون الأدب.

ملخص محتواه : إن كتاب خزانة الأدب في الأصل هو شرحٌ لبديعيته في مدح الرسول الكريم، وعد فيها من أنواع البديع مئة واثنين وأربعين نوعًا، استهلها ببراعة الاستهلال التي أنشأها كما يذكر هو "برسم من محمد بن البارزي " صاحب ديوان الإنشاء وقد حذا فيها حذو "طرز البردة" بعد أن وقف محمد بن البارزي على بديعية الشيخ عزالدين الموصلي التي التزم فيها تسمية النوع البديعي، وسمى ابن حِجة بديعيته تلك "تقديم أبي بكر، " وحاول فيها أن ينسج على منوال عز الدين الموصلي، في تضمين الأبيات ألفاظًا يشير بها إلى الأنواع البديعية .

وملئ كتاب خزانة الأدب بدررعلومه ، وجواهر معارفه ، وكان له نصيب من اسمه فهو كخزانة امتلأت بفنون الأدب المختلفة من اللغة والبلاغة والنقد ، ومنثور الكلام ومنظومه والأزجال والأمثلة والاستطرادات وبعض النكت ، كما احتوى على الاستشهادات من القرآن والشعر والنثر، ويمكننا القول إن هذا الكتاب انحصربين العصرين المملوكي والأيوبي ، وهو مرجع أدبي عام .

ومن ضمن ماحتواه الكتاب الائتلاف ، والتدبيج ،وبراعة الطلب ، والعقد والتمكين ، وختم تلك الألوان البديعية بحسن الخاتمة[١] .

وقد أخذ النواجي من هذا الكتاب ، قضية المطالع والمبادئ وحسن الابتداء وقضية حسن الخاتمة وقضية السجع ، وفواصل القرآن وقضية براعة التخلص وقضية نثر المنظوم وقضية البلاغة والفصاحة.

(١)انظر: كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب. لابن حجة الحموي، ومقدمة الكتاب.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الرحمن على ماعلّم من البيان ، وألهم من التبيان ، وأكرم ببلوغ التمام . وأعوذ بالله من فتنة القول وزلة اللسان ، ومن علم لا ينفع ولا يرفع الإنسان .

والصلاة والسلام على خير الأنام ، سيد البلغاء وأكرم الفصحاء ، وعلى آله ومن تبعهم بإحسان .

خرجت الباحثة من هذه الدراسة بأبرز النتائج التي كانت تصب أغلبها في بوتقة الآراء النقدية الأدبية للنواجي؛ لأن دراسة آرائه وإبرازها في القضايا الشعرية السابقة الذكر كانت محطا للعرض و الدراسة و التحليل .

ومن أهم وأبرز النتائج والتوصيات الآتي:

أولا - النتائج

١-تميز الشعر ببقائه على أفواه الرواة مع امتداد الزمان به؛ لارتباط بعضه بأجزاء بعض، وتضمنه من الرغبات ما أشبع الذوق العربي إلى عصرنا الحاضر.

٢-إنّه متى استقام اللفظ واستوى المعنى تكونت القصيدة كأروع ما تكون . وخصوصا إذا ارتبط الوزن بالشعر ارتباطا وثيقا فهو أسّ من أساس تكوينه.

٣-إن الوقوف على عمل الشعر بالمراجعة وترداد النظر وتهذيب القول من ضروريات العمل المتقن فهو عمل عقلي وشعوري يتطلب قدرا عظيما من المعرفة المتنوعة .

٤-إن قضية الاهتمام بالابتداءات (المطالع) والختام (المقاطع) ؛ مما يلفت انتباه وأسماع الحضور، ويزيد وقع الأثر المراد في نفوسهم .

٥-إن قضية تمكين القوافي التي هي آخر ما يذكر في البيت الشعري وتهذيبها ضرورة من ضرورات الشعر العربي الأصيل.

٦-إن قضية السرقات في الشعر باب متسع ، لا يمكن لأحد ادعاء السلامة منه . وهذه النتيجة التي تبنتها الدراسة موافقة لقول العلامة ابن رشيق .

٧-برع المحْدِثون في قضية التخلص ، وأبدعوا فيه بخلاف الأوائل من قبلهم .

٨-إن الاهتمام بقضية السجع حلية تزيد القول تأنقا وجمالا ، والتكلف فيه غلو وإغراق .

أظهرت الدراسة انفراد النواجي بآراء نقدية أدبية عن غيره ومنها :

أ- حصره لمصادر ثقافة الشاعر المبتدئ في وصية أبي بكر الخوارزمي بخلاف غيره .

ب- مراعاته للقصيدة قبل عملها وأثنائها وبعد الفراغ منها في قضية عمل الشعر دلالة على دقة نظرته .

جـ- إدراك النواجي للضعف والوهن الذي أصاب النصوص الأدبية في عصره مع بُعد نظرته، دفعه للتركيز الشديد في آرائه دون إسهاب ومن أشد الدلالات على ذلك موافقة آرائه لبعض النقاد من قبله ؛ مما دفعه إلى اقتراب عباراته بشدة من عبارات سلفه ، وإلا كان تكرار رأيه من نافلة القول.

د - لم يصرح النواجي بعنصر الخيال إلا أنه اكتفى بذكر مقدماته كما سبق تفصيله .

هـ- وصْف بعض النقاد للنواجي بأنه ناقل يضفي على شخصيته شيئا من السطحية والحيادية، وهذا لا يتوافق مع موقفه من فترة ركود النص الأدبي التي شهدها ذلك العصر؛ مما دفع به أن يخرج رسالة نقدية مركزة لتحريك عجلة النص الأدبي بغية النهوض بها.

و- إن للنواجي بصمة قوية و حضوراً مميزاً في فن الشعر و النثر ظهر ذلك من خلال رسالته النقدية .

ثانيا ـ التوصيات :

بناء على النتائج السابقة خرجت الباحثة بمجموعة من التوصيات العلمية التي تأمل أن تسهم في دفع عجلة البحث و المدارسة في الفكر التراثي الأدبي عند الشعراء و الأدباء العرب ، **ومن أبرز التوصيات ما يلي :**

- القيام بدراسة أدبية نقدية تعتمد على المنهج التاريخي التحليلي تدرس عوامل الركود في النص الأدبي في عصر من العصور الإسلامية ، والبحث عن دور الأدباء و النقاد في ذلك العصر للنهوض بالنص الأدبي .
- دراسة الحس الإسلامي لدى النواجي من خلال مؤلفاته وتناوله للقضايا .
- القيام بدراسة مصادر ثقافة الشاعر المبتدئ عند النواجي وتحليلها .
- الوقوف بدراسة منصفة على المآخذ التي أخذت على النواجي وتقديم المبررات حيال ذلك .

وختاما أتمثل قول الأصفهاني :

" لقد رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولوقدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم من العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر "(١).

وإني ألتمس العذر للنقص في بحثي بقول الشاعر :

أسير خلف ركاب النُّجْبِ ذا عرج...مؤملا كشف ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقـــوا ... فكـــــم لله في ذاك من فـــرج
وإن بقيت بظهر الأرض منقطعا...فما على عرج في ذاك من حرج

---

(١)هذه العبارة للعماد الأصفهاني، وقد أوردها طه عبد الرؤوف في مقدمة تحقيقه لكتاب إعلام الموقعين (ص١٢).

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهـــــارس

- ١- **فهرس الآيات القرآنية.**
- ٢- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- ٣- **فهرس الدوريات.**
- ٤- **فهرس الأعلام.**
- ٥- **فهرس المصادر والمراجع.**
- ٦- **قائمة المحتويات.**

١- فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــــــــــــــــات	رقم الآية	الصفحة
قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾		
سورة الفرقان		
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً، إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً، وَإذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً ﴾	١١-١٣	٢٤١ ، ٢٤٥
سورة الشعراء		
﴿قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون ﴾	١٧-١٨	١٦٩
سورة القصص		
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾	٣٤	٢٦٢ ، ٢٦٦
سورة الأحزاب		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾	٦٤	٢٣٤
سورة فصلت		
﴿ كتابٌ فُصِّلتْ آياتُهُ ﴾	١٧٠	١٦٥ ، ٢٣١
سورة الذاريات		
﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	١٨	٨٩
سورة الرحمن		
﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْأِنْسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَان﴾	٤	٢٤٨

الآيـــــــــــــــــــــات	رقم الآية	الصفحة
سورة نوح		
﴿ ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً ﴾	١٣-١٤	٢٤٠
سورة المدثر		
﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	١-٥	٢٣٨، ٢٤٣
سورة المرسلات		
﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾	١-٢	٢٣٨
سورة الإنفطار		
﴿ إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾	١٣-١٤	٢٤٠، ٢٤٢
سورة المطففين		
﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾	٢٦	١٤٦
سورة الغاشية		
﴿ فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾	١٣-١٤	١٦٧، ٢٤٠
﴿ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾	١٥-١٦	٢٤١
﴿ إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ ﴾	٢٦	٢٣٩
سورة الزلزلة		
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	١	١٥١
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾	٨	١٥١

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرسُ الأَعْلامِ

٤-فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أسرار البلاغة. الإمام عبدالقاهر الجرجاني. دار المعرفة. بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٣. أسس النقد الأدبي عند العرب. د. أحمد بدوي. مكتبة نهضة مصر الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.
٤. الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين. للخالدين. تحقيق د/ السيد محمد يوسف. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م.
٥. الأغاني، المؤلف : أبو الفرج الأصفهاني،الناشر : دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر .
٦. البخلاء ، المؤلف : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار النشر : دار الكتب العلمية- لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.تحقيق : أحمد العوامري بك - علي الجارم بك
٧. البديع في نقد الشعر، المؤلف : أبو المظفر أسامة بن منقذ . بتحقيق د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد .مراجعة: أ. إبراهيم مصطفى الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة .
٨. براعة الاستهلال والتخلص وحسن الختام غي شعر الخنساء . دراسة بلاغية. إعداد. د. مد رضا بن عبد الله الشخص . جامعة الك سعود. عمادة البحث العلمي. مركز بحوث كلية الآداب.
٩. البصائر والذخائر ، تأليف: أبي حيان التوحيدي، بتحقيق الدّكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت ١٩٨٤م.
١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف :عبدالرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦٤/١٣٨٤.
١١. البلاغة تطور وتاريخ .تأليف: د.شوقي ضيف .نشر دار المعارف ط٣.
١٢. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي:، تحقيق: د/ محمد المصري - مطبعة الفيصل الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
١٣. البيان والتبيين، المؤلف: الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتّبيين، تحـقيق. عبدالسّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٤. تـاريخ آداب العـرب، المؤلـف : مصـطفى صـادق الرافعـي . الناشـر: دار الكتاب العربي .
١٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. المؤلـف : د/ إحسـان عبـاس، الطبعـة : ٤، تـاريخ النشـر : ١٩٨٣ ، الناشـر: دار الثقافـة، عنـوان الناشـر : بيـروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
١٦. تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، تأليف: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د.حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،١٣٨٣هـ.
١٨. تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشـر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى.
١٩. التعبير الفني في القرآن الكريم . د. بكري شيخ أمين . دار العلم للملايين . بيروت – ط٧ـ ٢٠٠٤ـ
٢٠. التعبيـر القرآنـي – د. فاضـل صـالح السـامرائي . دار عمـار ـ عمـان – الأردن . ط٦ – ١٤٣٠هـ ـ.
٢١. ثمار القلوب في المضـاف والمنسـوب ، المؤلـف : أبـو منصـور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار المعارف – القاهرةـ الطبعة الأولى .
٢٢. جمهرة أشعار العرب ، تأليف: أبو زيد القرشي، دار النشر: دار الأرقم ـ بيروت، تحقيق: عمر فاروق الطباع .
٢٣. الحماسـة المغربيـة، تـأليف : أحمد بن عبد السلام الجراوي التـادلي أبـو العباس؛ المحقق: محمد رضوان.
٢٤. الحيـوان ، المؤلـف : أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـر الجـاحظ، تحقيـق: عبـد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل سنة النشـر ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، مكان النشر لبنان/ بيروت.
٢٥. خزانـة الأدب وغايـة الأرب ،تـأليف: تقـي الـدين أبـي بكرعلـي المعـروف بابن حجة الحموي، دار النشر: دار ومكتبـة الهـلال ـ بيـروت ـ ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عصام شقيو.
٢٦. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تـأليف: د.محمـد أبو موسى، ط(٢)، مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٧. الخصـومة بـين القـدماء والمحـدثين فـي النقـد العربـي القـديم ، تـأليف: د.

عثمان موافي.دار المعرفة الجامعية-الاسكندرية-مصر-الطبعة الرابعة-٢٠٠٠م.
٢٨. مقدمة كتاب الدّر الفريد وبيت القصيد . تأليف: محمد بن أيدمر(ت سنة٧١٠هـ) . تحقيق وتعليق: د. مصطفى عناية.عالم الكتب الحديث-إربد-الأردن٢٠١٣م، الطبعة الأولى.
٢٩. دراسات في النقد العربي القديم ، تأليف: د. عبد الفتاح عثمان ، الطبعة الأولى، دار القلم ، الإمارات العربية المتحدة.١٩٩٥.
٣٠. دراسة في نصوص العصرالجاهلي تحليل وتذوق، تأليف: السيد أحمد عمارة. الناشر :مكتبة المتنبي.
٣١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.
٣٢. دلائل الإعجاز عبد القاهرالجرجاني . تأليف: عبد القاهر الجرجاني،تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي.
٣٣. دواوين الشعر العربي على مر العصور ، جمع وترتيب موقع أدب.
٣٤. ديوان ابن الرومي ، تحقيق :دحسين نصارط:دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٣.
٣٥. ديوان ابن النبيه. تأليف: ابن النبيه المصري تاريخ النشر: ٠١/٠١/1900، تحقيق: رضا رجب، الناشر: دار سعد الدين.
٣٦. ديوان ابن عبد ربه المؤلف :ابن عبد ربه الأندلسي؛ المحقق: محمد رضـــــــــــوان
الداية؛ الناشر: مؤسسة الرسالة.
٣٧. ديوان ابن نباتة المصري ، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، بغداد ١٩٧٧.
٣٨. ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره صنعة: عبد الله الجبوري. طبعة المكتـــــــــــــب
الإسلامي، الطبعة الأولى الإصدار: ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٣٩. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي تحقيق : محمد عبده عزام الناشر : دار المعارف – القاهرة.
٤٠. ديوان أبي نواس ، برواية الصولي،تحقيق: الدكتور بهجت الحديثي ط دار الرسالة - بغداد سنة ١٩٨٠.
٤١. ديوان الأحوص، الناشر: شركة التراث للنشر؛ سنة النشر: ١٩٠٠.

٤٢. ديوان البحتري ، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف بمصر ،سنة ١٩٦٣.
٤٣. ديوان الشماخ بن ضرار تحقيق: صلاح الدّين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
٤٤. ديوان الصبابة، أحمد بن أبي حجلة المغربي،طبعة الأزهرية عام ١٣٠٢هـ.
٤٥. ديوان الفرزدق"، جمع وتحقيق عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٦م.
٤٦. ديوان المتنبي ، وضع عبد الرحمن البرقوقي ـ القاهرة ١٩٣٨ م .
٤٧. ديوان المعاني، تأليف: أبي هلال العسكري، عالم الكتب، بيروت.
٤٨. ديوان النابغة الذبياني ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٤٩. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتب المصرية، وشرحه: تحقيق حسن السندوبي، ط الاستقامة ـ القاهرة.
٥٠. ديوان حسان بن ثابت ـ رضى الله تعالى عنه ـ تحقيق: سيد حنفى حسنين ـ ط: دار المعارف ـ بدون تاريخ.
٥١. ديوان ذي الرمة: ط(٢)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٣٨٤هـ.
٥٢. ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٣. ديوان صفي الدين الحلي _المؤلف: صفي الدين الحلي حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: دار صابر.
٥٤. ديوان طرفة بن العبد: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.
٥٥. ديوان عروة بن الورد: دار صادر، بيروت.
٥٦. ديوان عنترة بن شداد العبسي، تحقيق محمد سعيد مولوي. المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
٥٧. ديوان قيس بن الخطيم، المؤلف : قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد .شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية.
٥٨. ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه : المؤلف: د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
٥٩. ديوان كعب بن زهير بشرح السكري.طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ.
٦٠. ديوان لبيد بن ربيعة العامري: دار صادر، بيروت.
٦١. ديوان مهلهل بن ربيعة المؤلف: مهلهل بن ربيعة؛ الناشر: الدار العالمية.

٦٢. الرباعي المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي. المؤلف: عبد القادر الرباعي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨
٦٣. الرسائل الأدبية ، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبوعثمان، الشهير بالجاحظ .الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٦٤. زهر الآداب وثمر الألباب تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أ. د / يوسف على طويل.
٦٥. سر الفصاحة، تأليف: الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ،مكان النشر بيروت.
٦٦. سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٦٧. سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
٦٨. سنن الترمذي (الجامع الصحيح سنن الترمذي)، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٦٩. سير أعلام النبلاء ،تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبوعبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
٧٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر دار بن كثير سنة النشر ١٤٠٦هـ. مكان النشر: دمشق.
٧١. الشعر والشعراء. المؤلف: ابن قتيبة: تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٦٦م.
٧٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين.
٧٤. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٧٥. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
٧٦. الصناعتين، المؤلف: أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٦.
٧٧. الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي عندالعرب. المؤلف: جابر عصفور، دار الكتاب المصري، ٢٠٠٣.
٧٨. طبقات فحول الشعراء. المؤلف : محمد بن سلام الجمحي، الناشر : دار المدني - جدة تحقيق : محمود محمد شاكر.
٧٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. المؤلف: يحي بن حمزة العلوي اليمني. ط سنة١٩٨٢-دار الكتب العالمية .بيروت لبنان.
٨٠. العقد الفريد، تأليف: أحمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت /لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثالثة.
٨١. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).
٨٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المؤلف: ابن رشيق- أبو علي الحسن القيرواني، ١٩٨١ - تحقيق محيي الدين عبد الحميد - ط٥، دار الجيل - بيروت .
٨٣. عيار الشعر. المؤلف: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي. تحقيق د/ طه الحاجري ود/ محمد زغلول سلام المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٥٦م.
٨٤. غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة تأليف: أبو إسحق برهان الدين إبراهيم بن يحيى الوطواط، ط الأدبية - القاهرة، ١٣١٨هـ.
٨٥. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، المؤلف: د. شوقي ضيف. ط٤، القاهرة، ١٩٦٠.
٨٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر، القاهرة :مكتبة المتنبي.
٨٧. في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم. تأليف الأستاذ الدكتور: عثمان موافي .دار المعرفة الجامعية.
٨٨. القافية تاج الإيقاع الشعري . المؤلف: د/ أحمد كشك المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة . ١٤٠٥هـ.
٨٩. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، المؤلف: د. بدوي طبان . الطبعة الثالثة.

مكتبة الأنجلو المصرية.
٩٠. قضـايا النقد الادبـي بـين القـديم والحـديث، تـأليف: الـدكتور محمـد زكـي العشماوي الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر الطبعة: الاولى ١٩٧٩ .
٩١. قواعد الشعر ، المؤلف: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبوالعباس، المعروف بثعلب المتوفى: (٢٩١هـ) المحقق: رمضان عبد التواب.
٩٢. القوافي - المؤلف القاضي أبو يعلي عبد الباقي التنوخي . المحقق: د. عوني عبد الرؤف . الناشر: مكتبة الخانجي – بمصر- الطبعة: الثانية، ١٩٧٨ م .
٩٣. القوافي ، تحقيق: الدّكتور عوني عبد الرّءوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٨م.
٩٤. الكامل للمبرد ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٩٥. الكشف والبيان، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة : الأولى.دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٩٦. لسان العرب ، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر – بيروت،الطبعة الأولى.
٩٧. لغة النقد العربي القديم بين المعايرية والوصفية حتي نهاية القرن السابع الهجري،.تأليف رشيد، عبد السلام محمد، حلاوي، ناصر رشيد، مؤسسة المختار للنشر،٢٠٠٨م.
٩٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٣٩.
٩٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧.
١٠٠. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرات والبلغاء " المؤلف :أبي القاسم

الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني، طبع بمطبعة ابراهيم المويلحي سنة ١٢٨٧هـ.
١٠١. مسنده البحر الزخار، تأليف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر: مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.
١٠٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد الفيومي، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٠٣. معاهدة التنصيص ، المؤلف :عبد الرحيم بن أحمد العباسي من موقع مكتبة المدينة.
١٠٤. المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
١٠٥. معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحاله يطلب من مكتبة المثنى - لبنان ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان.
١٠٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثالثة، تحقيق: مصطفى السقا.
١٠٧. المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي، المؤلف: د.ربى عبد القادر الرباعي، الناشر: دار جرير للنشر والتوزيع.
١٠٨. مفتاح العلوم، تأليف: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ضبط وشرح: نعيم زرزور، ط:١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٠٩. مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر: دار القلم - بيروت - ١٩٨٤، الطبعة: الخامسة .
١١٠. مقدمة في صناعة النظم والنثر، تأليف:شمس الدين محمد بن حسن النواجي، النشر: بيروت: دار مكتبة الحياة. تحقيق د. محمد بن عبد الكريم

١١١. من بلاغة القرآن ، المؤلف: د. أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ (الناشر: نهضه مصر - القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥.
١١٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء . تأليف أبي الحسن حازم القرطاجني . تحقيق محمد ابن الخوجة- دار الغرب الإسلامي – بيروت - ط٣- .
١١٣. موقف النقد العربي من ظاهرة التفاوت الشعر في التناول الفني . د.سليمان عبد الحق .تاريخ النشر:٢٠١٢/١/١م، الناشر: دار المعرفة الجامعية.
١١٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ، دار النشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر .
١١٥. نظريات الشعر عند العرب، المؤلف: د . مصطفى الجوزو، دار الطليعة بيروت ١٩٨١.
١١٦. نظرية الابداع الشعري عند النُّواجي. تأليف :د. حسن البنداري، تاريخ النشر: ٢٠٠٠/٠١/٠١، الناشر: مكتبة الأنجلو.
١١٧. النقد الأدبى ،المؤلف : شوقى ضيف . الناشر : دار المعارف . الطبعة التاسعة.
١١٨. النقد الأدبي العربي القديم تطوره وقضاياه، تأليف: أ.د. رفعت التهامي عبد البر، الطبعة الأولى ، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ.
١١٩. النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، تأليف: قصي الحسين تاريخ النشر: ٢٠٠٣.دار ومكتبة الهلال-بيروت.
١٢٠. النقد الأدبي في العصر المملوكي، تأليف: محمد عبد العزيز قلقيلة تاريخ النشر: ١٩٩٨/١٢/٣٠. الناشر: دار الفكر.
١٢١. نقد الشعر. المؤلف : قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي مصر، طبعة ثالثة.

١٢٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف: علي بن عبدالعزيز الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، ط٣، عيسى البابي الحلبي بمصر.

http://ar.wikipedia.org/wiki

٥-فهرس الدوريات

١-دعـوة الحـق العـدد ٢٥/ وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية-المملكـة المغربية-الرباط.
٢-مجلـة دعوة الحق، العدد ٢٥. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية-الرباط.
٣-مقال في دراسة موجزة على خمريات أبي نواس ، الخصائص الأسلوبية في شعر أبي نواس، المؤلف: د. محمد عبدالله المعصري .الموقع الإلكتروني. www.yemen-nic.inpo\index.php.
٤-صحيفة بهلة الهندي:
http://iucontent.iu.edu.sa/Shamela/Categoris/%D٨.

٦-فهرس الموضوعات